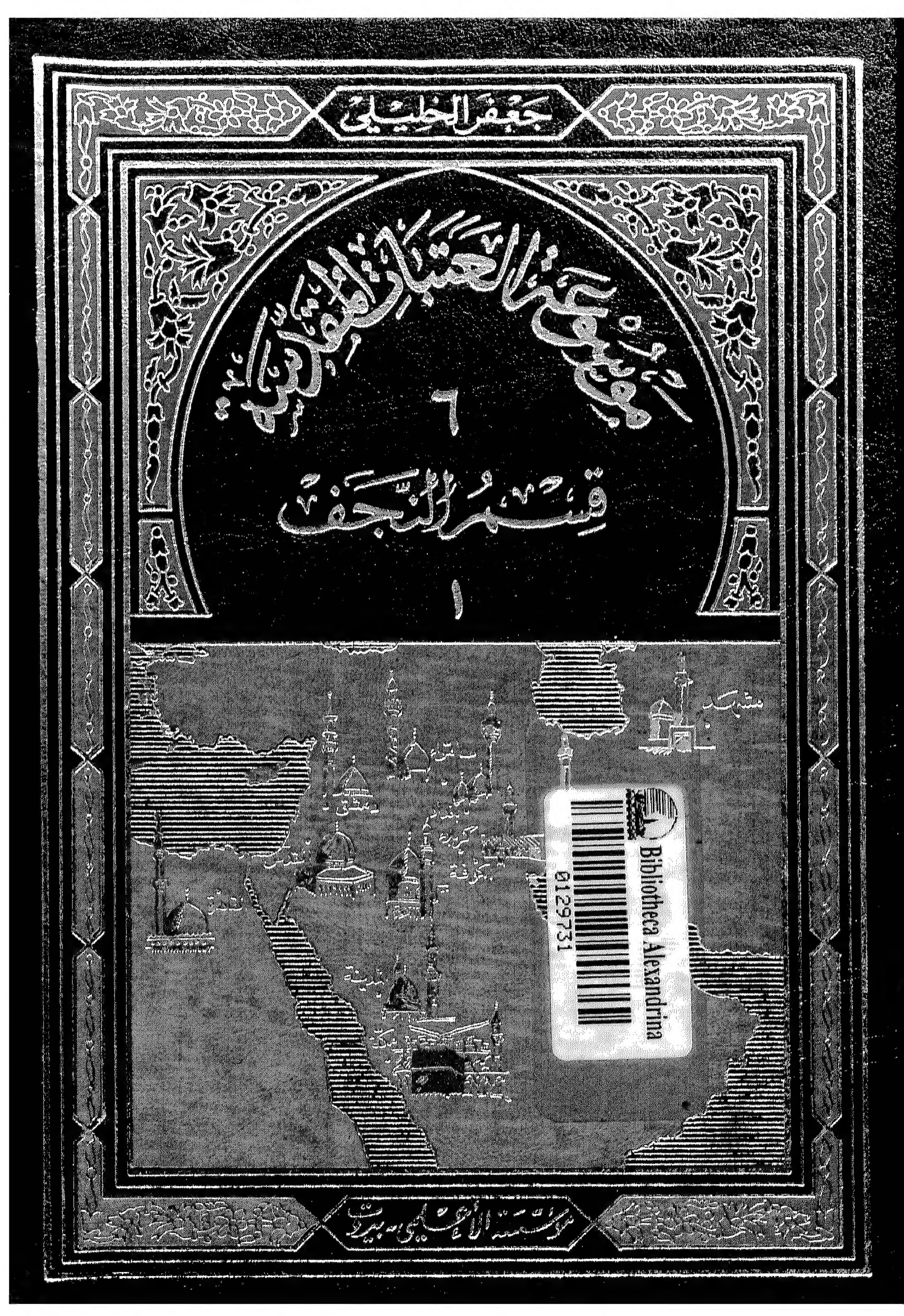

جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة
٦
قسم النجف
١
مؤسسة الأعلمي - بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0129731







موسوعة العتبات المقدسة

قسم النجف ٦



موسوعة العتبات المقدسة

الجزء الأول من

قسم النجف



ألفها وربط بين أجزائها
وعلق عليها

جعفر الخليلي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الاول

من قسم النجف الاشرف

ما كدنا نلتهي من طبع (المدخل العام الى موسوعة العتبات المقدسة) حتى تهيأت لنا مواد الجزء الأول من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة، وليس معنى هذا اننا سنؤجل تأليف الأقسام الأخرى من العتبات حتى تنتهي أجزاء (قسم النجف) التي لم نعرف كم سيكون عددها، وإنما الطريقة التي اتبعناها في تأليف (موسوعة العتبات المقدسة) هي اننا قسمنا الموسوعة إلى أقسام بقدر عدد العتبات، وخصصنا لكل عتبة قسماً تزيد أجزاؤه وتنقص تبعاً لمواده واتساع بحوثه، فكلما ينتهي تأليف أي جزء من أي قسم من أقسام العتبات بادرنا إلى طبعه ونشره، ولولا هذا لكنا انتظرنا الفراغ من تأليف الجزء الأول من (قسم مكة المكرمة) وبدأنا العمل به بعد صدور (المدخل الى الموسوعة) ولكننا لم نتقيد بالترتيب ولا بالعتبة حسب أهميتها، وإنما يعنينا من الأمر المبادرة بطبع أي جزء من أي قسم ينتهي العمل منه قبل غيره .

ولقد تم هذا الجزء من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة قبل أي جزء آخر وسنمشي فيه مشيتنا في باقي الأقسام دون أن نربط عملاً بعمل ونقيد عتبة بأخرى .

وإن الذين عملوا في تأليف هذا الجزء من (قسم النجف) كانوا أكبر عدداً وكانت مواد بحوثهم أكثر مما احتوى عليها هذا الجزء فاضطررنا للاكتفاء بهذا القدر حذراً من التضخم الذي قد يحمل الجزء الأول يتجاوز الحد المألوف من حيث عدد الصفحات ، وقد أجلنا ما زيد من بحوث الكتاب والمؤلفين الآخرين لنشره مع غيره في الجزء الثاني من (قسم النجف) من الموسوعة .

وهنا لا بد لنا من الإشارة - وقد أصبح عملنا هذا عملاً تأريخياً - الى بعض من مدّ إلينا يد المساعدة على اختلاف أنواعها في سبيل تكامل هذه الموسوعة وإخراجها الى حيز العمل وعلى الأخص أساتذة جامعة بغداد والأفاضل الذين أسهموا في العمل معنا في التأليف والمؤازرة ، ونتقدم بالشكر الى الدكتور فيصل الوائلي مدير الآثار العامة الذي سهل لنا الحصول على بعض الصور لبعض العتبات المقدسة مما قد عز حصولنا على أمثالها ، وللخطيب السيد جواد شبر — فضلاً عن إسهامه في التأليف — والحاج زيد الكاظمي النائب بمجلس الأمة في الكويت ، والدكتور علي الحلي رئيس صحة الحلة السابق ، والأستاذ محمد جواد جلال ، والدكتور احمد ثامر رئيس صحة لواء كربلا ، والمحامي غالب الحاج فليح ، والحاج محمد علي الشاوي ، والشيخ عبد الغفار الانصاري ، والاستاذ جعفر الحائري ، والأستاذ حمدي آل حمدي ، والسيد محمد العضاض والاستاذ علي الخليلي ، والحاج عبدالله المسقطي ، وعبد اللطيف الكاظمي ، والدكتور صادق علي ، والحاج ابراهيم المطوّع الذين كان لهم أثر محمود في مساعدة هذا المشروع بمختلف أنواع المساعدات أدبية كانت أم مادية راجين من الله أن يأخذ بأيدينا ويكثر من مؤازرينا لنستطيع أن نقطع أطول مسافة ممكنة من هذا الطريق الشائك الطويل .

دار التعارف

النجف قديما

بحث يتناول منطقة النجف القديمة وبقعتها وما يحيط بهـا من المناطق التاريخية القريبة منهـا ، والأديرة المجاورة لها منذ أول معرفة التأريخ بها .

كتبـه

الدكتور مصطفى جواد

خريج جامعة السوربون في التأريخ العربي
والاستاذ بجامعة بغداد — كلية التربية
والعضو بالمجمع العلمي العراقي ، والعضو بالمجمع العلمي العربي بدمشق



النجف قديماً

النجف اسم عربي ومعنـــاه « المنجوف » كالعدد بمعنى المعدود ، قال ابن فارس ؟ « النون والجيم والفاء : أصلان صحيحـــان أحدهما يدل على تبسط في شيء مكان أو غيره ، والآخر يدل على استخراج شيء ، فالأول النجف : مكان مستطيل منقاد ولا يعلوه الماء والجمع نجاف ، ويقـال : هي بطون من الأرض في أسافلها سهولة تنقاد في الأرض لها أودية تنصب الى لين من الارض، ويقال لابط الكثيب نجفة الأرض .

ومن الباب النجيف من السهام : العريض ، ونجفت السهم : بريته ، كذلك وأصلحته ، وسهم منجوف ونجيف وغـــار منجوف واسع (١) ... » . وقال الجوهري في الصحاح: «النجف والنجفة بالتحريك : مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد والجمع نجاف...» وأورد بعد ذلك كبعض ما نقلنا آنفاً، وقال الزمخشري في اساس البلاغة : « وفي بطن الوادي نجفة ونجف وهي مكان مستطيل كالجدار لا يعلوه الماء » ، وجاء في لسان العرب « النجفة أرض مستديرة مشرفة والجمع نجف ونجاف ... ابن سيده : النجف والنجاف شيء يكون في بطن الوادي ، شبيه بنجاف الغبيط جنداً وليس بجد عريض ، له طول منقاد مـــن بين معوج

---

(١) المقاييس « ٥ : ٣٩٥ طبعة دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٦٩ هـ » .

ومستقيم الماء ، وقد يكون في بطن الارض ... والنجفة شبه التل ... وقال الليث : النجفة تكون في بطن الوادي شبه جدار ليس بعريض ... ابن الاعرابي النجفة : المسناة ، والنجف التل . قال الازهري : والنجفة التي بظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع ماء السيل ان يعلو منازل الكوفة ومقابرها » ، وقال الفيروز آبادي في القاموس : « النجف محركة ، وبهاء (النجفة) مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ، ويكون في بطن الوادي ، وقد يكون ببطن من الأرض جمعه نجاف أو هي ارض مستديرة مشرفة على ما حولها ، والنجف محركة : التل .. والمسناة ومسناة بظاهر الكوفة تمنع ماء السيل ان يعلو مقابرها ومنازلها » . وقال المطرزي في المغرب : النجف بفتحتين كالمسناة بظاهر الكوفة على فرسخين منها يمنع ماء السيل ان يعلو منازلها ومقابرها (١) ، ومنه قول القدوري : كان الاسود اذا حج قصر من النجف وعلقمة من القادسية » .

وقال ياقوت في معجم البلدان : « النجف بالتحريك ... وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة ومقابرها ، وبالقرب من هذا الموضع قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد ذكرته الشعراء في اشعارها ... » وقال ابو الفداء في وصف الحيرة : « والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الانهار وهي عن الكوفة على نحو فرسخ .. والحيرة على موضع يقال له النجف زعم الاوائل ان بحر فارس كان يتصل به ، وبينها اليوم مسافة بعيدة » (٢) .

وفذلكة الاقوال ان النجف انما سمي بهذا الاسم لانه يعني أرضاً عالية معلومة تشبه المسناة تصد الماء عما جاورها وينجفها الماء من جوانبها ايام السيول ولكنه لا يعلوها فهي كالنجد والسد ، وتغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة التي

---

(١) نقل هذا القول الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه « مجمع البحرين » في مادة « النجف »
(٢) تقويم البلدان « ص ٢٩٩ » .

أشار اليها بعض اللغويين ، لانهـا ضد الاستطالة ، ولان صفة النجف الحالية في استطالة ارضه تؤيد ذلك، وأما الاستدارة التي ظنها بعض اللغويين في « النجف » فهي مستندة الى استدارة قطعة تكون في النجف اتفاقاً لا دوماً وتسمى «الرحا» جاء في لسان العرب « والرحا : قطعة من النجفة مشرفة على ما حولها تعظم نحو ميل والجمع ارحـــاء ، وقيل : الارحاء قطع من الارض غلاظ دون الجبال تستدير وترتفع عما حولها ، ابن الاعرابي : الرحا من الارض مكان مستدير غليظ يكون بين رمال . قال ابن شميل : الرحا القارة الضخمة الغليظة وإنما رحّاهـا استدارتها وغلظها واشرافها على ما حولها وانها أكمة مستديرة مشرفة ولا تنقاد على وجه الارض ولا تنبت بقلاً ولا شجراً ، وقال الكميت :

اذا ما القف ذو الرحيين أبدى محاسنه وأفرخت الوكور » .

وقال الفيروز أبادي في القاموس : « الرحا : الصدر ... وقطعة من النجفة مشرفة تعظم نحو ميل » .

ومما يؤيد ارتفاع ارض النجف ما ذكره ابو الفرج الاصفهاني ان حنيناً الحيري المغني القائل :

أنا حنين ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف

لما حج هشام بن عبد الملك سلك طريق الفرات—وأحسبه جاء من الرصافة— فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عود وزامر له وعليه قلنسوة طويلة ، فقال هشام : من هذا ؟ فقيل : هذا حنين الحيري . فأمر به فحمل في محمل على جمل وعديله زامره وسير به أمامه وهو يتغنى ، فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف فأمر له بمائتي دينار (١) . فقوله « حتى نزل من النجف » يدل على انه

---

(١) الأغاني « ج ٢ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ طبعة دار الكتب المصرية » .

نزل من أرض عالية كائناً ارتفاعها ما كان (١) .

وسميت هذه الأرض المتمادية (٢) التي منهـا النجف « النجاف » وكأنه جمع النجفة ، وهي التي تلي الصحراء ويقابلها ممـا يلي الفرات « الملطاط » قال ابن قتيبة : « وكانت العرب تقول : ادلع البر لسانه في الريف فمـا كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي البطن منه فهو النجاف » وقال ياقوت : « اللسان من أرض العراق في كتابه الفتوح . . واللسان لسان البر الذي أدلعه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم ، قالوا : لما أراد سعد تمصير الكوفة أشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان وهو فيما بين النهرين الى العين : عين بني الجرّاء ، وكانتْ العرب تقول : أدلـع البرّ لسانه في الريف ، فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي البطن منه فهو النجاف قال عديّ بن زيد .

ويح أمّ دار حللنا بها ... بـين الثويـة والمردمـه
بريّة غورست في السّوادِ ... كغرس المضيفة في اللهزمهْ (٣)
لسان لعربة ذو ولفـة ... تولغ في الريف بالهندمـهْ »

وقال السهيليُّ في وصف دومة الحيرة : « ودُومة بضمّ الدال ... ودومـة

(١) وهنالك من الاخبار التي توردها بعض الكتب الدينية والتي يتناقلها النـاس خبر عن بحر النجف وهو انه كان يسمى ببحر (الني) فلما جفّ (الني) على حد قولهم قالوا (الني جف) ثم ما لبثت الياء ان سقطت في الاستعمال تخفيفاً فصارت (نجفاً) ومن هنا جاء اسم (النجف) ومثل هذا الخبر أو الرواية التي أوردتها بعض الكتب يفتقر الى كثير من الأدلةلتصبح مقبولة .

ج. خ

(٢) الأرض المتمادية هي المتفاوتة التي لم تستو ، ضد الارض المتقاودة .

(٣) والملحوظة في هذين البيتين اختلال في الوزن قيل انه كان مستساغاً في عصره .

ج. خ

بالضمّ أخرى وهي عند الحيرة ويقال لما حولها النجف (١) » . وقال القعقاع بن عمرو :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة   واخرى بأثباج النجاف الكوائن

وقيل ان النجف كان قريباً من البحر وذكر ابن الدبيثي في تاريخه أن عبد الجبار بن معيّة العلويّ قال : « خرج قوم من أهل الكوفة يطلبون الأحجار الغرويه يجمعونها لأيام الزيارات والمعيشة بها ، وبالكوفة من يعمل ذلك الى اليوم وأبعدوا في الطلب الى النجف وساروا فيه حتى خافوا التيه فوجدوا ساجة كأنها سكان مركب عتيقة وإذا عليها كتابة ، فجاؤوا بها الى الكوفة ، فقرأناها فاذا عليها مكتوب : سبحان مجري القوارب ، وخالق الكواكب ، المبتلي بالشدة امتحاناً ، والمجازي بالاحسان إحساناً ، ركبت في البحر في طلب الغنى ففاتني الغنى وكسر بي ، فأفلتّ على هذه الساجة ، وقاسيت أهوال البحر وأمواجه ، ومكثت عليها سبعة أيام ثم ضعفت عن مسكها فكتبت قصتي بمدية كانت معي في خريطتي فرحم الله عبداً وقعت هذه الساجة إليه فبكى لي ، وامتنع عن مثل حالي (٢) » .

وعلى ذكر قرب النجف من البحر ودعوى صحة قصة الفريق المذكور ينبغي توجيه ذلك أو نفيه ، فكيف كان البحر يبلغ النجف ، أو يتصل بأرضه المطمئنة وفي أخبار الحيرة في صدر الاسلام ما يؤيد وجود البحر هناك ، فقد ذكر الشريف المرتضى التحاور بن خالد بن الوليد وعبد المسيح بن بقيلة الغساني ، قال له خالد فيما قال: « كم أتى لك؟ قال : خمسون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت؟

---

(١) ذيل تاريخ بغداد « من مصورة جزء كيمبريج ٢٩٢٤ الورقة ١٥٧ » .

(٢) الروض الأنف « ٢ : ٣١٩ المطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م »

قال : أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزوّد إلا رغيفاً حتى تأتي الشام ثم قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد (١) .

قال ابن واضح في كتابه البلدان في الكلام على الكوفة : « والحيرة منها على ثلاثة أميال ، والحيرة على النجف والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقيلة وغيرهم (٢) .

وأريد بالبحر أحياناً الفرات نفسه ، جاء في لسان العرب في مادة ب ح ر وقال عدي بن زيد :

وتذكر رب الخورنق إذ أشـ ـرف يومـاً وللهوى تذكير
سره ماله وكثرة مـا يـ ـملك والبحر معرضاً والسدير

أراد بالبحر ههنا الفرات لأن رب الخورنق كان يشرف على الفرات » .

وقـال ياقوت في كلامه على الحيرة : « زعموا أن بحر فارس كان يتصل بالنجف (٣) » .

وقال المسعودي : « وقد كان الفرات لأكثر من مائة يلتهي الى بلاد الحيرة ونهرها بيّن الى هذا الوقت فيصب في البحر الحبشي في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت ، وكانت تتقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة ، وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي قحافة — رضي الله عنه — حين قال له : ما تذكر؟ قال:

---

(١) أمالي الشريف المرتضى « ١ : ١٨٨ الطبعة الاولى » .
(٢) البلدان « ص ٧٣ ، ٧٤ ، طبعة النجف » .
(٣) معجم البلدان في « الحيرة »

« أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون » فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر براً فصار من البحر في هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا (١) .

وسيأتي قول اسحاق بن ابراهيم الموصلي :

حُفّت ببر وبحر من جوانبها   فالبرُّ في طرف والبحر في طرف(٢)

ولكننا لا نعد ذلك تصديقاً لوجود بحر حقيقي ، وإنما نفهم أن الفرات كان يسيح مـــاؤه في تلك البطاح ويرفده الخندق الذي شقه سابور ذو الأكتاف « ٣١٠ – ٣٨٠ م » في غربي الفرات بين أعالي العراق الغربية وأسافله ، وترفده كذلك الاودية التي تأتي من النجاد الغربية من صحراء السماوة القديمة من شمالي جزيرة العرب ، فتتكـــون بطائح واسعة ترى كأنها البحر وكان من بقاياها « بحر الشنافية » و « بحر النجف » المعروف الاسم حتى اليوم (٣) ، ولا يبعـــد

(١) مروج الذهب « ١ : ٦٢ طبعة المطبعة البهية بمصر .

(٢) الأغاني « ٥ : ٣٥٦ » من مطبعة دار الكتب المصرية . ومعجم البلدان في «النجف».

(٣) اما منبع بحر النجف فهو منخفض واقع على الفرات من الجنوب الشرقي من الحيرة عرف في عصورنا الاخيرة باسم (القرنة) وهو غير (القرنة) الواقعة على ملتقى دجلة والفرات، ومنخفض اخر لا يبعد كثيرا عن (القرنة) يعرف (بالمدلك) وبين هذين المنخفضين منخفض اخر سمي بالفتحة : وقد وجدت الفيضانات العالية في هذه المنخفضات المتقاربة ما يساعد على اندفاع الميـــاه وانحدارها من الفرات الى المنخفضات الواسعة من الاراضي المتصلة بالحيرة والنجف وتكون بسبب ذلك ــ بحر النجف ــ وقد تغير بسبب ذلك مجرى نهـــر الفرات عدة مرات ، ويتضح من تتبع التاريخ ان محاولات متعددة لسد هذه المنابع وقطع الصلة بين الفرات وبحر النجف قـــد حدثت بقصد استصلاح الاراضي الزراعية وتنظيم طـــرق المواصلات النهرية فكان هذا البحر يجف زمنا ثم يعود مرة اخرى حين تكون مناسيب مياه الفيضان قد تجاوزت الحدود المألوفة بحيث تهدم السدود الترابية وتقلعها من اساسها . وكانت في مثل هذه الحالة، تقوم السفن بنقل المؤون والبضائع التجارية، والزوار والمسافرين والقادمين من البصرة مارة بالسماوة والشنافية وسالكة طريق هذه المنخفضات ، وراسية في النجف بالقرب من بستان السيد صقر المعروف بالجربوية اليوم الواقع على بعـــد كيلومترين من جنوب سور مدينة النجف (البساعدي ــ الايمان ــ ١ــ٢)

اتصال هذه البطائح ببحر فارس ، كما نقل ياقوت من زعم الناس في مادة الحيرة من معجم البلدان ، قال : « الحيرة بالكسر ثم السكون مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به » فخندق سابور كان واسعاً وعميقاً ويتصل ببحر فارس في الخليج المعروف اليوم بخور عبدالله ، لأنه إنما حفره ووسّعه ليحمي بلاده من هجمات العرب الخاطفة ولاخصاب الأرض للأعراب الموالين له.

وقد وصف المستر بارلو هذا القسم من نهر الفرات كما شاهده في سنة ١٨٨٩م ١٣٠٦هـ فقال : ان النهر المسمى نهر الهندية يجري في الجهة اليمنى من الفرات وهو يحمل نصف مياه الفرات فيترك مدينة كربلاء على جهته الغربية، واطلال بابل في الجهة الشرقية ، ثم يصل الى مدينة النجف فيصب هناك في بحيرة تسمى (بحر النجف) يبلغ طولها ٦٠ ميلا وعرضها ٣٠ ميلا ، (نفس المصدر)

والمياه بعد ان تتجمع في بحرالنجف تتغلب عليها المواد المعدنية وتغدو مياهها كمياه البحر مالحة وغير صالحة للافادة منها ولكن هذا البحر كان خير طريق للمواصلات بين النجف وسائر الجهات العراقية ، بل وحتى بين النجف وخارج العراق ، فقد ذكر المستر بارلو ان اكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف كانوا يسلكون طريق الفرات (فالبطشان) لشط (الشنافية) وان سفنا كبيرة ذات حمولة خمسين طنا تمر من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ج٢ ص٢٦٥)

ومن المحاولات الاخيرة التي جرت في سد تلك الفتحات النهرية التي تتسرب منها مياه الفرات الى بحر النجف محاولة وقعت سنة ١٣٠٥ — ١٨٨٧م وقد تم بها احكام السدود وانقطاع المياه عن بحر النجف . وتحولت من هناك مراسي السفن الى (الكوفة) التي اطلق عليها اسم (شريعة الكوفة) لهذا السبب ، (المصدر السابق)

ولم تمر بضع سنوات حتى تدفقت المياه مرة اخرى من جانب (القرنة) وكانت اراضي البحر الجاف هذا قد استصلحت وزرعت ، وانتجت عددا كبيرا من النخيل والاثمار وسدت حاجة النجف من الخضر ، فغمرها البحر وقضى على جانب كبير من مزروعاتها الامر الذي دعا الى مضاعفة الجهود لاحكام هذه السدود في تلك المواضع من نهر الفرات . ومنذ اكثر من اربعين سنة وبحر النجف يجف تماليا بسبب تقدم الفن الهندسي ومعالجة السدود معالجة فنية .

وهذا الماء المختلط المتبطح مذكور الخبر في السيرة، فقد جاء في أخبار عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل أن المثنى بن حارثة الشيباني قال له ﷺ : « قد سمعت مقالتك يا أخا قريش . . وإنا إنما نزلنا بين صريين اليمامة والسماوة » فقال النبي ﷺ . « ما هذان الصريان ؟ « فقال : » أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وإما ماكان مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول (١)» وجاء في الفائق للزمخشري « لما أحضر (النبي) بني شيبان وكلم سراتهم قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرتين اليامة والشمامة ، فقال ﷺ : وما هاتان الصيرتان ؟ فقال : انهار كسرى ومياه العرب ، نزلنا بينهما (٢) » قال الزمخشري : « الصيرة : فعلة من صار يصير وهي الماء الذي يصير اليه الناس ويحضرونه ، ويقال للحاضرة مسيرة وقد صاروا إذا حضروا الماء (٣) ، وقال ابن الأثير المبارك : « في حديث عرض نفسه ﷺ على القبائل : وإنما نزلنا الصريين : اليمامة والسمامة . هما تثنية صرى وهو الماء المجتمع ، ويروى الصيرين وسيجيء في موضعه » . ثم قال : « وفي حديث عرضه على القبائل ، قال له المثنى : إنا نزلنا بين صيرين اليمامة والسمامة ، فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب وأنهار كسرى » قال المبارك : « الصير : الماء الذي يحضره الناس وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء ، ويروي بن صيرتين وهي فعلة منه . . »

وإذ ذكرنا السبب في حفر سابور ذي الاكتاف الخندق العظيم المنسوب اليه نذكر ما يؤيده من تاريخ الطبري من أخبار هجوم العرب على أطراف المملكة

---

(١) الروض الانف « ١ : ٢٦٥ »

(٢) الفائق « ١ : ٥٩٠ طبعة القاهرة »

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر « ٢ : ٢٦٣ و ٣ : ٨ »

الساسانية وتوغلهم فيها وإمعانهم في أقطارها .

قال أبو جعفر الطبري في أخبار ملوك الفرس الساسانيين تحت عنوان «سابور ذو الأكتاف» : « ثم ولد سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام .. مملكاً بوصية أبيه هرمز له بالملك ، فاستبشر النـــاس بولادته وبثوا خبره في الآفاق وكتبوا الكتب ووجهوا به البُرُد الى الآفـــاق والأطراف ، وتقلد الوزراء والكتاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيـــه ، ولم يزالوا على ذلك حتى فشا خبرهم وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم (كذا) وأن أهلها إنمـــا يتلومون صبياً في المهد لا يدرون مـــا هو كائن من أمره ، فطمعت في مملكتهم الترك والروم ، وكانت بلاد العرب أدنى البلاد الى فارس وكانوا من أحوج الأمم الى تناول شيء من معـــايشهم وبلادهم لسوء حالهم وشظف عيشهم فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى أناخوا على إيرانشهر وسواحل أردشير خره وأسياف فارس وغلبوا أهلهـــا على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس لعقدهم تاج الملك على طفل من الأطفال وقـــلة هيبة النـــاس له حتى تحرّك سابور وترعرع ... حتى تمّت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيـــل واشتد عظمه .. ثم انتخب الف فارس من صناديد جنده وأبطالهم وتقدم اليهم في المضي لأمره ونهاهم عن الابقاء على من لقوا من العرب والعرجة على إصابة مال ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارون وقتل منهم أبرح القتل وأسر أعنف الأسر وهرب بقيتهم ثم قطع البحر في أصحابه فورد الخط واستقرى بلاد البحرين يقتل أهلهـــا ولا يقبل فداءاً ولا يعرّج على غنيمة ثم مضى على وجهه فورد هجر وبهـــا ناس من اعراب تميم وبكر بن وائـــل وعبد القيس فأفشى فيهم القتل وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن ينجيه منه

غـار ولا جبل ولا جزيرة في بحر ثم عطف الى بلاد عبد القيس فأباد أهلهـا الا من هرب منهم فلحق بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب إلّا غوّره ولاجبّ من جبـابهم ، إلّا طمـّة ثم أتى قرب المدينة فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام فقتل من وجد بهـا من العرب وسبى وطم مياههم وانه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمها هيج والخط ، ومن كان عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر ومن كان من بكر بن وائل كرمان وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بـلاد الأهواز وانـه أمر فبنيت بأرض السواد مدينة فسماها بزرج سابور وهي الأنبار (١) .. »

وذكر الطبري بعد ذلك تملك لليـانوس (يوليانس) في المملكة الرومية وحشده جموعاً من الروم والخزر ومن كان في مملكته من العرب ليقاتـل بهم سابور وجنود فارس ، وقـال : « وانتهزت العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور ومـا كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة الف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقـة الروم بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس ... وإن من كان في عسكر لليانوس من العرب سألوه ان يأذن لهم في محاربة سابور ، فأجابهم الى مـا سألوه ، فزحفوا الى سابور فقاتلوه ففضوا جمعه وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب سابـور فيمن بقي من جنده واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون (المدائن) محلة سابور ، وظفر ببيوت اموال سابور وخزائنه فيها ، وذكر بعد ذلك استرداد سابور مدينـة طيسبون وهزمه لجيوش ملك الروم ثم قال: وإن سابور ضري بقتل العرب ونزع

---

(١) الطبري « في تاريخ الأمم والملوك» ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ طبعة المطبعة الحسينية بالقاهرة ».

أكتاف رؤسائهم إلى ان هلك وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الاكتاف . وذكر بعض اهل الاخبار ان سابور بعد ان اثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا اليها مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ثم هبط الى الشام » . [١]

وقال الطبري : ثم استصلح (سابور) العرب وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوّج والأهواز. . وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مضر وربيعة امرؤ القيس البدء بن عمرو بن عديّ بْن ربيعة بن نصر فاستعمل سابور على عمله ابنه عمرو بن امرىء القيس » . [٢]

خندق سابور ذي الاكتاف
« كري سعدة »

قال ياقوت الحموي : وخندق سابور في برية الكوفة ، حفره سابور بينه وبين العرب خوفاً من شرهم ، قالوا : كانت هيت وعانات مضافة إلى طسّوج الأنبار ، فلما ملك انو شروان (٥٣١ – ٥٧٩ م) بلغه أن طوائف من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية ، فامر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب البادية وأمر بحفر خندق من هيت يشق طفّ البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية من السواد ، فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك الخندق ، من طسوج شاه

(١) المرجع المذكور « ٦٨ ، ٦٩ »
(٢) المرجع المذكور « ص ٧٠ »
(٣) معجم البلدان في مادة « خندق » .

فيروز لأن عانات كانت قرى مضمومة الى هيت (١) » . وقال في المشترك : « وخندق سابور في برية الكوفة ، كان سابور ذو الاكتاف أمر بحفره ليكون مانعاً للعرب من العيث في أرض السواد (٢)» .

وقال صفي الدين بن عبد الحق في مراصد الاطلاع : « وخندق سابور في برية الكوفة ، حفره سابور ملك الفرس بينه وبين العرب من هيئة(٣)يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح (٤) » . وهذا يعني أنه كان متصلاً بما يسمى خور عبدالله .

وقال ياقوت أيضاً : « والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه - وهي أرض بادية قريبة من الريف ، فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم ، وذلك أن سابور أقطعهم أرضاً يعتملونها من غير أن يلزمهم خراجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه ﷺ غلبت العرب على طائفة من تلك العيون ، وبقي بعضها في أيدي الأعاجم (٥) »

وقال البلاذري : « قالوا : كانت عيون الطف من عين الصيد والقطقطانة وعين جمل وذواتها للموكلين بالمسالح التي وراء السواد وهي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق وغيرهم ، وذلك ان سابور

---

(١) معجم البلدان في مادة خندق .

(٢) المشترك « ١٦٠ » .

(٣) في نسخة « من هيت » .

(٤) سيأتي فيما بعد هذا أن من مسالحه الحصن العظيم المعروف اليوم بالأخيضر ، ومن مناظره القائمة اليوم « الموجدة » .

(٥) المراصد في مادة خندق

أقطعهم أرضاً فاعتملوها من غير ان يلزمهم لها خراجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه ـ ﷺ ـ غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي في أيدي الأعاجم بعضها ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمست عامة ما في أيديهم منها وبقي الذي في أيدي العرب فاسلموا عليه وصار ما عمروه من الأرضين عشرياً (١) .

ولا يزال تحقيق خندق سابور واضحاً في غربي النجف وموضع الحيرة وكربلا ويعرف « بكري سعدة (٢) » ولا تزال قائمة من مسالح سابور ذي الاكتاف مسلحة عظيمة تعرف (بحصن الأخيضر) وهو مشيد في أرض بسيطة بين تلال وأطلال متعادية ، وكأن الأرض التى أنشىء فيها كانت السهل الوحيد المؤدي الى بلاد السواد لمن يقصدها من الفرسان ، وكان الحصن هذا هو الذي حاصر خالد بن الوليد جنوده وحاميته ، قال البلاذري : « قالوا وأتى خالد بن الوليد رجل دلّه على سوقة يجتمع فيها كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاعة فوق الأنبار فوجه اليها المثنى بن حارثة فأغار عليها فأصاب ما فيها وقتل وسبى ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها وكانت مسلحة للأعاجم عظيمة ، فخرج أهل الحصن فقاتلوا ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الأمان، فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى ، ووجد في كنيسة هناك جماعة سماهم (٣) .. » .

---

(١) فتوح البلدان «طبعة المطبعة المصرية ص ٢٩٦»

(٢) لا ندري من سعدة هذه التي نسب الخندق اليها وسيأتي في أخبار دير اللج بالحيرة قول اسماعيل بن عمار الأسدي : ما أنس سعدة والزرقاء يومهما فراغ باللج شرقية فوق الدكاكين .

(٣) فتوح البلدان « ص ٢٤٨ » .

النجف

مصحة قديمة

وكان النجف ولا يزال كذلك طيب المناخ ، عذي الأرض والهواء مصحة للأجسام العليلة ، ومنجاة من الأمراض الوبيلة ، وقد أيد ذلك الاختبار والأخبار والأشعار ، ومن ذلك قول اسحاق بن ابراهيم الموصلي :

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف	نحي داراً لسعدى ثم ننصرف
لم ينزل الناس من سهل ولا جبل	أصفى هواءاً ولا أعذى من النجف
حفت ببرّ وبحر من جوانبها	فالبرّ في طرف والبحر في طرف
وما يزال نسيم من يمانية	يأتيك منها بريّا روضة أنف
كأن تربته مسك يفوح به	أو عنبر دافه العطار في صدف(١)

وقال الجاحظ : « هرب رجل من الطاعون الى النجف أيام شريح ، فكتب اليه شريح : أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقاً وإن المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل رزقاً وإن النجف من ذي قدرة لقريب (٢) . »

---

(١) الأغاني « ٣٥٦ ، ٣٥٧ » و ج ٩ ص ٢٨٥ طبعة دار الكتب المصرية ، ومعجم البلدان في رسم « النجف » .

(٢) البيان والتبيين « ٢ : ٢٠٣ طبعة مطبعة لجنة التأليف بمصر » .

وكان هذا فضولاً من شريح – رحمه الله – فلو أتبع قوله لم يستكشف مريض ولا استوصف الأطباء ، ولا شرب الدواء لدفع الأدواء ، ولا أحسن السكن والغذاء ، ومن أجل صفاء الماء والهواء وعذاوة الأرض بنى المناذرة قصرهم المشهور « الخورنق » قرب النجف ، قال ياقوت الحموي : « الخورنق » . الذي عليه أهل الأثر والاخبار أن الخورنق قصر كان بظهر الحيرة وقد اختلفوا في في بانيه فقال الهيثم بن عدي : الذي أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن الحارث بن لخم ... ملك ثمانين سنة وبنى الخورنق في ستين سنة بناه له رجل من الروم يقال له سنمار .. وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً وكان من أشد الملوك بأساً ، فبينما هو ذات يوم جالس في مجلسه في الخورنق فأشرف على (النجف) وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والانهار فقال لوزيره : أرأيت مثل هذا المنظر وحسنه ؟ فقال : لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم . فقال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة . قال : فبم ينال ذلك ؟ قال : بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه في ليلة ولبس المسوح وخرج مختفياً هارباً لا يعلم به أحد ولم يقف الناس على خبره الى الآن . » ثم ظهر تخليه من الملك ولحاقه بالنساك في الجبال والفلوات فما رؤي بعد ذلك ويقال إن وزيره صحبه ومضى معه ، وفي ذلك يقول عدي بن زيد :

وتبيّنْ رب الخورنق إذ أشـ ـرفَ يوماً وللهدى تفكير
سرّه ما رأى وكثرة ما يـ ـملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبـ ـطة حيٍّ الى الممات يصير ؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمـ ـرة وارتهم هناك القبور

ثم صاروا كأنهم ورق جف　　فـألوت به الصبا والدبور

وقال ابن الكلبي : صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزد جرد بن سابور ذي الاكتاف وذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد وكان لحق ابنه بهرام جور في صغره علة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل مريء ، صحيح من الادواء والأسقام ليبعث بهرام اليه خوفاً عليه من العلة فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلده الى أرض العرب ويسقى أبوال الابل وألبانها فأنفذه الى النعمان وأمره أن يبني له قصراً مثله على شكل بناء الخورنق فبناه له وأنزله إياه وعالجه حتى برأ من مرضه ثم استأذن أباه في المقام عند النعمان فأذن له فلم يزل عنده نازلاً قصره الخورنق حتى صار رجلاً ومات أبوه فكان من أمره في طلب الملك حتى ظفر بما هو متعارف مشهور . »

وذكر كريستنسن في كتابه (إيران في عهد الساسانيين) في كلامه على سيرة يزد جرد وأبنائه ، قال : « والمؤكد ان بهرام كان يعيش في قصر الخورنق بالحيرة وهو القصر الذي ينسب بناؤه الى النعمان اللخمي ولكن تاريخه يرجع بغير شك الى تاريخ أقدم زماناً (١) » . وتطرق هذا المؤلف في الصفحة ٤٤٢ الى بناء سنار للخورنق .

وذكر أبو بكر أحمد بن مروان المالكي ، بسنده عن هرون بن عنترة عن أبيه قال : « دخلت على علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل بنفسك هذا ؟ فقال : اني والله لا أرزأمن أموالكم شيئاً وهذه القطيفة التي أخرجتها من بيتي (أو قال) من المدينة (٢) .

---

(١) ايران في عهد الساسانيين « ص ٢٦٠ من الترجمة العربية ليحيى الخشاب »
(٢) المجالسة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٨١ الورقة ٥ »

النجف والحيرة

الحيرة المدينة العربية المشهورة في تاريخ العرب وجغرافية بلادهم أنشئت في منطقة النجف وكان ينبغي أن تضاف اليه فيقال « حيرة النجف » الا أن العادة جرت بتعريف الغامر بالعامر فأضيف النجف الى الحيرة فقيل « النجف الحاري » أي النجف الحيري ، قال ياقوت : ولبعض أهل الكوفة :

وبا (النجف الحاري) ان زرت أهله ... مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو في غير ريبة ... عفائف باغي اللهو منهن آيس
يردن اذا ما الشمس لم يخش حرّها ... ظلال بساتين جناهن يابس
إذا الحر آذاهن لذن بفيئه ... كما لاذ بالظل الظباء الكوانس
لهن اذا ما استعرضتهن عشية ... على ضفة النهر المليح مجالس
يفوح عليك المسك منه وان تقف ... تحدث وليست بينهن وساوس
ولكن نقيات من اللؤم والخنا ... إذا ابتزعن أبشارهن الملابس(١) .

ويؤيد ذلك أن ياقوتاً الحموي قال في ذكر الحيرة « .. مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف » ، وأن حنيناً الحيري

---

(١) معجم البلدان في « النجف » .

المغني الذي ذكرناه آنفاً افتخر بأن منزله « النجف » في بيته المقدم ذكره :

أنا حنين ومنزلي النجف   وما نديمي إلا الفتى القصف

وقال بعده :

أقرع بالكأس ثغر باطية   مترعة تارة وأغترف

والعيش غض ومنزلي خصب   لم تغذني شقوة ولا عنف(١)

أما قول البحتري :

آمق الكوفة أرضاً وأرى   (نجف الحيرة) أرضاها وطن

فقد جرى فيه على العادة التي ذكرنا آنفاً ، والحقيقة أن الحيرة هي (حيرة النجف) كما ألمعنا اليه من قبل .

مباني منطقة النجف ومآثرها

١ الاكيراح . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « أكيراح : بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وراء وألف مهملة ... وهي في الأصل القباب الصغار ». قال الخالدي: الاكيراح رستاق نزه بأرض الكوفة ، والاكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم ، يقال لواحدها (كرح) بالقرب منها ديران يقال لأحدهما (دير مر عبدا) وللآخر (دير حنة) وهو وضع بظهر الكوفة...» وقال أبو عبيد البكري : في معجم ما استعجم : « الأكيراح : بضم أوله تصغير أكراح بالراء والحاء: موضع بالحيرة ، وموضع أيضا آخر بالبليخ يقال له الأكيراح ـ وإياه يعني ـ الأول ـ عن الحكمي بقوله : (يا دير حنة من ذات الأكيراح)

(١) الأغاني « ٢ : ٣٤١ طبعة دار الكتب المصرية »

وسيأتي ذكره في باب الديارات ».

٢ ـ الغريان، قال ياقوت الحموي: « الغريان: تثنية الغري وهو المطلي بالغراء . . . والغري نصب كان يذبح عليه العتائر، والغريان طربالان وهما بناآن كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ .. بناهما المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء وكان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة والآخر عمر بن سعود فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فامر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين، فلما أصبح استدعاهما، فأخبر بالذي أمضاه فيهما، فغمه ذلك وقصد حفرتهما وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان، فقال المنذر: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري: لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه كل ما يلقاه، ويغري بدمه الطربالين، فان رفعت له الوحش طلبتها الخيل وإن رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ما يعن ويطليان بدمه. ولبث بذلك برهة من دهره وسمى أحد اليومين (يوم البؤس) وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من الساان وغيره، وسمى الآخر (يوم النعيم) يحسن فيه الى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم (١) . . . وجدت بخط أبي بكر السراج... مر معن بن

---

(١) روى المسعودي عن (الغريين) رواية على ضعف احتمال وقوعها فان ايرادها هنا متمم للفائدة، جاء في الجزء الثاني من مروج الذهب صفحة ٢٥٢ من طبع المطبعة البهية بمصر ما يلي:

« روى ابن عياش ان المنصور كان قد ضم الشرقي بن القطامي الى المهدي حين خلفه بالري وامره ان ياخذ بحفظ ايام العرب ومكارم الاخلاق ودراسة الاخبار، وقراءة الاشعار، فقال له المهدي ذات ليلة يا شرقي ارح قلبي بشيء يلهيه، قال نعم اصلح الله الامير: ذكروا انه كان في ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة، وكانا لا يفارقانه في لهوه، ومنامه، ويقظته، وكان لا يقطع امرا دونهما، ولا يصدر الا عن رايهما، فعبر بذلك دهرا طويلا فبينا هو ذات ليلة في شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال

عقله فدعا بسيفه وانتضاه ، وشد عليهما فقتلهما !! وغلبته عيناه فنام ، فلما اصبح سأل عنهما فاخبر بما كان منه فاكب على الارض عاضا لها ، متأسفا عليهما ، وجزعا لفراقهما، وامتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب شرابا يزعج قلبه ما عاش ، وواراهما وبنى على قبريهما قبة وسماها (الغريين) وسن ان لا يمـر بهمـا احد من الملك فمن دونه الا سجد لهما، وكان اذا سن الملك سنة توارثوها، واحيوا ذكرها ولم يميتوها، وجعلوها عليهم حكمـا واجبا ، وفرضا لازمـا ، واوصى بهـا الاباء اعقابهم ، فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر احد من صغير ولا كبير الا سجد لهما ، فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحكم فيمن ابى ان يسجد لهما بالقتل بعـد ان يحكم لهمـا بخصلتين يجـاب اليهمـا كائنا ما كان ، قـال فمر يومـا قصار معه كارة ثياب وفيهـا مدقته ، فقـال الموكلون (بالغريين) للقصـار اسجد ، فابى ان يفعل ، فقالوا له : انك مقتول ان لم تفعل ، فابى ، فرفعوه الى الملك واخبروه بقصته ، فقال : مـا منعك ان تسجد ؟ قال سجدت ولكن كذبوا علي فقال : الباطل قلت، فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليهمـا ، واني قاتلك ، قال : لا بد من قتلي بقول هؤلاء ؟ قال لا بـد من ذلـك ، قال فاني احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ... قال له الملك : يـا جاهل لو حكمت علي ان اجـري على مـن تخلف وراءك مـا يغنيهم كـان اصلح لهم ، قال مـا احكم الا بضربة لرقبة الملك ، فقال الملك لوزرائه : مـا ترون فيمـا حكم به هـذا الجاهل ؟ قالوا : نرى ان هذه سنة ، وانت اعلم بمـا في نقض السنن من العـار والشنـار ، وعظم الاثم ، وايضا انك متى نقضت سنة نقضت اخرى ، ثـم يكونذلك لمن بعـدك كمـا كان لك فتبطل السنن ، قـال : فارغبوا الى القصار ان يحكم بمـا شـاء ويعفيني من هذه فاني اجيبه الى مـا شـاء ولو بلغ حكمه شطر ملكي ، فرغبوا اليـه ، فقال : مـا احكم الا بضربة في عنق الملك ، قال : فلما رأى الملك ذلك ومـا عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما واحضر القصـار ، فابدى مدقته وضرب بهـا عنق الملك ، فاوهنه وخر مغشيا عليـه ، فاقام لما به سنة وبلغت بـه العلة الى ان كـان يسقى الماء بالقطن ، فلمـا افـاق ، وتكلم ، واكل ، وشرب ، واستقل ، سأل عـن القصـار ؟ فقيل انه محبوس ، فامر باحضاره فحضر ، فقـال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فاني قاتلك لا محـالة اقامة للسنة ، قـال القصـار : فاذا كـان لا بد من قتلي فاني احكم ان اضرب الجانب الاخر من رقبة الملك مرة اخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال : ذهبت والله نفسي اذن ، ثم قـال للقصار : ويلك دع عنك مـا لا ينفعك فانه لم ينفعك منه مـا مضى واحكم بغيره ، وانفذه لك كائنـا ما كان ، قال : ما ارى حقي الا ضربة اخرى ، فقال الملك لوزرائه مـا ترون ؟ قالوا تمـوت على السنة ، قال ويلكم ان ضرب الجانب الاخر مـا شربت الماء البارد ابدا ، لاني اعلم ما قد نالني ، قالوا : فمـا عندنـا حيلة ، فلما راى ما قد اشرف عليه قـال للقصار : اخبرني الم اكن قد سمعتك تقول يوماتى بك الموكلون (بالغريين) انك قد سجدت وانهم كذبوا عليك ؟ قال قد كنت قلت ذلك فلم اصدق ... قال فكنت سجدت ؟ قال نعم ...

فوثب من مجلسه وقبل راسه ، وقال اشهد انك صـادق ، وانهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت اليك باسهم وامرهم ... »

زائدة بالغريين فرأى أحدهما وقد شعث وهدم فأنشأ يقول :

لو كان شيء له أن لا يبيد على   طول الزمان لما باد الغريان
ففرق الدهر والأيام بينهما   وكل إلف إلى بين وهجران (١)

٣ – دير الحريق ، قال ياقوت : « سمي بذلك لأنه أحرق في موضعه قوم ثم دفن فيه قوم من أهل من أحرقه هناك وعمل ديراً ... ووجدته بخط ابن حمدون بالخاء المعجم – في الشعر والترجمة ... وهو بالحيرة قديم وفيه يقول الثرواني : (٢)

دير الحريق فبيعة المزعوق   بين الغدير فقبة الشنيق
أشهى الي من الصراة ودورها   عند الصباح ومن رحى البطريق
فاغدوا بناكر من ذخائر عتبة   الخمار من صافي الدنان رحيق
يا صاح واجتنب الملام أما ترى   سمجاً ملامك لي وأنت صديقي (٤)

وقال ابن فضل الله العمريّ : «دير الحريق قديم ، هو بالحيرة ، بناه النعمان بن المنذر على ولد كان له ، عدي عليه وأحرقه فيه ، والى جانبه قبة تعرف بقبة السنيق وتعرف بقبة غصين وهما راهبان نسبتا إليهما وهما بديعتا البناء ، وفي الدير وفيها يقول الثرواني :

دير الحريق وقبة السنيق   مغنى لحليف مدامة وفسوق
وطن لفرقته شرقت بدمعتي   ولرحلتي عنه غصصت بريقي

حكى حمزة بن أبي سلامة قال : كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير

---

(١) الغريان من معجم البلدان . (٢) هو محمد بن عبد الرحمن . (٣) الصراة نهر كان يأخذ من نهر عيسى المتخلج من الفرات ويصبه فرع منه الى دجلة عند موضع اعدادية الكرخ الحالية البنين. (٤) معجم البلدان في «دير الحريق» .

الالمام بالديرة فباكرني في يوم شعانين (١) وقال لي : أعزم بنا اليوم على الشرب في دير الحريق لأنه يوم سيقصده فيه خلق ، ولي به صديق من رهبانه ظريف ، مليح القلاية جيد الشراب فهلم نتنزه أعيننا فيما نراه من الجواري والغلمان ثم نعدل الى قلاية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض ، فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان في الحلي والحلل ما لم أر مثله قط ، فلم يزل يعبث ويتعرض ويقبل ويعانق ـ وكان معروفاً بذلك فما أحد ينكر عليه فعله إلى بعد الظهر ، ثم أتينا قلاية صديقه الراهب ، فلقيه بالاكرام والترحيب، فدخلنا قلايته فما رأينا أنظف من آلاتها ولا أنضر من بستانها ، ثم قدم لنا شيئاً من طعامه ، فأصبنا منه ثم صعدنا سطحها وجلسنا ننظر الى منظر يبهر حسناً وجمالاً من رياض وغدران وطير تصفر ، ونحن نشرب حتى ثملنا ونمنا هناك ، وغدونا على الكوفة ، فقلت له : تترك هذا اليوم مع حسنه عاطلاً من حلي شعرك ؟ فقال : لا والله ولقد عملت في ليلتي هذه ، هذه الأبيات ثم أنشدني:

خرجنا في شعانين النصارى وشيعنـا صليب الجاثليق
فلم أر منظراً أحلى بعيني من المتقيّنات على الطريق
حملنا الخوص والزيتون حتى بلغن به الى (دير الحريق)
أكلناهن باللحظات عشقاً وأضمرنا لهن على الفسوق (٢)

٤ ـ دير الاسكون (٣) ، قال ياقوت : « هو بالحيرة ـ راكب على النجف وفيه قلالي وهياكل وفيه رهبان يضيفون من ورد عليهم وعليه سور عال حصين

---

(١) عيد الشعانين . عيد السعانين هو عيد الأحد الذي قبل الفصح ويقال فيه عيد الشعانين أيضاً (المنجد)

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الامصار « ١ : ٣١٥-٣١٦ »

(٣) قال ياقوت : « بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكاف مضمومة وآخره نون »

وعليه باب حديد ومنه يهبط الى غدير بالحيرة ، أرضه رضراض ورمل أبيض وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة. .»

ونقل ابن فضل‌الله العمري وصفه من كتاب « ديارات الحيرة » وظهر أن ياقوتاً الحموي نقل من المرجع نفسه وزاد العمري قوله : « قال ــ يعني مصنف ديارات الحيرة ــ : واليه تجتمع النصارى في أعيادهم وفي كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة فاذا كان يوم الشعانين أتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصلبهم وأعلامهم فاذا استتموا فيه وفي القصر الأبيض والعلالي المدانيّة خرج أسقفهم بهم الى مكان يعرف بقبيبات الشعانين (وهي قباب على ميل من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك الى آخره ولكل منهم يومئذ شأن يغنيه » .

٥ ــ دير حنة ، قال ياقوت الحموي : « هو دير قديم بالحيرة منذ أيام بناه المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع ، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبني أوس بن عمرو بن عامر ، وفيه يقول الثرواني :

يا دير حنة عند القائم الساقي ... إلى الخورنق من دير ابن براق
ليس السلو وإن أصبحت ممتنعاً ... من بغيتي فيك من شكلي وأخلاقي
سقياً لعافيك من عاف معالمه ... قفر وما فيك مثل الوشم من باق

ودير حنة بالأكيراح الذي قيل فيه : « يا دير حنة من ذات الأكيراح » هذا أيضاً بظاهر الكوفة والحيرة ، لا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره وقد ذكر شاهده في الأكيراح » . وقد كان قال في الأكيراح : . . بالقرب منها ديران يقال لأحدهما (دير مر عبدا) وللآخر (دير حنة) وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض ، وفيه يقول أبو نواس :

---

(١) « ١ : ٣١٢ »

يا دير حنـــة من ذات الأكيراح ... من يصح عنك فاني لست بالصاحي
يعتـــاده كل مجفـو مفارقـــه ... من الدهان عليه سحق أمساح
في فتية لم يـــدع منهم تخوفهم ... وقوع مـــا حذروه غير أشباح
لا يدلفون الى مـــاء بباطية (١) ... إلا اغترافاً مـــن الغدران بالراح

قرأت بخط أبي سعيد السكري (حدثني أبو جعفر أحمد بن أبي الهيثم البجلي قال رأيت الأكيراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة مما يلي مغرب الشمس من الحيرة وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها المـاء) . . . وقال بكر بن خارجة :

دع البساتين من آس وتفـــاح ... واقصد الى الشيح من ذات الأكيراح
الى الدساكر فالدير المقابلهـــا ... لدى الأكيراح أو دير ابن وضاح
منـــازل لم أزل حيناً الازمها ... لزوم عـــاد الى اللذات روّاح »

وقال ابن فضل الله العمري : « دير حنة بالحيرة من بناء نوح ، هكذا نقلته ولا أعرف من هو ، وإلى جانبه قائم ، حكى أحمد بن عمر الكوفي ، قـــال : كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال مهما وقع في يده من شيء أتى به الى دير حنة فيشرب فيه حتى يسكر ، ثم ينصرف الى أهله ويقول : يعجبني من الغراب بكوره في طلب الرزق وربما بات به ويقول :

تطـــاول ليلك بالزاويـــه ... وكان المبيت بهـــا عافيه
ومن تحت رأسك آجـــرّة ... وجنبك ملقىً على باريـــه
وذلك خير من الانصراف ... فتحكم فيك بنـــو الزانيه

(٢) في مسالك الأبصار نقلا من رواية أبي الفرج الأصفهاني : « لا يدلفون الى ماء بآنية »

وتصبح إمّا رهين السجون   وإمـا قتيلاً على ساقيه

قال : فوجد والله بعد أيام قتيلاً على ساقية وهو القائل :

ما لذة العيش عندي غير واحدة   هي البكور الى بعض المواخير
لحامل الذكر مأمون بوائقه   سهل القياد من الفره المدابير
حتى يحل على دير ابن كافرة   من النصارى ببيع الخمر مشهور
كانما عقد الزنّار فوق نقاً   واعتمّ فوق دجى الظلماء بالنور

وفيه قال الثرواني :

يومي بهيكل دير حنة لم يزل   غرُّ السحاب تجود فيه وتمرع
متجوش طوراً وطوراً شاهراً   بيض السيوف ودارة يتدرع

وكذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفي :

ألا سقي الخورنق من محل   طريف الروض معشوق أنيق!
أقمت بدير حنّته زمانا   بسكر في الصبوح وفي الغبوق
ومنا لابس اكليل زهر   ومختضب السوالف بالخلوق
كأن رياضه حسناً ونوراً   سحائب ذهّبت بسنا البروق
كأن تقاطر الأشجار فيه   إذا غسق الظلام قطار نوق
وماذا شئت من در الأقاحي   هناك ومن يواقيت الشقيق

وقد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهاني وقال « ذكره أبو نواس في شعره يعني في قوله : يا دير حنة من ذات الأكيراح .. قال : والأكيراح بلد نزه كثير البساتين والرياض والمياه ، قال وبالحيرة أيضاً موضع يقال له الأكيراح فيه دير »

والأكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان ، يقال للواحد منها الكرح » (١).

٦ ـ دير ابن مزعوق ، قال الشابشتي : « وهذا الدير بالحيرة في وسطها وهو دير كثير الرهبان، حسن العمارة، أحد المتنزهات المقصودة والأماكن الموصوفة، ولمحمد بن عبد الرحمن الثرواني فيه :

هل لك في مار فايثون وفي ... دير ابن مزعوق غير مختصر
ونسأل الأرض عن منابتها ... وعهدها بالربيع والمطـــر
يا لك طيباً وشم رائحة ... كالمسك يأتي بنفحة السحر
في شرب خمر وسمع محسنة ... تلهيك بين اللسان والوتر

والثرواني هـــذا كوفي من المطبوعين في الشعر والمنهمكين في البطالات والمتطرحين في الحانات والمدمنين لشرب الخمر ، والمفرقين في اتبـــاع المرد ، لا يعرف شيئاً غير ذلك ، ولا يوجد شيء من الدنيا إلا فيه وكان آخر أمره أن أصيب في حانة خمّار بين زقي خمر وهو ميت (٢) ...

وقال ياقوت في معجم البلدان : « دير المزعوق ويقال دير ابن المزعوق ، وهو قديم بظاهر الحيرة ، قال محمد بن عبد الرحمن الثرواني :

قلت لـــه والنجوم طالعـــة ... في ليـــلة الفصح أول السحـر
هـــل لك في مار فاثيون وفي ... دير ابن مزعوق غير مقتصر ؟

---

(١) في ذكر الأكيراح يقول جحظة

سقيا ورعيا لدير العلت من وطن ... لا دير حنـــة من ذات الأكيراح
وقال : بدائع لا لدير العلت هن ولا ... لدير حنـــة من ذات الأكيراح

« المسالك جـ ١ : ٢٩٥ - ٢٩٦ »

(٢) الديارات « ص ١٤٩ »

يفيض منه النسيم عن طرق الشام وريح الندى عن المـــدر (١)
ونسأل الأرض عـــن بشاشتها وعهدهـــا بالربيـــع والمطـــر
في شرب خمـــر وصدع محسنة تلهيك بين اللسان والوتر »

وأورد ابن فضل الله العمري ذكره قال : «دير ابن مزعوق هو بالحيرة قريب دير الحريق ، في أنزه البقاع زهراً ، ورقيق هواء وتدفق ماء ، وتشوق اليـــه الثرواني من بغداد فقال :

دير الحريـــق وبيعـــة المزعوق بـــين الغدير وقبـــة الشنيق
أشهى إلي من الصراة (٢) وطيبها عند الصباح من رحى البطريق(٣)
يا صاح فاجتنب الملام أما ترى سمجاً ملامك لي وأنت صديقي

وقد ذكره أبو الفرج وأنشد للثرواني فيه وفي (دير فاثيون) قوله : قلت له والنجوم جانحة ... » وذكر الأبيات المكتوبة آنفاً ثم قال : ودير فاثيون أسفل النجف ودير ابن مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح بأعلى النجف وفيه يقول الثرواني :

تقرّ بفضل عينك لي بوصل وفعلك لي مقـــرّ بالجحود
تشككني وأعلم أنّ هـــذا هوىً بين التعطف والصدود

وقال أيضاً :

كرّ الشراب على نشوان مصطبح قد هب يشربُها والديك لم يصح

---

(١) في المسالك «يفيض منه النسيم من طرف الشام ودر الندى على الشجر»
(٢) نهر الصراة كان من فروع نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد ونهر عيسى كان يأخذ ماءه من الفرات ، والصراة كان من المتنزهات
(٣) جـــاء في طبعة المسالك «١ : ٣١٦» دجى البطريق التصحيف ورحى البطريق من مواضع غربي بغداد ولها قصة مذكورة في تاريخ الخطيب .

والليل في عسكر جمّ بوارقه من النجوم وضوء الصبح لم يلحُ
والعيش لا عيش إلا أن تباكرها صهبــاء تقتل هم النفس بالفرح
حتى يظل الذي قد بات يشربها ولابراح بــه يختال كالمرح (١)

٧ ـ دير مارت مريم ، قال ياقوت في معجم البلدان : « دير مارت مريم : دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف وفيه يقول الشرواني :

بمارت مريــم الكبرى وظــلّ فِنائهــا فقف
فقصــر أبي الخصيب المشـ ـرف المرخي عــلى النجف
فأكناف الخــورنق والسـ ـديــر مــلاعب السلف
الى النخــل المكمم والحـ ـمائــم فــوقه الهتف

وقال ابن فضل الله العمري : « دير مارت مريم : هو بالحيرة من بناء المنذر وهمـا ديران متقابلان وبينهما مدرجة الحاج وطريق السابلة الى القادسية وهما مشرفان على النجف ومن أراد الخورنق عدل عن جادتها ذات اليسار ومن شعر الشرواني فيها :

دع الأيام تفعل ما أرادت إذا جادت بندمان وكأس
ومارت مريم والصحن فيه حدّيقتان من ورد وآس
وظــبي في لواحظ مقلتيه نعاس من فتور لا نعــاس
وخِل لا يحول عن التصابي ذكور للمودة غــير ناسي
ومحتضن لطنبور فصيــح يغنيني بشعر أبي نــواس

---

(١) المسالك « ١ : ٣١٧ »

وقد ذكره أبو الفرج وقال : كان قس يقال له يحيى بن حماد ويقال له يوشع (١) ، تألفه الفتيان ويشربون على سطحه وفي قلايته على قراءة النصارى وضرب النواقيس وفيه قال بكر بن خارجة أو غيره :

بلـــنا بمارت مريم ... سقياً لمــارت مريم

ولقسهـا يحيى المهي ... ثم بعــد نوم النوم

وليوشــع وخمـــره ... حمراء مثـــل العندم

ولفتية حفـّوا بـــه ... يعصون لوم اللـّوم

يسقيهم ظـــبي أغن ... لطيف غـلق المعصم

يرمي بعينيه القلوب ... كمثل رمي الأسهم »

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : « لما خرجت مع الواثق الى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها فرأيت دير مريم بالحيرة فأعجبني موقعه وحسن بنائــه فقلت :

نعم المحـل لمن يسعى للذتــه ... دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذي أسن ... وقاصرات كأمثال الدمى حور

فقال الواثق : لا نصطبح والله غداً إلا فيه ، وأمر أن يعدّ فيه مـا يصلح من الليل ، وباكرناه فاصطبحت فيه على هذا الصوت ، وأمر بمال ففرقه على أهل ذلك الدير ، وأمر لي بجائزة (٢) .

٨ ـ دير حنــــة الكبير ، قال ياقوت وقد نقلنا قوله آنفاً : « ودير حنة

---

(١) في كلامه انقطاع يدل على نقصان في النص أو سقوط جــار ومجرور فتكون العبارة : « كان فيه قس يقال يحي... »

(٢) الأغاني « ٥ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨ »

بالأكيراح الذي قيل فيه : يا دير حنة من ذات الأكيراح . هــذا أيضاً بظاهر الكوفة والحيرة ولا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره ، وقد ذكر شاهده في الأكيراح » . قلنا : ذكره ابن فضل الله باسم (دير خنة الكبير) قــال : « قال الخالدي هو بالحيرة في الأكيراح ، غير دير حنة الذي قدمنا ذكره ، يقال إنه بني حين بنيت الحيرة ، وكان من أنزه الديرة لكثرة بساتينه وتدفق مياهه. حكى جحظة عن بعض أهــل الحيرة قال : اجتاز عمر بن الفرج الرخجي منصرفاً من الحج فتلقيناه وأعظمناه وسرنا معه فلما اجتاز بدير حنــة سألنا عنه ، فعرفناه به ، فقال : من ذا الذي يقول : يا دير حنة من ذات الأكيراح ! ! فقــال له الحسين بن هشام الحيري : هذا لأبي نواس أفتحب أن أنشدك لشاعرنا الثرواني شيئاً يقرب من هذا المعنى في هذا الدير ؟ قال : قل . فأنشده :

على الريحـان والراح — وأيــام الأكـيراح
وإبريق كطير المـاء — في لجّــة ضحضاح
سلام يسكر الصاحي — ومـا فيه فتى صاحي
ومن لي فيه بالسكرة — عن وجه ابن وضاح
غزال صيغ من فتنة — أبـدانـ وأرواح
إذا راح الى البيعـة — في أثـواب أمساح
ففي كفيـه إفسادي — وفي كفيه إصلاحي

قــال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتباً معه يكتبها وخلع على الحسين بن هشام وأجازه » .

«وحكى جحظة قال : زرت ابراهيم بن المدبر ـ وكان بالكوفة ـ فأكرمني وأنس لي وأقمت عنده ثلاثة أشهر ، فجرى يوماً ذكر دير حنة ، فقــال ابن المدبر ، والله إني لأحب أن أراه وأشرب فيه ، فقد ذكر لي حسنه ، فأين هو

من الحيرة ؟ فدلّه إسحاق بن الحسين العلوي عليه وقال له : في هذه الأيام ينبغي أن يقصد لأنها أيام ربيع ورياض معتمّة بالزهر والغدران والبادية بقربه فلن نعدم اعرابياً فصيحاً يطير الينا ونحن فيه فيهدي إلينا بيض نعام ويجني لنا الكمأة . فتقدم ابن المدبر الى غلمانه باعداد ما يحتاج اليه ، وخرج وخرجت حتى وافيناه ، فاذا هو حسن البناء والرياض محدقة به ونهر الحيرة الذي يقال له الغدير بقرب منه ، فضربت لنا خيام عنده وخرج إلينا رهبانه وحملوا إلينا مما عندهم من التحف واللطف ، فأكلنا وجلسنا نشرب ، وغنيته بشعر أبي نواس المتقدم ، فبينا نحن كذلك إذ اجتاز بنا غلام حسن عارضه كأنه بدر على غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل ساحر اللحظ واللفظ، فشرب ابن المدبر على وجهه رطلاً وسقاه قدحاً واستأذنه الغلام في النهوض وقال : معي مصحف لا تتم للرهبان صلاة إلا بحضوره وهذا وقت صلاتهم وقد ضربوا الناقوس منذ ساعة. وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار وعملت شعراً صنعت فيه صوتاً فما زال صوته طول مقامه وهو ... » وذكر الأبيات ثم قال : « وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام ثم عدنا الى الكوفة وقد عملت في تلك الأيام وغنّيت فيه :

وبالحيرة لي يوم ويوم بالأكيراح
إذا عزّ بنا الماء مزجنا الراح بالراح

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال : كان في دير حنة خمار يقال له مر عبدا موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الحانة ، فحكى مرعبدا قال : ما شعرت يوماً وقد فتحت حانوتي وجلست الى جانب الهيكل الا بثلاثة فوارس قد اقبلوا من طريق السماوة في البر ، حتى وقفوا علي وهم متلثمون بعمائم الخز وعليهم حلل من القصب، فسلموا علي وأسفر أحدهم وقال: أنت مرعبدا وهذا

دير حنة ، ؟ قلت : نعم . قال ، قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة فاسقني رطلا . فبادرت فغسلت يدي ثم نقرت الدنان ونظرت أصفاها فبزلته ، فشرب ومسح يده وفمه بالمنديل ثم قال اسقني آخر . فغسلت يدي وتركت ذلك الدن وذلك القدح والمنديل ونقرت دنا آخر . فلما رضيت صفاره بزلت منه رطلا في قدح وأخذت منديلا جديداً فناولته اياه فشرب كالأول ، ثم قال : اسقني رطلا آخر فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل ، فشرب ومسح يده وفمه وقال لي : بارك الله فيك فما اطيب شرابك وانظفك وأحسن أدبك ، وما كان رايي ان أشرب اكثر من ثلاثة ارطال فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي الى شرب رابع فهاته . فناولته اياه على تلك السبيل ، فشرب وقال : ولولا اسباب تمنع من بيتك لكان حبيباً الي جلوسي يومي هذا فيه ، وولى منصرفاً في الطريق الذي بدا منه ورمى الي احد الراكبين اللذين كان معه بكيس ، فقلت : وحق النصرانية لا قبلته حتى أعرف الرجل . فقال : هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك وصفت له فأقبل من دمشق حتى شرب شرابك ورأى ديرك والحيرة . ثم انصرف فحللت الكيس فاذا هو اربعماية دينار (١) » .

٩ – دير هند الصغرى ، قال الشابشتي : « بنت هند هذا الدير بالحيرة وترهبت فيه وسكنته دهراً طويلا ثم عميت . وهذا الدير من اعظم ديارات الحيرة وأعمرها وهو بين الخندق وخضراء بكر ، ولما قدم الحجاج الكوفة سنة أربع وسبعين قيل له : ان بين الحيرة والكوفة ديراً لهند بنت النعمان وهي فيه ومن رأيها وعقلها ، فانظر اليها فانها بقية ، فركب والناس معه حتى اتى الدير . فقيل لها : هذا الامير الحجاج بالباب ، فاطلعت من ناحية الدير . فقال لها ، يا هند ما اعجب ما رأيت ؟ قالت : خروج مثلي الى مثلك فلا تغتر

---

١) المسالك « ١ : ٣١٩ – ٣٢٢ »

يا حجاج بالدنيا ، فانا أصبحنا ونحن كما قال النابغة :

رأيتك من تعقد له حبل ذمة   من الناس يامن سرحه حيث أربعا

ولم نمس الا ونحن اذل الناس وقل ما اناء امتلأ الا انكفأ . فانصرف الحجاج مغضباً وبعث اليها من يخرجها من الدير ويستأديها الخراج فاخرجت مع ثلاث جوار من اهلها ، فقالت احداهن في خروجها :

خارجات يسقن من دير هند   مذعنـــات بذلـــة وهوان
ليت شعري أأول الحشر هذا   أم محا الدهر غيرة الفتيان ؟

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من أشراط الحجاج وتغيب فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى، فقال : ان اتاني فهو آمن وان ظفر نابه قتلناه، فأتاه الفتى . فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال ! الغيرة . فوصله وخلاه وكان سعد بن ابي وقاص حين فتح العراق اتى هنداً الى ديرها ، فخرجت اليه، فاكرمها وعرض عليها نفسه في حوائجها ، فقالت : سأحييك بتحية كانت املاكنا تحيًّا بها... ثم جاءها المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة فاستاذن عليها . فقيل لها : أمير هذه المدرة بالبـــاب . فقالت : قولوا له : من اولاد جبلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت فمن ولد المنذر بن ماء السما ؟ قال : لا . قالت فمن أنت ؟ قال المغيرة بن شعبـــة الثقفي . قالت فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً . قالت : لو جئتني لجمـــال او حال لاجبتك ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول : نكحت بنت النعمان بن المنذر والا فاي خمـــر في اجتماع أعور وعمياء ؟ فبعث اليها قال : كيف كان امركم ؟ قالت : سأختصر لك الجواب : أمسينا مساء وليس في الارض عربي الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم اصبحنا وليس احد الا ونحن نرغب اليه ونرهبه . قال : فما كان

ابوك يقول في ثقيف. قالت اختصم اليه رجلان منهم في شيء أحدهما ينتمي الى اياد والآخر الى بكر بن هوازن فقضى به للايادي وقال :

ان ثقيفاً لم تكن هوازنا ولم تناسب عامراً ومازنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل ابوك ما شاء (١) » .

وقال ياقوت : « بالحيرة يقارب خطة بني عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة . قال هشام الكلبي : كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه فاعطت بنته هند عهداً لله ان رده الله الى ملكه ان تبني ديراً تسكنه حتى تموت فخلى كسرى عن أبيها النعمان فبنت الدير وأقامت به الى أن ماتت ودفنت فيه، وهي التي دخل عليها خالد بن الوليد لما فتح الحيرة ، فسلمت عليه ، فقال لها لما عرفها : اسلمي حتى ازوجك رجلا شريفاً مسلماً . فقالت : أما الدين فلا رغبة لي في غير دين ابائي ، وأما التزويج فلو كانت في بقية لما رغبت فيه فكيف وانا عجوز هرمة اترقب المنية بين اليوم والغد . فقال : سليني حاجة ، فقالت : هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم تحفظونهم . قال : هذا فرض علينا اوصانا به نبينا محمد – ص – قالت : مالي حاجة غير هذا فاني ساكنة في هذا الدير الذي بنيته ملاصقاً لهذه الاعظم البالية من اهلي حتى الحق بهم . فامر لها بمعونة ومال وكسوة. قالت : أنا في غنى عنه ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي اتقوت بما يخرج منها ويمسك الرمق وقد اعتددت بقولك فعلا وبعرضك نقداً . فقال لها : اخبريني بشيء ادركت . قالت ما طلعت الشمس بين الخورنق والسدير الا على ما هو تحت حكمنا ، فما امسى المساء حتى صرنا خولا لغيرنا. ثم أنشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

---

(١) الديارات – ١٥٧ – ١٧٨ » .

فتباً لدنيـــا لا يدوم نعيـــمها تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت : اسمع مني دعاء كنا ندعو به لاملاكنا (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، واصاب الله بمعروفك مواضعه ولا ازال عن كريم نعمة الا جعلك سبباً لردها اليه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة). فتركها وخرج ، فجاء النصارى وقالوا : ما صنع بك الأمير ؟ فقالت :

صان لي ذمتي واكرم وجهي انمـا يكرم الكريم الكريم

وقـد اكثر الشعراء من ذكر هذا الدير فقال الامير معن بن زائدة الشيباني وكان منزله قريباً منه :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة لدى دير هند والحبيب قريب
فنقضي لبانات ونلقى أحبة ويورق غصن للسرور رطيب

وهند هذه صاحبة القصة مع المغيرة بن شعبة » . قال ابن فضل الله العمري : « دير هند وهي بنت النعمان بن المنذر ، بناه ابوها له لتتعبد فيه فلمـــا فرغ خرجت من قصر ابيها تريده فأقامت في الطريق سنة تضرب المضارب في نزه وصيد والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ ، وشق لها بشر بن مروان نهراً من الفرات ولم يزل النهر يجري حتى خرب الدير ، وحكي ان النعمان كان يصلي ويتقرب فيه وأنه علق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة ، وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلها من الادهان ، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيئاً يجل عن الوصف . وفيما حكى الكلبي ان النعمان دخله في بعض اعياده فرأى امرأة تأخذ قرباناً أخذت بقلبه ، فدعـــا الراهب الذي قربها وسأله عنها ، فقال : هي امرأة حكم بن عمرو اللخمي ، فلما انصرف النعمان دعا عدي بن زيد كاتبه وأوقفه على الخبر وقال له : كيف الحيلة ؟ فقال له : إذا كان بكرة غد وحضر النـــاس الباب فابدأه في الاذن وأجلسه معك على

سريرك . ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده . فجعلوا يتعجبون وانصرفوا . فقال النعمان لعدي بن زيد : قد فعلت ما أشرت به فمه ؟ . قال : اذا أصبحت فاكسه واحمله ففعل ثم قال اجعل حوائج العرب اليه . ففعل ثم قال النعمان لعدي بن زيد : قد طال هذا. قال : اذا اصبحت فان عندك عشر نسوة فطلّق أبغضهن اليك ، ثم قل له : قد طابت نفسي لك بما لم تطب به لولد ولا أخ . وقد طلقت لك فلانة فتزوجها . ففعل ذلك وخرج وهو لابس من حلل النعمان ولديه ما حمله عليه . فجلس وحكم بين العرب وعدي بن زيد بالباب جالس ؛ فقال له اللخمي : ما أدري ما اكافيء به الملك فعل معي وفعل ؟ فقال عدي : ما أقدرك على مكافأته. قال : وما هو ؟ قال : طلق امرأتك كما طلق لك امرأته قال : قد فعلت . فانفذها الى النعمان وفي ذلك يقول :

علقتها حرة حوراء ناعمـــة كأنها البـدر في داج من الظلم
ما في البرية من أنثى تعادلها إلا التي أخذ النعمان من حكم

وقد ذكره ابو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير هي الحرقة وهي التي دخلت على خالد بن الوليد » . وذكر مختصر الخبر ثم قال : « وهـذا الدير يقارب دير (١) بني عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق » . وذكر بعد ذلك ما ذكره الشابشتي في كتابه الديارات .

١٠ – دير هند الكبرى ، قال ياقوت : « وهو ايضاً بالحيرة ، بنته هند أم عمرو بن هند وهي هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وكان في صدره مكتوباً : بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر ، أمة المسيح وأم عبده وبنت

---

(١) لعل الاصل « دار » أو « دور »

عبيده وفي ملك ملك الاملاك خسرو أنوشروان في زمن مار افريم الاسقف ، فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى أمانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر . حدث عبدالله بن مالك الخزاعي قال « دخلت مع يحي بن خالد لما خرجنا مع الرشيد الى الحيرة وقد قصدناها لنتنزه بها ونرى آثار المنـذر ، فدخل دير هند الأصغر فرأى آثار قبر النعمان وقبرها الى جنبه ثم خرج الى دير هند الكبرى وهو على طرف النجف ، فرأى في جانب حائطه شيئاً مكتوباً فدعا بسلم وأمره بقرائته وكان فيه مكتوباً (١) :

ان بني المنذر عام انقضوا — بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفـاريهم — وعنـبر يقطبه القاطب
والقز والكتـان أثوابهم — لم يجب الصوف لهم جائب
والعز والملـك لهم راهن — وقهوة ناجورهـا ساكب
أضحوا وما يرجوهم طالب — خيراً ولا يرهبهم راهب
كأنهم كانوا به لعبـة — سار الى اين بها الراكب ؟
فاصبحوا في طبقات الثرى — بعـد نعيم لهـم راتب
شر البقايا من بقي بعدهم — قل وذل جـده خائب

قال : فبكى حتى جرت دموعه على لحيته وقال : نعم هذه سبيل الدنيا ».

١١ ـ دير اللج قال ياقوت : « هو بالحيرة بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس في ايام مملكته ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناءاً منـه ولا أنزه موضعاً وفيه قيل :

---

١) ذكر الشابشتي هذه الابيات في القصة بعينها في زيارة الرشيد للسدير ص « ١٥٣ » وليس في السدير بيعة راهب

سقى الله دير اللج غيثاً فانه — على بعده مني الي حبيب
قريب الى قلبي بعيد محله — وكم من بعيد الدار وهو قريب
يهيج ذكراه غزال يحله — أغن سحور المقلتين ربيب
إذا رجّع الانجيل واهتز مائداً — تذكر محزون وحنّ غريب
وهاج لقلبي عند ترجيع صوته — بلابل اسقام به ووجيب

وفيه يقول إسماعيل بن عمار الأسدي :

ما أنس سعدة والزرقاء يومهما — باللج شرقية فوق الدكاكين

وذكره جرير فقال – نقلته من خط ابن أخي الشافعي وقال هو بظاهر الحيرة – ،

يا رب عائدة بالغور لو شهدت — عزّت عليها بدير اللج شكوانا
إن العيون التي في طرفها مرض — قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به — وهن أضعف خلق الله أركانا
يا رب غابطنا لو كان يطلبكم — لاقى مباعدة منكم وحرمانا »

وقال ابن فضل الله العمري : « دير اللج هو بالحيرة مما بناه النعمان بن المنذر وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناءاً ، لما يطيف به من البساتين ، وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه ويستشفي به في مرضه وفيه قيل :

يا ليلتي أطيب بها ليلة — لو لم يكن قصّرها الطيب
بتنا (بدير اللج) في حانة — شرابها في الكأس مكبوب
يديرها ظبي هضيم الحشا — يحبه الشبان والشيب
حتى إذا ما الخمر مالت بنا — جرتْ أمور وأعاجيب
فما ترى ظنك في شادن — بات إلى جانبه ذيب

وقـد ذكره أبو الفرَج فقال : كان النعمان يركب كل أحد إليه وفي كل عيد معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن ينادمه من أهل دينه عليه حلل الديباج المذهبـة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب وفي أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصَّصة بالجوهر وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب فاذا قضوا صلاتهم انصرف إلى مستشرفه على النجب فيشرب بقية يومـه إلى أن يمسي ، وخلع ووصل وحمل ، وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه وأنشد فيه قول الشاعر : سقى الله دير اللج خيزاً فانه (١) ... » وذكر بيتين مما ذكره ياقوت من الشعر فيه

١٢– دير بني علقمة أو دير علقمة ، قال ياقوت : « دير علقمة بالحـيرة ، منسوب الى علقمة بن عدي بن الرميك ابن ثوب بن أسس بن ربى(٢) بن نمارة بن لخم ، وفيه يقول عدي بن زيد العبادي :

نادمت في الدير بني علقما ... عاطيتهم مشمولة عندما

كأن ريح المسك من كأسها ... إذا مزجناها بمـاء السما

علقم مـا بالك لم تأتنا ... أما اشتهيت اليوم أن تنعما

من سرّه العيش ولذاتـه ... فليجعل الراح له سلّما »

وذكره ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار بأخصر مما ذكره ياقوت .

١٣ – دير حنظلة ، قال ياقوت : « دير حنظلة آخر وهو بالحيرة منسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربى بن نمارة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ، وفيه يقول الشاعر :

(١) مسالك الأبصار « ١ : ٣٢٥ »

(٢) سيأتي في الكلام على دير حنظلة ما يخالف هذا النسب في التسلسل بعض الخلاف .

بساحة الحيرة دير حنظلة　　عليه أذيال السرور مسبله
أحييت فيــه ليلة مقتبله　　وكأسنا بين الندامى معمله
والراح فيها مثل نار مشعله　　وكلنا منتقد مــا خوّله
فما يزال عاصياً من عذله　　مبادراً قبل تلاقي أجله » !

وذكره ابن فضل الله العمري قال : « دير حنظلة هو بالحيرة على نحو فرسخ منها إلى المشرق وموضعه حسن لما فيه من جنينات رهبانه وأشجارهم وما يلبسه الربيع من الرياض ، وأنشد الخالدي فيه لغيره شعراً منه .

طرقتك سعدى بين شطي بارق　　نفسي الفداء لطيفها من طارق
يا دير حنظلة المهيج في الهــوى　　هل تستطيع صلاح قلب العاشق

وقــد ذكره أبو الفرج الأصفهاني وأنشد لبعض الشعراء فيه رجزاً منه : بساحة الحيرة دير حنظلة(١) » وذكر بيتين من الأبيات التي ذكرها ياقوت .

١٤ – ديارات الأساقف ، قال الشابشتي : « هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة وهو أول الحيرة وهوأما قباب اوقصور تسمى ديارات الأساقف وبحفرتها نهر يعرف بالغدير ، عــن يمينه قصر ابي الخصيب مولى أبي جعفر وعن شماله السدير وبين ذلك الديارات . وقصر أبي الخصيب هذا أحد متنزهات الدنيا وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر ، ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة إلى سطح حسن ومجلس فيشرف النــاظر على النجف والحيرة من ذلك

---

(١) ولم يبق اليوم من هـذه الأديرة أثر أو بعض أثر يستدل به عليها وتعيين مواقعها غــير كهوف في الجهات القريبة من النجف المعروفة (بالطارات) ، ويغلب على الظن ان هذه الكهوف المنحوتة في التلول انما هي صوامع خاصة للرهبان وهي تحتاج الى زيارات من قبل الاثريين للتحقيق الكامل في شأنها .　　ج . خ

الموضع ثم يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقاة الى سطح فسيح ومجلس عجيب . وأبو الخصيب هذا مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه. والسدير قصر عظيم من أبنية ملوك لخم في قديم الزمان وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيع للنصارى ، ولعلي بن محمد الحماني العلوي يذكر هذه المواضع (١) .

كم وقفة (٢) لك بالخورنق ... لا توازى بالمواقف ؟ !

بين الغدير الى السدير ... إلى ديارات الأساقف

فمدارج (٣) الرهبان في ... أطمار خائفة وخائف

دمن كأن رياضها ... يكسين أعلام المطارف

وكأنما غدرانها ... فيها عشور في مصاحف

وكأنما أنوارها (x) ... تهتز بالريح العواصف

طرر الوصائف يلتقين [بها] (٤) إلى طرر الوصائف

تلقى أوائلها أواخرها ... بألوان الزخارف (٥)

بحرية شتواتها ... برية فيها المصايف

---

(١) ذكر هذه القصيدة أبو حيان التوحيدي في كتابه « البصائر » يراجع الجزء الاول «ص ١٨٩ طبعة بغداد» وأكثرها ياقوت الحموي في «ديارات الأساقف» و «الخورنق من معجم البلدان» وأبو علي القالي في الأمالي «١ : ١٨٠ ، ١٧٧» وأبو عبيد البكري في سمط اللآلي «١ : ٤٣٩» والعمري في مسالك الأبصار «١ : ٢٨٥»

(٢) في البصائر «كم منزل» .

(٣) في البصائر «فمواقف» .

(x) في معجم البلدان «وكأنما أغصانها» .

(٤) سقطت من الديارات .

(٥) في البصائر «الرفارف» .

وردية (١) الحصباء كا — فورية فيها المشارف
ثم انبرت سحّا (كباكية) (٢) — بأربعة ذوارف (٣) »
باتت سواريها تمخض — في رواعدها القواصف (٤)
فكأن لمع بروقها — في الجو أسياف المثاقف
فكأنما أنوارها تهتز — في الدرج العواصف (٥)
طرر الوصائف يلتقين — بها إلى طرر الوصائف
دافعتها عن دجنها — بالغلب والبيض الغطارف
يعبق يوم البأس شراً — بين في يوم المعارف (٦)
سمح بحر المال وقا — فون في يوم المتالف
واهاً لأيام الشباب — وما لبسن من الزخارف
وزوالهن بما عرفت — من المناكر والمعارف
أيام ذكرك في دوا — وين الصبا صدر الصحائف
واهاً لأيامي وأيام — النقيات المراشف
والفارسات البان قد — باناً على كثب الروادف
والجاعلات البدر ما — بين الحواجب والسوالف

(١) درية في البصائر ، وهو الصواب فدر النجف لنوع شفاف من الصخر لا يزال معروفاً موجوداً في أرض النجف ولذلك سمى المصريون «الثريا النورية الصناعية» باسم «النجفة»

(٢) سقطت من الديارات واختل وزن البيت كبيت الطرر .

(٣) هنا انتهت رواية الشابشتي .

(٤) من هنا تبدأ رواية البصائر « ص ١٨٩ » .

(٥) كذا ورد هذا البيت في البصائر المطبوع ببغداد .

(٦) قال الدكتور عبد الرزاق محى الدين في تعليقه : (كذا في النسخ الثلاثة) يعني (الثلاث) قلت : صوابه :

تثقين يوم البأس شرا   بين في يوم المعازف — والتثقح هو المتلىء غيظاً .

أيـــام يظهرن الخلافَ بغــير نيـات المخالف
وقف النعـيم على الصِّبا وزللت عن تلك المواقف

١٥ – قبـة الشنيق ، قال الشابشتي : وهي من الأبنية القديمة بالحيرة ، على طريق الحاج وبازائها قباب يقال لهـا السكورة (١) ، جميعها للنصارى ، فيخرجون يوم عيدهم من السكورة الى القبـة في أحسن زي عليهم الصلبان ، بأيديهم المجـامر والشمامسة والقسان معهم يقدسون (على نغم واحد متفق من الألحان (٢)) ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين وأهل البطالة الى أن يبلغوا قبـة الشنيق فيتقربون ويتعمدون ثم يعودون بمثل تلك الحال فهـو منظر مليح ، ولبعض الشعراء فيه :

والنصارى مشددين(٣) الزنا نـير عليهن كل حـلي وثيق
يتمشين من قبـاب الشعانيـن الى صحن قبـة الشنيق
يا خليلي فلا تعنفني يـوم ترى اللهـو فيه بالتحقيق (٤)

ولبكر بن خارجة :

يا خليلي عرجا بي الى الحيرة كم كم تراقبـان النجوما ؟ !

---

(١) سيأتي عن المسالك انه روي بصورة « السكورة » أيضاً ، قال الباحث كوركيس عواد في حاشية الديارات : فان أخذنا برواية الشابشتي لهذا الاسم جاز لنا إرجاعه – يعني رجعه – الى أصل سرياني (شكورا) بمعنى الزهر والورد «ص ١٥٥» .

(٢) زيادة موضحة من المسالك .

(٣) كذا ورد في الديارات طبعة بغـداد وكتاب الديارات النصرانية جمع حبيب زيات (ص١٦) . ولعل الصواب (مشددات) لقوله بعد ذلك (عليهن) (يتمشين) .

(٤) كذا ورد في الكتاب المذكور ولعل الأصل :

يـا خليل فلا تعبني بيوم لا ترى اللهو فيه بالتحقيق

واسقياني من بيت بيجوم (١) را — حـــاً قهوة لا تماكسا بيجوما
حانة حشوها ظبـــاء ملاح — هيجـــوا بالدلال قلباً سقيا
وإذا مـــا سقيتماني شراباً — خندريساً معتقـــاً مختومـــا
فاقصدوا (٢) قبة الشنيق وظبياً — سكن الدير قـد سباني رخيا
عقـــد زناره توصل بالقلب — وأمسى بين الحشا مخزوما (٣) »

وقال ابن فضل الله العمري : « قبة الشنيق (٤) وهي من الأبنية القديمـــة بالحيرة على طريق الحاج وبازائها قباب يقال لها السكورة جميعها للنصاري وعيد الشعانين بهـــا نزه يخرج فيه النصارى من السكورة الى القبة في أحسن زي ، عليهم الصلبان وبأيديهم ... » وذكر ما يشبه قول الشابشتي ما عدا الشعر فـلم يذكر منـــه شيئاً . وقد قدمنا ذكر هذه القبة في الكلام على دير الحريق ودير ابن مزعوق .

١٦ — دير عبد المسيح ، قال ياقوت في معجم البلدان : « دير عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني ، وسمي بقيلة لأنه خرج على قومـــه في حلتين خضراوين فقالوا : ما هذا الابقيلة ، وكان أحد المعمرين ، يقال إنه عمر ثلاثمائة وخمسين سنة (كذا) وهـــذا الدير بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجزعة ، وعبد المسيح هو الذي لقي خالد بن الوليد — رضي الله عنه — لمـــا غزا الحيرة وقاتل الفرس فرموه من حصونهم الثلاثة : حصون آل بقيلة ، بالخزف المدور ، وكان يخرج

---

(١) رسم الباء والياء وردا مهملين .

(٢) كذا طبع ولعل الاصل : « فاقصدا » موافقة لابتدائه « يا خليلي »

(٣) الديارات « ص ١٥٦ »

(٤) قال أحمد زكي باشا محقق المسالك : « أورده في الاصل بالشين المعجمة والنظر تصحيفاً عن ياقوت في صفحة ٣١٥ المتقدمة أثناء الكلام على دير الحريق »

قدام الخيل فتنفر منه ، فقال له ضرار بن الأزور : هذا من كيدهم ، فبعث خالد رجلاً يستدعي رجلاً منهم عاقلاً ، فجاءه عبد المسيح بن عمرو وجرى له معـــه ما هو مذكور مشهور . قال : وبقي عبد المسيح في ذلك الدير بعد ما صالح المسلمين على مائة ألف حتى مات وخرب الدير مدة فظهر فيه أزج معقود من حجارة ، فظنوه كنزاً ففتحوه فاذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح فيه مكتوب « أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد
فكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود »

وذكره ابن فضل الله العمري ، قــال : دير عبد المسيح وهو بالحيرة بناه عبدالمسيح بن عمرو بن بقيلة ، ويقال إنه عمر دهراً طويلاً ولحق خالد بن الوليد حين فتح الحيرة وله معه خبر طويل ، وحكى بعض أهل الكلام قال : قرأت على حائطه مكتوباً .

رأيت الدهر للانسان ضداً ولا ينجي من الدهر الخلود
ولا تنجي من الآجال أرض يحل بهـا ولا قصر مشيد

وحكى آخر قال : قرأت على حائطه أيضاً :

هـــذي منــازل أقوام عهدتهم في خفض عيش خصيب ماله خطر
دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا إلى القبور فـلا عـين ولا بصر

وقد ذكره الأصفهاني في أخبار لا حاجة فيهـا (١) ... وذكر عنه ما يشبه

---

(١) المسالك « ١ : ٣١٤ »

الذي في معجم البلدان فدل ذلك على أن ياقوتاً نقل كلام أبي الفرج الاصفهاني ولم ينسبه اليه إلا أن ابن فضل الله لم يذكر البيت الثاني .

١٧ — دير العذارى ، ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان قال : «وبالحيرة أيضاً دير العذارى » ، ولم يزد على ذلك .

١٨ — حانة عون بالحيرة ، قال ابن فضل الله العمري : « حانات الحيرة وهي أربع حانات ، حانة عون . وكان عون ظريفاً طيب الشراب نظيف الثياب ، وكان فتيان الكوفة يشربون في حانوته ولا يختارون عليه أحداً وشرب عنده ليلة أبو الهندي الشاعر حتى طلع الفجر وصاحت الديوك على أنه يصبح يوم شك ، فقيل إنه من رمضان ، فقال :

شربت الخمر في رمضان حتى ... رأيت البدر للشعرى شريكا
فقال أخي : الديوك مناديات ... فقلت له : وما يدري الديوكا(١)

١٩ — حانة دومة ، قال ابن فضل الله : « حانة دومة وعن أبي عبيدة قال: مر الأقيشر بخمارة في الحيرة يقال لها دومة فنزل عندها واشترى منها شراباً ثم قال لها : جوّدي لي الشراب حتى أجود لك المديح ففعلت فأنشأ يقول :

ألا يا دوم دام لك النعيم ... وأسمر ملء كفك مستقيم
شديد الأسر ينبض حالباه ... يحم كأنه رجـــل سقيم
يرويه الشراب فيزدهيه ... وينفخ فيه شيطان رجيم

قال : فظنت الخمارة أن هذا مدح . فسرت به وزادت في الشراب وقالت : ما قال أحد فيّ أحسن من هذا (٢) » .

---

(١) المسالك « ١ : ٣٨٩ » .
(٢) المسالك « ١ : ٣٨٩ » .

٢٠ – حانة جابر ، قال ابن الصلصال : كان أبو نواس يأتي الكوفة يزورني وكان يأتي بيت خمار بالحيرة يقال له جابر ، لطيف الخلقة نظيف الآلة ، يعتق الشراب سنين ، فقدم علينا مرة وقد نهاه الأمين عن الشراب، فسأل عني فقيل : هو بالحيرة ، فوافاني وفي يدي شيء من شراب جابر عجيب الحسن والرائحة ، فقال لي : يا أبا جعفر لا يجتمع هذا والهم في صدر واحد ، وكان شديد العجب بضرب الطنبور ، وكان اذا جاءني جمعت له ضراب الطنابير ، وكانت الكوفة معدنهم ، وكان يسكر في الليلة الواحدة سكرات ، فوجهت فجمعت له منهم جماعة وأحضرته شيئاً من ذلك الشراب ، فقال لي : ألم تعلم ما حدث علي ؟ قلت : وما هو ؟ قال : نهاني أمير المؤمنين عن الشراب وتوعدني عليه . ثم أنشدني قصيدته التي فيها :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

الى أن انتهى الى قوله :

فكأني وما أحسّن منها قعديّ يحسّن التحكيما
كلّ عن حمله السلاح الى الحر ب فأوصى المطيق أن لا يقيما

فقلت له : أقم معنا كما حكيت من نقل القعدية . قال : أفعل . وصرنا الى حانة جابر ، فقلت شعراً ذكرت فيه ما قاله لي وأنشدته إياه وهو قولي :

غبيت (١) عليك محاسن الخمر أم غيّرتك نوائب الدهر ؟

---

(١) في المسالك – ١ : ٣٩٠ – عتبت عليك . وقد تصحف فعل الجملة على أحمد زكي باشا – رح – والصواب (غبيتِ عليك محاسن الخمر) يقال : غبي علي الشيء ، بكسر الباء غباوة إذا لم تعرفه « الصحاح » والا فكيف تعتب عليه محاسن الخمر ؟

فصرفت وجهك عن معتقة ... تفتر عن درر وعن شذر
يسعى بهـا ذو غنة غنج ... متكحل اللحظات بالسحر
ونسيت قولك حين تمزجها ... فتريك مثل كواكب النسر
« لا تحسبن عقـار خابية ... والهم يجتمعان في صدر » .

فقال : هاتها في كذا وكذا من أم الأمين . ومد يده فأخذ القدح وشرب معنا ثم شخص الى الأمين فقال له : أين كنت ؟ قال : عند صديقي الكوفي . وحدثه الحديث . قال : فما صنعت حين أنشدك الشعر ؟ قال : شربت والله يا امير المؤمنين . قال : أحسنت وأجملت ، فاشخص حتى تحمل إلي صديقك هذا . فقدم إلي فحملني اليه ، فلم أزل معه حتى قتل (١) » .

٢١ – حانة شهلاء ، وكانت يهودية من أهل الحيرة وحكي أن الأقيشر كان يألفها وكان يشرب في دارها ، فجاءه شرطي فدق الباب . فقال : اسقني وأنت آمن . فقال : والله ما آمنك ، وهذا النقب بالباب فأنا أسقيك منه ، فوضع له أنبوب قصب في النقب فصب فيه النبيذ من داخل والشرطي يشرب من خارج فقال الأقيشر :

سأل الشرطي أن نسقيه ... فسقيناه بأنبوب القصب
إنما لقحتنا خابية ... فاذا ما مزجت كان العجب
لبن أصفر صاف طعمه ... ينزع الباسور من عجب الذنب
إنما نشرب من أموالنا ... فاسألوا الشرطي ما هذا الغضب (٢)

والذي رواه صاحب الأغاني الأصفهاني فيه خلاف ، قال : « شرب الأقيشر

---

(١) المسالك ١ : ٣٨٩ – ٣٩١
(٢) المصدر المذكور – ص ٣٩١ – وهذه الابيات مذكورة في الاغاني في ترجمة الأقيشر .

في بيت خمار بالحيرة فجاءه الشرط ليأخذوه فتحرز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرب فما سبيلكم علي ؟ قالوا : قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب . قال : انما شربت من لبن لقحة لصاحب الدار ، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين ، فقال : إنما لقحتنا باطية ، (١) ... الأبيات .

أشهر القصور المحيطة بالنجف

١ – العذيب والصنبر

ومن قصور الحيرة العذيب والصنبر بناهما امرؤ القيس بن النعمان بقرب الفرات للنزهة وقد ذهب حمزة الاصفهاني الى ان البنّاء الذي عمر الصنبر هو سنمار وروى قتله على يد الملك امرىء القيس خلافاً لما هو مشهور عن قتل سنمار الحورنق. وذكر البيت الآتي :

ليت شعري متى تخب به النا ... قة نحو العذيب والصنبر

ولم يذكر ياقوت هذين القصرين بل قال في مادة عذيب : « هو ماء بين القادسية والمغيثة وقيل : هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة وقيل هو حد السواد ، وكان بين العذيب والقادسية مسلحة للفرس وقد اكثر الشعراء من ذكرها (٢) .

٢ – القصر الابيض ، قال ياقوت : « هو من قصور الحيرة ، وفي مادة لحيان من معجم البلدان : هو أبيض النعمان . وذكر قول حاتم الطائي .

---

(١) الأغاني ١١ : ٢٥٧ طبعة دار الكتب المصرية ،

٢) الحيرة ليوسف رزق‌الله غنيمة « ص ٢٥ »

ومازلت اسمى بين خص ودارة   ولحيان حتى خفت أن اتنصرا

فعلى رواية يا قوت يكون القصر الابيض وابيض النعمان ولحيان قصراً واحداً بعينه ، وجاء في رواية مؤلف كتاب الأغاني ان صاحب القصر الابيض هو جابر بن شمعون أسقف الحيرة احد بني اوس بن قلام وقد اتاه الملك النعمان مع عدي بن زيد وطلب منه مالا يستعين به على امره عند كسرى فاضافهما ثلاثة ايام وأعطى النعمان ثمانين الف درهم . فقال النعمان للاسقف . لا جرم لا جرى لي درهم الا على يديك ان ملكت (١) .

٣ – قصر الغرس ، قال عنه ياقوت هو أحد قصور الحيرة الاربعة ولم يزد على ذلك .

٤ – قصر الزوراء أو الزوراء . دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة ، ونسب بعضهم بناءها الى المنذر الثالث ابن امرىء قيس الثالث وفيها يقول النابغة الذبياني .

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه   وسيف اعيرته المنية قاطع
وتسقى إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء في اكنافها المسك كارع

وقال بعضهم إن ابا جعفر المنصور هدم الزوراء .

٥ قصر العدسيين : كان بالكوفة – قبل تأسيسها – في طرف الحيرة وهو لبني عماد بن عبد المسيح بن قيس الكلبي وقد سموا العدسيين نسبة الى أمهم عدسة بنت مالك بن عامر بن عرف الكلبي ، وهذا القصر أول ما فتح المسلمون لما غزوا العراق . على ما قاله بن الكلبي في جمهرة النسب .

---

١) المرجع المذكور « ص ٢٥ »

٦ – قصر ابن مازن وقصر الطين وقصر بني بقيلة وذكر ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى قصره بالحيرة قال :

لقد بنيت للحدثان قصراً   لو ان المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً   لانواع الرياح به انين

٧ – قصر مقاتل او قصر بني مقاتل ، كان من قصور تلك النواحي ، وفيه يقول ابن طخماء الاسدي :

كان لم يكن بالقصر قصر مقاتل   وزورة ظل ناعم وصديق
وإني وان كانوا نصارى احبهم   ويشتاق قلبي نحوهم ويتوق

٨ – القصور الحمر : ألمع اليها أبو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني ، قال : أتى أبو زيد الطائي الى الوليد بن عقبة في سنة مجدبة فاعطاه ما بين القصور الحمر من الشأم الى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى » (١) .

٩ – دومة الحيرة ، كان فيها حصن وهو حصن الاكيدر السكوني الكندي صاحب دومة الجندل القريبة من المدينة ، أجلاه عمر الخطاب – رض – من دومة فيمن اجلاهم من غير المسلمين الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى به منازل سماها (دومة) وقيل دوماء باسم حصنه بوادي القرى وعرفت بدومة الحيرة (٢) .

---

(١) الحيرة «ص ٢٧»
(٢) معجم البلدان في «دومة»

النجف في الشعر العربي القديم

قال القعقاع بن عمر في ذكر حرب العرب أيام الحيرة بقيادة خالد بن الوليد وغير ذلك من الحروب :

سقى الله قتـلى بالفرات مقيمة ... وأخرى باثباج النجاف الكوانف

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً ... وبالثني قرني قـارن بالجوارف

ويـوم احطنـا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحاء احدى المصارف

حططناهم منها وقد كاد عرشهم ... يميل بهم فعل الجبـان المخالف

رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا ... غبوق المنايا حول تلك المحارف

صبيحة قـالوا نحن قوم تنزلوا ... الى الريف من ارض العذيب المضائف

فقوله « النجاف » يريد به جمع النجفة وهي ارض النجف بعينها ، وقـد ذكرنا أبيات حنين الحيري المغني التي ، قالهـا يصف الحيرة ومنزله بها وبعض حاناتها ولعلها حانة شهلاء اليهودية وكان هو نصرانياً، ويذكر النجف ويعتبره منزلاً له لطيب هوائه وفضل روائه ، ووفارة غذائه وغزارة مائه .

وذكر أبو الفرج الاصفهاني بروايته وسنده عن حمّاد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن ابيه اسحاق قال : ما وصلني احد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق ولقد انحدرت معه الى (النجف) فقلت له : يا امير المؤمنين قد قلت في النجف قصيدة . فقال : هاتها . فأنشدته : (٢)

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف ... نحي داراً لسعدى ثم ننصرف

---

(١) الطبري « ج ٤ ص ٥ ١ طبعة المطبعة الحسينية بمصر »

(٢) قدمنا أبياتاً من هذه البيوت في الكلام على « النجف مصحة قديمة »

حتى اتيت على قولي :

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل   أصفى هواء ولا أعذى من (النجف)
حفت ببر وبحر من جوانبها   فالبر في طرف والبحر في طرف
وما يزال نسيم من يمانيــة   يأتيك منهــا بريا روضة أنف

فقــال : صدقت يا اسحاق هي كذلك ثم انشدته حتى اتيت على قولي في مدحه :

لا يحسب الجود يفني ما له أبداً   ولا يرى بذل مايحوي من السرف

ومضيت حتى اتمتها ، فطرب وقال أحسنت والله يا أبا محمد وكنّــاني يومئذ ، وأمر لي بمائة الف درهم والحدر الى الصالحيــة (١) وذكر ياقوت القصيدة التي نقل منها ، وهي :

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف   نحي داراً لسعدى ثم ننصرف
وابك المعاهد من سعدى وجارتها   ففي البكاء شفـاء الهائم الدنف
أشكو الى الله يا سعدى هوى كبد   حرى عليك متى ما تذكري تجف
أهيم وجداً بسعدى وهي تصرمني   هـذا لعمرك شكل غير مؤتلف
دع عنك سعدى فسُعدى عنك نازحة   واكفف هواك وعد القول في لطَف
ما إن رأى الناس في سهل ولا جبل   أصفى هواء ولا اعذى من النجف

---

١) الاغاني (٥ : ٣٥٧٠٣٥٦ من الطبعة المذكورة وج ٩ ص ٢٨٥) . قالت اللجنــة الادبية المصلحة للاغاني هنا : النجف بالتحريك موضع بظهــر الكوفة وهو دومة الجنـدل بعينها (كذا) وبالقرب منــه قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ رضوان الله عليه ـ) . والقول بأن النجف هو دومة الجندل وهم من الاوهام فالدومة دومة والنجف هو النجف .

كأن تربته مسك يفوح بـــه أو عنبر دافه العطار في صدف
حفت ببر وبحر من جوانبهـــا فالبر في طرف والبحر في طرف
وبـــين ذاك بساتين تسيح بهـا نهر يجيش بجاري سيله القصف
وما يـــزال نسيم من أيامننـا يأتيك منه بريا روضـــة أنف
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة تشفي السقيم إذا أشفى على التلف
لو حله مدنف يرجو الشفــــاء به إذاً شفــاه من الاسقام والدنف
يؤتى الخليفة منه كلمـا طلعت شمس النهـار بانواع من التحف
والصيد منه قريب ان هممت به يأتيك مؤتلفاً في زي مختلف
فيا له منزلاً طابت مساكنـه بخير من حاز بيت العز والشرف
خليفـــة واثق بالله همتـــه تقوى الالــه بحق الله معترف

وقد قدمنا نقل أبيات بعض أهل الكوفة التي مطلعها :

وبالنجف الحاري إن زرت أهله مهاً مهملات ما عليهن سائس

وقال علي بن محمد العلوي الحمائي الكوفي وقد ذكرنا شعره في أسفه على أيام ديارات الأساقف آنفاً ، وهذه الابيات مما ذكره ياقوت الحموي :

فيا أسفي على (النجف) المعرى وأوديـــة منورة الاقـــاحي
وما بسط الخورنق من رياض مفجـــرة بافنيـــة فســاح
ووا أسفا على القنـــاص تغدو خرائطهـــا على مجرى الوشاح

ومما حبره أبو دلامة من الشعر للعباس بن محمد عم المنصور وأنشده إياه :

قف بالعيار واي الدهر لم تقف على المنازل بين الظهر و (النجف)
وما وقوفك في اطلال منزلة لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف

إن كنت أصبحت مشغوفاً بساكنها فلا وربك لا تشفيك من شغف
دع ذا وقل في الذي قد فاز من مضر بالمكرمات وعز غير مقترف(١)

---

١) الاغاني (١٠ : ٢٦٦) من الطبعة المذكورة ، قالت اللجنة الادبيـــة المصححة لطبع الاغاني : (والنجف بالتحريك موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها (كذا) وبالقرب منه قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب) وهو التعليق السابق الذي اشرنا إلى وهم فيه محذوفاً منه الترضي عن الامام حسب .

النجف
في المراجع العربية

*

كتبه
الدكتور حسين علي محفوظ

دكتوراه الدولة من جامعة طهران
والمفتش الاختصاصي بوزارة التربيـــة سابقاً
والاستاذ في كلية الاداب بجامعة بغداد اليوم



النجف في الحديث (*)

*

في اخبار ابراهيم الخليل – عليه السلام – خرج من بابل على حمار له – ومعه ابن اخيه لوط – يسوق غنماً ، ويحمل دلواً على عاتقه . حتى نزل « بانتيا » – وكان طولها اثني عشر فرسخاً – وكانوا يزلزلون في كل ليلة . فلما بات ابراهيم عندهم لم يزلزلوا. فقال لهم شيخ – بات عنده ابراهيم عليه السلام – والله ، ما دفع عنكم الا بشيخ بات عندي . فإني رأيته كثير الصلاة . فجاؤوه وعرضوا عليه المقام عندهم ، وبذلوا له البذول ، فقال : إنما خرجت مهاجراً الى ربي ، وخرج حتى أتى (النجف) . فلما رآها ، رجع ادراجه – أي من حيث مضى – فتباشروا وظنوا أنه رغب فيما بذلوا له ، فقال لهم : لمن تلك الأرض – يعني (النجف) ؟ قالوا : هي لنا ، قال : فتبيعونها ؟ قالوا : هي لك – فوالله ؛ ما تنبت شيئاً . فقال : لا أحبها إلا شراء . فدفع إليهم غنيمات كن معه بها .

(*) هذا مجمل مما ورد في كتب الحديث والأخبار الدينية المفصلة عن (النجف) ، وهو وان اختلف بعضه في مبناه ومنحاه مع التأريخ فان الاشارة اليه وذكره هنا – ولو باختصار – مما يجعل الموسوعة ذات قيمة أكبر بجمعها الاخبار من جميع اطرافها سواء كانت هذه الأخبار دينية ذات ارتباط بالعقيدة المجردة كهذا المجمل، أم علمية ذات ارتباط بالعقل والمنطق كبقية الفصول.

ج. خ.

فقال : أكره أن آخذها بغير ثمن . فصنعوا ما صنع اهل بيت المقدس بصاحبهم، وهبوا له أرضهم . فلما نزلت بها البركة رجعوا عليه . وذكر ابراهيم — عليه السلام — انه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد (١) .

●

رسول الله — ﷺ — قال لعلي — عليه السلام :.. ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي . فقال : يا رسول الله ، أقبر بكوفان العراق ؟ فقال : نعم — يا علي تقبر بظاهرها قتلاً بين الغريين والذكوات البيض (٢) .

●

اشترى أمير المؤمنين علي — عليه السلام — ما بين الخورنق وإلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم ، وأشهد على شرائه . . فقيل له : يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس تنبط خطا ؟ فقال : سمعت من رسول الله — ﷺ — يقول : كوفان يرد أولها على آخرها . يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت أن يحشروا في ملكي (٣) .

●

إن أمير المؤمنين — عليه السلام — لما حضرته وفاته ، قال للحسن والحسين — عليهما السلام — إذا أنا مت فاحملاني على سرير ، ثم أخرجاني . واحملا مؤخر السرير فانكما تكفيان مقدمه . ثم أئتيا بي الغريين فانكما ستريان صخرة

●

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠ مادة « بالقيا »
(٢) فرحة الغري ص ١٨ — ١٩
(٣) فرحة الغري ص ٢٠

بيضاء ، فاحتفرا فيها . فانكما تجدان فيها شيئاً فادفناني فيه (١) ..

●

أمير المؤمنين : إذا مت فادفنوني في هـــذا الظهر ، في قبر أخوي هود وصالح (٢) .

●

أمير المؤمنين : وادي السلام ؛ وانها البقعة من جنة عدن (٣) .

●

عن حبة العربي ، قـــال : خرجت مع أمير المؤمنين إلى الظهر ، فوقف بوادي السلام كأنـه مخاطب الأقوام . فقمت بقيامه حتى أعييت ، ثم جلست حتى مللت ، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ، ثم جلست حتى مللت ، ثم قمت وجمعت ردائي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إني قد أشفقت عليك من طول القيام ، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه . فقال : يا حبة ؛ إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته قال : قلت يا أمير المؤمنين ، وانهم لكذلك ؟ قال : نعم ؛ لو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين ، يتحادثون . فقلت : أجسام ، أم أرواح ؟ فقال . أرواح (٤) ..

●

أمـــير المؤمنين : في صفة القائم ؛ كأنني به قد عبر من وادي السلام إلى مسجد السهلة ، على فرس محجل له شمراخ يزهو ، ويدعو (٥) .

---

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ١١٨
(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٨ ؛ نقلاً من التهذيب ج ٢ ص ١٢
(٣) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٧ ؛ نقلاً من الكافي
(٤) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٧ ؛ نقلاً من الكافي
(٥) دلائل الإمامة ص ٣٤٤

الأصبغ بن نباتة ؛ قال : خرج أمير المؤمنين إلى ظهر الكوفة ، فلحقناه ؛ فقال : سلوني قبل أن تفقدوني ؛ فقد ملئت الجوانح مني علماً ؛ كنت اذا سألت أعطيت ، واذا أسكت أبديت ثم مسح بيده على بطنه ، وقال : أعلاه علم ، وأسفله ثفل . ثم مرّ حتى أتى الغريين ، فلحقناه — وهو مستلق على الأرض بجسده ، ليس تحته ثوب — فقال له قنبر : يا أمير المؤمنين ألا ابسط تحتك ثوبي ؟ قال : لا . هل هي الأتربة مؤمن ، ومن أجمته في مجلسه ، فقال الأصبغ : تربة المؤمن قد عرفناها كانت أو تكون . فما من أحمته بمجلسه ؟ فقال : يا ابن نباتة ؛ لو كشف لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذه حلقاً حلقاً ؛ يتزاورون ، ويتحدثون . ان في هذا الظهر روح كل مؤمن (١) .

●

اشترى أمير المؤمنين ما بين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة . وفي حديث ما بين النجف الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم (٢) .

●

قال أمير المؤمنين — صلوات الله عليه : أول بقعة عُبد الله عليها ؛ ظهر الكوفة . لما أمر الله الملائكة ان يسجدوا لآدم ، سجدوا على ظهر الكوفة (٣) .

●

روى ان أمير المؤمنين نظر الى ظهر الكوفة ؛ فقال : ما أحسن منظرك وأطيب قعرك ، اللهم إجعل قبري بها (٤) .

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٧
(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٦
(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٧ ، نقلا من تفسير العياشي
(٤) ارشاد القلوب ج ٢ ص ٢٣٨ ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٧

عن أحمـــد بن جابر ؛ قال : نظر أمير المؤمنين الى ظهر الكوفة ، فقال : ما أحسن ظهرك ، وأطيب قعرك ، اللهم اجعل قبري بها (١) .

*

ان أمير المؤمنين – عليه السلام – أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور ، في أربعـه مواضع ؛ في المسجد ، وفي الرحبة ، وفي الغري ، وفي دار جعدة بن هبيرة . وانما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره (٢) .

*

عن أبي مطر ؛ قال : لمـــا ضرب ابن ملجم الفاسق – لعنه الله – أمير المؤمنين عليه السلام – قال له الحسن : أقتله ؟ قال : لا ، ولكن احبسه ، فاذا مت فاقتلوه . فاذا مت فادفنوني في هـــذا الظهر ، في قبر أخوي هود وصالح (٣) .

*

عن الحسين الخلال عن جده ، قال : قلنا للحسن بن علي – عليهما السلام : أين دفنتم أمير المؤمنين – صلوات الله عليه ؟ فقال خرجنا به ليلاً ، حتى مررنا على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغري (٤) .

*

عن حسين الخلال عن جده ، قال : قلت للحسن بن علي – عليهما السلام :

---

(١) فرحة الغري ص ٢٢
(٢) فرحة الغري ص ٢٣
(٣) فرحة الغري ص ٢٨
(٤) فرحة الغري ص ٢٧

أين دفنتم أمير المؤمنين — عليه السلام ؟ قال : خرجنا ليلاً ، حتى مررنا به على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا الى الظهر بجنب الغري (١) .

*

عن الحسين بن الخلال عن جـده ، قال : قلت للحسين بن علي — صلوات الله عليهما — أين دفنتم أمير المؤمنين — عليه السلام ؟ قال : خرجنا به ليلاً ، حتى مررنا به على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغري (٢) .

*

ان زين العابدين — عليه السلام — ورد الى الكوفة ، ودخل مسجدها — وبه ابو حمزة الثمالي ، وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها — فصلى ركعتين . قال ابو حمزة : فما سمعت أطيب من لهجته . فدنوت منه لأسمع مـا يقول . فسمعته يقول : إلهي ؛ ان كان قد عصيتك ، فاني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك ؛ الاقرار بوحدانيتك ، منـّا منك علي ، لا منـّا مني عليك .. ثم نهض . قـــال أبو حمزة : فتبعته الى مناخ الكوفة ، فوجدت عبداً أسود - معه نجيب وناقة — فقلت : يا أسود من الرجل ؟ فقال : أو تخفى عليك شمائله . هـوَ علي بن الحسين . قـــال أبو حمزة : فأكببت على قدميه أقبلهما فرفع رأسي بيده . وقال : لا يا أبا حمزة . انما يكون السجود لله — عز وجل —

قلت : يا ابن رسول الله ما أقدمك الينا ؟ قال : ما رأيت . ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ، ولو حبوا . هل لك أن تزور معي قبر جدي علي بن أبي طالب — عليه السلام ؟ قلت : أجـــل فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى

(١) فرحة الغري ص ٢٩

(٢) كامل الزيارات ، الباب التاسع ص ٣٣ - ٣٤ ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩

أتينا الغريين. وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً. فنزل عن ناقته، ومرغ خديه عليها، وقال : يا أبا حمزة هذا قبر جدي على بن أبي طالب — عليه السلام — (١) .

*

قال أبو جعفر (الباقر) عليه السلام : مضى أبي علي بن الحسين — عليه السلام — الى قبر أمير المؤمنين — عليه السلام — بالمجاز . وهو من ناحية الكوفة ، فوقف عليه ثم بكى ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمين الله في أرضه ، وحجته على عباده (٢) .

*

قال محمد بن علي (الباقر) . . خرج (علي بن الحسين) سلام الله عليه — متوجهاً الى العراق لزيارة أمير المؤمنين — وأنا معه — وليس معنا ذو روح الا الناقتين . فلما انتهى الى النجف ؛ من بلاد الكوفة ، وصار الى مكان منه . فبكى حتى اخضلّت لحيته بدموعه (٣) .

*

عن الثمالي ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في حديث حدث به ؛ انه كان في وصية أمير المؤمنين — عليه السلام — ان أخرجوني الى الظهر ، فاذا تصوبت أقدامكم ، فاستقبلتكم ريح ، فادفنوني ، وهو أول طور سينا ففعلوا ذلك (٤) .

(١) فرحة الغري ص ٣٦
(٢) فرحة الغري ص ٣٠ - ٣١
(٣) فرحة الغري ص ٣٣
(٤) فرحة الغري ص ٣٩

عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر -عليه السلام- أين دفن أمير المؤمنين ؟ قال : دفن بناحية الغريين (١) .

*

عن أبي جعفر محمد بن علي : قبره بالغرى ؛ وهو علي بن ابي طالب ..(٢)

*

عبدالله بن عبيد بن زيد ؛ قال : رأيت جعفر بن محمد ، وعبدالله بن الحسن - بالغرى - عند قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - فاذن عبدالله وأقام الصلاة وصلى مع جعفر بن محمد ، وسمعت جعفر يقول هذا قبر أمير المؤمنين (٣) .

*

قال الباقر عليه السلام ، دفن امير المؤمنين - عليه السلام - بناحية الغريين (٤) .

*

عن صفوان بن مهران ، عن جعفر بن محمد - صلوات الله عليه - قال : سار وأنا معه من القادسية ، حتى أشرف على النجف، فقال : هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح . فقال : « سآوى الى جبل يعصمني من الماء » .. ثم قال أعدل بنا ، فعدلت . فلم يزل سائراً حتى أتى الغري ، فوقف على القبر ، فساق السلام من آدم على بني نبي عليه السلام وأنا أسوق معه حتى وصل السلام الى النبي ثم خر على القبر فسلم عليه ، وعلا نحيبه (٥) .

(١) فرحة الغري ص ٣٩
(٢) فرحة الغري ص ٤٣
(٣) فرحة الغري ص ٤٤ ــ ٤٥
(٤) روضة الواعظين ج ١ ص ١١٨
(٥) كامل الزيارات . الباب التاسع ص ٣٥ ، وبحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٩

عن الاسكاف ، عن أبي جعفر [الباقر] قال ، قال أمير المؤمنين – عليه السلام – في قول الله – عز وجل : « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » قال : الربوة ؛ الكوفة . والقرار ؛ المسجد . والمعين ؛ الفرات . » (١)

*

روى صفوان بن مهران الجمال؛ عن الصادق جعفر بن محمد – عليهما السلام– قال : سار – وأنا معه – في القادسية ، حتى أشرف على النجف ؛ فقال : هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح – عليه السلام – فقال : «سآوى الى جبل يعصمني من الماء » .. ثم قال – عليه السلام – أعدل بنا ، فعدلت به. فلم يزل سائراً حتى أتى الغري . فوقف على القبر ، فساق السلام من آدم على نبي نبي – عليهم السلام – وأنا أسوق السلام معه ، حتى وصل السلام الى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ثم خر على القبر ، فسلم عليه ، وعلا نحيبه (٢) .

*

عن ابي عبدالله [الصادق] – عليه السلام – وادي السلام ... بين وادي النجف والكوفة (٣) .

*

قال الصادق – عليه السلام : الربوة ؛ نجف الكوفة . والمعين ؛ الفرات(٤)

*

(١) معاني الاخبار ج ٢ ص ١٠٦ « الباب ٢٣٨ » ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٥
(٢) من لا يحضره الفقيه ص ٢٩٩ « كتاب الحج باب ١٥٩ – موضع قبر أمير المؤمنين »
(٣) ارشاد القلوب ج ٢ ص ٢٣٩
(٤) روضة الواعظين ج ٢ ص ٣٣٧

ابو عبدالله [الصادق] : اذا أردت جانب النجف ؛ فزر عظـــام آدم ، وبدن نوح ، وجسم علي بن ابي طالب ـ عليه السلام (١) .

*

ابو عبدالله [الصادق] : الغري ؛ وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً ، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه ابراهيم خليلاً ، واتخذ عليه محمد حبيباً ، وجعله للنبيين مسكناً ، والله – ما سكن فيـه أحد – بعد آبائه الطيبين ؛ آدم ، ونوح – أكرم من امير المؤمنين عليه السلام (٢) .

*

قال عبدالله بن طلحة الهندي ؛ دخلت على أبي عبدالله [الصادق] عليـه السلام ، فذكر حديثاً فحدثناه ، قـــال فمضينا معه ـ يعني أبا عبدالله ـ حتى انتهينا الى الغري . قال ، فأتى موضعاً فصلى .. (٣)

*

قال الصادق ـ عليه السلام : أحب لكل مؤمن ، ان يتختم بخمسة خواتيم ؛ بالياقوت .. وبالعقيق .. وبالفيروزج ... وبالحديد الصيني . وما يظهر الله بالدرات البيض (٤) بالغريين (٥) . .

*

عن صفوان الجمال ، قال : كنت أنا ، وعامر ، وعبدالله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام ـ قال ، فقـــال له عامر : جعلت

(١) كامل الزيارات ص ٣٩ « الباب العاشر »
(٢) كامل الزيارات ص ٣٩ « الباب التاسع » ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٣
(٣) روضة الواعظين ج ٢ ص ٣٣٨ - ٣٣٩
(٤) هو ، در النجف . وفي فرحة الغري ص ٧١ و ٧٢ : .. وبالذكوات البيض بالغريين .
(٥) روضة الواعظين ج ٢ ص ٣٣٩ ، وتراجع فرحة الغري ص ٧١ و ٧٢

فداك ؛ ان الناس يزعمون أن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ دفن بالرحبة . قال: لا ، قال : فأين دفن ؟ قال : انه لما مات احتمله الحسن ـ عليه السلام ـ فأتى به ظهر الكوفة ، قريباً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمنة عن الحيرة ، فدفنه بين ذكوات بيض ، قال : فلما كان بعد ذهبت الى الموضع (١) .

*

عن ابي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام ـ انه سمعه يقول : لما قبض أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أخرجه الحسن والحسين ، ورجلان آخران ؛ حتى اذا خرجوا من الكوفة ، تركوها عن ايمانهم ، ثم أخذوا في الجبانة ، حتى مروا به الى الغري ، فدفنوه ، وسووا قبره ، فانصرفوا (٢) .

*

عن أبي عبدالله [الصادق] ـ ع ـ قال : ان النجف كان جبلاً ، وهو الذي قال ابن نوح . « سآوى الى جبل يعصمني من الماء » ولم يكن على وجه الارض أعظم منه ... وصار بعد ذلك بحراً عظيماً . وكان يسمى ذلك البحر (بحر ني) ثم جف بعد ذلك . فقيل (ني جف) فسمي (نيجف) . ثم صار الناس ـ بعد ذلك ـ يسمونه (نجف) لأنه كان أخف على ألسنتهم (٣) .

*

حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان بن ثعلب الكلبي ، قال ؛ قال ابو عبدالله (الصادق) : كأني بالقائم على ظهر النجف ، لبس درع رسول الله تتقلص عليه

(١) الكافي ج ١ ص ٤٥٦ « كتاب الحجة »
(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٨ « كتاب الحجة »
(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢ « باب العلة التي من أجلها سمي النجف النجف » ، وبحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٥

ثم ينتفض بها فتستدير عليه ، ثم يغشى بثوب استبرق ، ثم يركب فرساً له أبلق ، بين عينيه شمراخ ، ينتفض به حتى لا يبقى اهل له الا اتاهم بين ذلك الشمراخ ، حتى تكون آية له ، ثم ينشر راية رسول الله ، وهي المغلبة ؛ عودها من عهد غرس الله ، وسيرها من نصر الله ، لا يهوى بها الى شيء الا اهلكته (١) .

*

(قال ابو عبد الله (الصادق) عليه السلام) : لما مات امير المؤمنين حمله الحسن – عليه السلام – فأتى به ظهر الكوفة ، قريباً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمنة عن الحيرة ، فدفنه بين ذكوات بيض (٢) .

*

عن يزيد عمرو بن طلحة ، قال ؛ قال ابو عبد الله (الصادق) : وهو بالحيرة اما تريد ما وعدتك ؟ قال ؛ قلت : بلى ، يعني الذهاب الى قبر امير المؤمنين – عليه السلام – قال : فركب وركب اسمعيل ابنه معه ، وركبت معهم . حتى اذا جاز الثوية – وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض – نزل ، ونزل اسمعيل ونزلت معهم . فصلى وصلى اسمعيل ، وصليت (٣) .

*

[وصف ابو عبدالله (الصادق) موضع قبر أمير المؤمنين لصفوان الجمال]

قال : اذا انتهيت الى الغري ؛ ظهر الكوفة ؛ فاجعله ظهرك ، وتوجه خلف النجف ، وتيامن قليلاً . فاذا انتهيت الى الذكوات البيض ، والثنية أمامه ؛ فذلك قبر أمير المؤمنين – عليه السلام (٤) .

---

(١) دلائل الامامة ٢٤٣

(٢) كامل الزيارات ص ٣٣ « الباب التاسع » ، بحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٩

(٣) كامل الزيارات ص ٣٤ « الباب التاسع » ، وبحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٩ ،. وتلاحظ فرحة الغري ص ٥١ – ٥٢

(٤) كامل الزيارات ص ٣٥ «الباب التاسع» ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩

قال أبو عبدالله [الصادق] – ع – : انك؛ إذا أتيت الغرى،رأيت قبرين ؛ قبراً كبيراً ، وقبراً صغيراً . فأما الكبير ؛ فقبر أمير المؤمنين . وأما الصغير ؛ فرأس الحسين بن علي – عليه السلام (١) .

*

عن أبي عبدالله [الصادق] – عليه السلام ؛ قال : اني لما كنت بالحيرة عند أبي العباس . كنت آتي قبر أمير المؤمنين – عليه السلام – ليلاً . وهو بناحية النجف ، الى جانب غري النعمان (٢) .

*

عن أبي عبدالله [الصادق] عليه السلام : أخذ نوح التابوت (تابوت فيه عظام آدم) فدفنه بالغري (٣) .

*

عن سليمان بن نهيك ؛ عن أبي عبدالله – عليه السلام – في قول الله – عز وجل – «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين». قال : الربوة ؛ نجف الكوفة. والمعين ؛ الفرات (٤) .

*

حدثنا صفوان بن مهران الجمال ، قال : حملت جعفر بن محمد بن علي ؛ (الصادق) – عليهم السلام – فلما انتهيت الى النجف ، قال : يا صفوان ،

---

(١) كامل الزيارات ص ٣٥ «الباب التاسع» ،وتراجع ص ٣٧ ،وبحار الانوار ج ٢٢ ص ٣٩
(٢) كامل الزيارات ص ٣٧ « الباب التاسع »
(٣) كامل الزيارات ص ٣٨ « الباب العاشر »
(٤) كامل الزيارات ص ٤٧ – ٤٨ « الباب الثالث عشر » ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٦ والتهذيب ج ٢ ص ١٢

تياسر حتى تجوز الحيرة ، فتأتي القائم . قال : فبلغت الموضع الذي وصف لي فنزل ، فتوضأ . ثم تقدم هو وعبدالله بن الحسن فصليا عند قبر . فلما قضيا صلاتهما ، قلت : جعلت فداك ، اي موضع هـذا ؟ قال : هذا القبر الذي يأتيه الناس هناك (١) .

*

عن أبي الفرج السندي ، قال كنت مع ابي عبد الله ، جعفر بن محمد (الصادق) حين تقدم الى الحيرة ؛ فقال ليلة : أسرجوا لي البغل . فركب — وأنا معه — حتى انتهينا الى الظهر ، فنزل فصلى ركعتين ، ثم تنحى فصلى ركعتين ، ثم تنحى فصلى ركعتين . فقلت : جعلت فداك — رأيتك تصلي في ثلاثة مواضع . فقال : أما الأول ؛ فموضع قبر أمير المؤمنين — عليه السلام — والثاني ؛ موضع رأس الحسين — عليه السلام — والثالث ؛ موضع منبر القائم(٢)

*

عن معلى بن خنيس ، قال : كنت — مع أبي عبدالله (الصادق) بالحيرة. فقال لهم : افرشوا لي في الصحراء ... قل لهم يسرجوا لي البغل والحمار ... فقال لي : أمامك . فجئنا حتى صرنا الى الغريين فقال لي : ها هما ، قلت : نعم . قال : خذ يسرة . قال : فمضينا حتى انتهينا الى موضع . فقال لي : انزل . ونزل وقال لي : هذا قبر أمير المؤمنين — عليه السلام (٣) .

*

عن أبي عبدالله (الصادق) قال : إنه لما مات (أمير المؤمنين عليه السلام)

---

(١) فرحة الغري ص ٤٥

(٢) فرحة الغري ص ٤٥-٤٦ ، وتراجع ص ٤٦ ، وص ٤٧

(٣) فرحة الغري ص ٤٩-٥٠

احتمله الحسن ، فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمنة عن الحيرة . فدفنه بين ذكوات البيض (١) .

*

عن عبدالله بن سنان ، قال : أتاني عمر بن يزيد ، فقال لي : اركب . فركبت ــ معه ــ فمضينا ، حتى أتينا حفص الكناسي ، فاستخرجته ، فركب معنا . ثم مضينا الى الغري ، فانتهينا الى قبر ، فقال : انزلوا . هذا قبر أمير المؤمنين ــ عليه السلام فقلنا : من أين علمت ؟ فقال : أتيته مع أبي عبدالله (الصادق) - ع ــ حيث كان بالحيرة ؛ غير مرة ، وخبرني أنه قبره (٢) .

*

عن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبدالله (الصادق) ــ عليه السلام ــ أين دفن أمير المؤمنين ــ عليه السلام ؟ ــ قال : دفن في قبر أبيه نوح . قلت : وأين قبر نوح ؟ . قال : ذلك في ظهر الكوفة (٣) .

*

عن أبي عبد الله (الصادق) ــ عليه السلام ــ قال : ان الى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط ، فصلى عنده ركعتين، أو أربع ركعات؛ الا نفّس الله عنه كربته ، وقضى حاجته.. قلت : فقبر أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ قال برأسه نعم (٤) (٥) .

(١) فرحة الغري ص ٥١
(٢) فرحة الغري ص ٥١
(٣) فرحة الغري ص ٥٢ ، وتراجع ص٥٧
(٤) فرحة الغري ص٥٣
(٥) وتراجع الحديث كذلك عن داود بن فرقد ـ فرحة الغري ص٥٦

حدثنا عمر بن عبدالله بن طلحة الهندي ، عن أبيه ؛ قال : قلت لأبي عبدالله (الصادق) فذكر حديثاً ، فحدثنا ، قال : فمضينا معه - يعني أبا عبدالله - حتى انتهينا الى الغري ، فأتى موضعاً ، فصلى . ثم قال لاسمعيل : قم فصل (١) .

*

عن أبي عبدالله (الصادق) - ع - قال : قبر علي بالغري ، ما بين صدر نوح ، ومفرق رأسه ؛ مما يلي القبلة (٢).

*

عن محمد بن محمد الفضل - ابن بنت داود الرقي - قال ؛ قال الصادق - ع - أربع بقاع ضجت الى الله - تعالى - أيام الطوفان : البيت المعمور ؛ فرفعه الله ، والغري ، وكربلا ، وطوس (٣) .

*

عن اسحاق بن حريز ؛ عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام - قال : اني لما كنت بالحيرة - عند أبي العباس - كنت آتي قبر أمير المؤمنين ليلاً ، وهو بناحية نجف الحيرة ، الى جانب غري النعمان ، فأصلي عنده صلاة ، وأنصرف قبل الفجر (٤) .

*

(١) فرحة الغري ص ٥٣
(٢) فرحة الغري ص ٥٧
(٣) فرحة الغري ص ٥٧ ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٦
(٤) فرحة الغري ص ٥٨ ، وتراجع ص ٨٤

عن المفضل بن عمر الجعفي ، عن ابي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام : الغري .. هو قطعة من الجبل ، الذي كلم الله عليه موسى تكليما ، وقدس عليه عيسى تقديساً ، واتخذ عليه ابراهيم خليلاً ، واتخذ محمداً عليه حبيباً ، وجعله للنبيين مسكناً . والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين ؛ آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وإذا زرت جانب النجف : فزر عظام آدم ؛ وبدن نوح ، وجسم على بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فانك زائر للأنبياء الأولين ، ومحمد خاتم النبيين ، وعلياً سيد الوصيين ؛ فان زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته ؛ فلا تكن عن الخير نواماً (١) .

*

عن المفضل بن عمر الجعفي ؛ قال : دخلت على علي أبي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام ـ فقلت له : إني أشتاق إلى الغري ، فقال : فما شوقك اليه ؟ فقلت له : إني أحب أن أزور أمير المؤمنين ـ عليه السلام .. قال : فاذا أردت أن تزور قبر أمير المؤمنين ـ ع ـ فاعلم انك زائر عظام آدم ، وبدن نوح ، وجسد علي بن أبي طالب ـ عليه السلام (٢) .

*

ـ عن أبي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام : لما قبض أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أخرجه الحسن والحسين ورجلان آخران ، حتى اذا خرجوا من الكوفة ، وتركوها عن أيمانهم ، ثم اخذوا في الجبانة ، حتى مروا به الى الغري ، ودفنوه ، وسووا قبره وانصرفوا (٣) .

(١) فرحة الغري ص ٦٠ ، وتلاحظ التهذيب ج ٢ ص ٨

(٢) فرحة الغري ص ٥٩ ، وتراجع التهذيب ج ٢ ص ٨

(٣) فرحة الغري ص ٧٤

«صفوان الجمال ؛ قال : خرجت مع الصادق ـ عليه السلام ـ من المدينة أريد الكوفة ، فلما جزنا باب الحيرة ، قال : يا صفوان . قلت : لبيك يا ابن رسول الله . قال : تخرج المطايا الى القائم ، وجد الطريق الى الغري قال صفوان : فلما صرنا الى قائم الغري ، أخرج رشأ معه دقيقاً ؛ قد عمل من الكنبار ، ثم تبّعد من القائم مغربا خطى كثيرة ، ثم مد ذلك الرشأ حتى انتهى الى آخره ، فوقف ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منهـا كفاً من تراب فشمه ملياً ، ثم أقبل يمشي ، حتى وقف على موضع القبر الآن ، ثم ضرب بيده المباركة الى التربة ، فقبض منها قبضة ، ثم شهق شهقة حتى ظننت أنه فارق الدنيا . فلما أفاق قال : ها هنا ـ والله ـ مشهد أمير المؤمنين ـ عليه السلام (١) .

*

عن محمد بن مسلم ، قال : مضينا إلى الحيرة ، فاستأذنا ، ودخلنا الى أبي عبدالله [الصادق] ـ عليه السلام ـ فجلسنا إليه ، وسألناه عن قبر أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فقـال : اذا خرجتم ، فجزتم الثوية ، والقائم ، وصرتم من النجف على غلوة أو غلوتين ؛ رأيتم ذكوات بيضا ، بينها قـبر جرفه السيل ، فذاك قبر أمير المؤمنين ـ عليه السلام (٢) .

*

عن الحسن بن الجهم بن بكير ، قال : ذكرت لأبي الحسن [الكاظم] ـ عليه السلام ـ يحيى بن موسى ، وتعرضه لمن يأتي قبر أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وانه كان ينزل موضعاً ، كان يقال له الثوية ، يتنزه اليه . ألا وقبر أمـير

(١) فرحة الغري ص ٧٦

(٢) فرحة الغري ص ٨٣

المؤمنين ــ عليه السلام ــ فوق ذلك قليلا (١) .

*

عن أيوب بن نوح ، قال : كتبت الى أبي الحسن ، موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ في زيارة قبر أمير المؤمنين ــ ع ــ فكتب ــ ع ــ زره بالغري (٢) .

*

أحمد بن محمد بن أبي نصر .. قال : وسألته [= الرضا عليه السلام] عن قبر أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ فقال : ما سمعت عن أشياخك ؟ فقلت له : حدثنا صفوان بن مهران عن جدك انه دفن بنجف الكوفة (٣) .

*

احمد بن محمد بن أبي نصر ، قال : سألت الرضا عليه السلام ، فقلت : أين موضع قبر أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ فقال : الغري (٤) .

*

ذكر ابن همام في الأنوار ان [الرضا] أمر شيعته بزيارة [أمير المؤمنين] ودل على انه بالغريين ، بظاهر الكوفة (٥) .

---

(١) كامل الزيارات ص٣٥ «الباب التاسع» ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩ ، وتراجع فرحة الغري ص ٨٦

وفي فرحة الغري ص٨٦ : وهو الموضع الذي يروي صفوان الجمال ان ابا عبدالله (الصادق) ــ ع ــ وصف له ، فقال فيما ذكر : اذا انتهيت الى الغري ؛ ظهر الكوفة ، فاجعله خلف ظهرك ، وتوجه نحــو النجف ، وتيامن قليلا. فاذا انتهيت الى الذكوات البيض ، والثنية أمامه فذلك قبر أمير المؤمنين ، وأنا آتيه كثيراً .

(٢) فرحة الغري ص٨٦

(٣) قرب الاسناد ص١٥٢ ، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٨

(٤) كامل الزيارات ص٣٧ «الباب التاسع» ، وبحار الانوار ج٢٢ ص ٤٠

(٥) فرحة الغري ٨٨

روي عن ابن عباس ؛ انه قال : الغري ؛ قطعة من الجبل الذي كلم الله ــ جل شأنه ــ عليه موسى تكليما ، وقدس عليه عيسى تقديساً ، واتخذ عليه ابراهيم خليلاً ، واتخذ محمداً ــ ﷺ ــ حبيباً ، وجعله للنبيين مسكناً (١) .

*

قالت [ام كلثوم بنت علي ــ عليه السلام] : خرجت أشيع جنازة أبي ، حتى اذا كنا بظهر الغري ، ركز المقدم ، فوضعنا المؤخر . ثم برز الحسن بالبردة التي نشّف بها رسول الله وفاطمة فنشفت بها أمير المؤمنين (٢) .

×

أبو حمزة الثمالي ؛ قال : أتينا الذكوات البيض ، فقال [زيد بن علي] هذا قبر علي بن أبي طالب (٣) .

×

اذا أتيت الغري بظهر الكرفة ، فاغتسل ، وامش على سكون ووقار ، حتى تأتي أمير المؤمنين ــ عليه السلام (٤) .

×

في قبره عظام آدم ــ عليه السلام ــ وجسد نوح ــ عليه السلام ــ وأمير المؤمنين . فمن زاره ؛ فقد زار آدم ونوحاً وأمير المؤمنين (٥) .

×

(١) ارشاد القلوب ح ٢ ص٢٣٧-٢٣٨ ، وبحار الانوار ج ٢٢ ص٣٧
(٢) فرحة الغري ص٢٥
(٣) فرحة الغري ص٩٩
(٤) من لا يحضره الفقيه ص٢٩٩
(٥) من لا يحضره الفقيه ص٣٠٢

عن عبدالله بن سنان ، قال : أتاني عمر بن يزيد ، فقــال لي : اركب ، فركبت معه . فمضينا ، حتى أتينا منزل حفص الكناسي ، فاستخرجته ، فركب معنــا . ثم مضينا ، حتى أتينا الغري ، فانتهينا إلى قبر . فقالوا : انزلوا ، هذا قبر أمير المؤمنين . فقلنا : من أين علمت ؟ فقال : أتيته مع أبي عبد الله [الصادق] ــ عليه السلام ــ حيث كان بالحيرة غــير مرة ، وخبّرني أنه قبره (١) .

★★★

(١) الكافي ج ١ ص٤٥٦ « كتاب الحجة »

النجف

في الشعـــر (*)

السيد ابراهيم الطباطبائي

فاهتز في مـــرح عطف الغري به   لا غرو ان هزّ عطفيه الحمى مرحا (١)

×

ونازعين عن الأوطان قـــد قطعوا   متن المهامه حتى بارحوا النجفا (٢)

×

فلولاك مـــا حنّ الغري لدجـــلة   نزوعاً ولا اشتاقت لبغداد جلّق (٣)

---

(١) ديوان الطباطبائي ص ٦٧

(٢) ديوان الطباطبائي ص ١٧٥

(٣) ديوان الطباطبائي ص ١٨٧

(*) هذه شواهد من الشعر اوردهـــا الكاتب على سبيل المثل وليس على سبيل الانتقاء والاختيار ولا على سبيل الاحصاء، ذلك لأن احصاء ما ورد عن اسم النجف ، والغري ، والمشهد ، ووادي السلام ، كناية او تصريحاً لتعجز عن جمعـه دواوين ضخمة لا نظننا قادرين على جمعها لو تصدينا الى ذلك فضلاً عن كونهـــا ليست بالأهمية التي تستلزم تقديم العناية بهـــا على غيرها من المواضيع ، وقـــد فضلنا ترتيب اسماء بعض الشعراء الذين استشهدنا ببعض أقوالهم على الحروف الهجائية وليس حسب التأريخ والأهمية .

تركت في النجف الأعلى لصحبتكم صحباً وأهـلاً وأوطانا وجيرانا (١)

الشيخ ابراهيم العاملي

١٢٨٤ هـ

وأنحت جـانب الغروي شوقاً يحاذيها لما تبغي هواها (٢)

×

أأسكن الشام ومـن واليتهم في النجف الأعلى وطف كربلا (٣)

الشيخ ابراهيم العاملي

١٢١٤ هـ

إذا هب النسيم مـن الغري فلا تسأل عن الصب الشجي (٤)

ابراهيم الوايلي

منتـدى العـلم في الغريـين

أخفى الموت رمز الفخار من أعضائه (٥)

ابن أبي الحديد

يا برق إن جئت الغري فقل له أتراك تعـلم من بأرضك مودع

فيك ابن عمران الكليم وبعده عيسى يقفيه وأحـمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال واسـ افيل والملأ المقدس أجمـع

بل فيك نور الله جـل جلاله لذوي البصائر يستشف ويلمع

فيك الامـام المرتضى فيك الوصي المجتبى فيـك البطين الأنزع (٦)

(١) ديوان الطباطبائي ص ٢٤٦

(٢) اعيان الشيعة ج ٥ ص ٢١٨

(٣) أعيان الشيعة ج ٥ ص ٢٢٨

(٤) معارف الرجال ج ١ ص ١٦

(٥) جريدة الهاتف العدد ٢١٧

(٦) القصائد السبع العلويات ص ٩١ - ٩٢

عج بالغري على ضريح حوله ... نادِ لأملاك السماء ومحفل
فمسبّح ومقدس وممجد ... ومعظم ومكبّر ومهلّل
والثم ثراه المسك طيباً واستلم ... عيدانه قبَلا فهن المندل
وانظر الى الدعوات تسعد عنده ... وجنود وحي الله كيف تنزل
والنور يلمع والنواظر شخّص ... اللسن خرسٌ والبصائر ذهّل
واغضض وغضّ فثم سرّ أعجم ... دقّت معانيه وأمر مشكل
وقل السلام عليك يا مولى الورى ... نصاً به نطق الكتاب المنزل (١)

ابن حمّاد

صلى الإله على عليٍ ذي العلى ... ما نال طيراً أو علا أغصانا
وسقى المدينة والبقيع ومشهدا ... حل الغري الطهر من كوفانا
وسقى قبورا بالطفوف منيرة ... وسقى قبورا ضمنت بغدانا
وسقى مقابر (سر من را) والذي ... من طوس أصبح ثاويا نوقانا (٢)

ابن مدلل

زر بالغري العالم الربّاني ... علم الهدى ودعائم الايمان
وقل السلام عليك يا خير الورى ... يا أيها النبأ العظيم الشان
يا من على الأعراف يعرف فضله ... يا قاسم الجنات والنيران
نار تكون قسيمها يا عدتي ... أنا آمن منها على جثماني
وأنا فضيفك والجنان لي القرى ... إذ أنت أنت مورّد الضيفان (٣)

---

(١) القصائد السبع العلويات ص ١١٤ - ١١٦
(٢) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨
(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٤

أبو أسحاق الصابي

كتب إلى عضد الدولة ، وقد خرج الى الزيارة :

توجهت نحو (المشهد) العلم الفرد — على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فيا له — ويا لك من مجد منيخ على مجد
فلم يرفوق الأرض مثلك زائراً — ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت الى كوفان عارض نعمة — يصوب بلا برق يروع بلا رعد
وتابعت أهليها نـدى بثوبة — فرحت إلى فوز وراحوا إلى رفد(١)

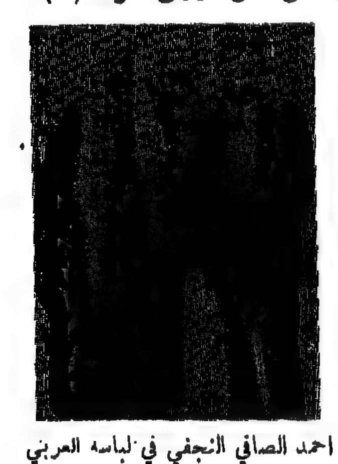
أبو الحسن بن شاه كوثر

بشرى لمن سكنوا كوفـان والنجفا
وجاوروا المرتضى أعلى الورى شرفا (٢)

أحمد الصافي النجفي

« وادي طوى »

صدق الذي سماك في (وادي طوى)
يا دار بـل وادي طوى وعـراء
جلست على الأنهـار بلدان الورى
فعلام أنت جلست في الصحراء ؟ (٣)



احمد الصافي النجفي في لباسه العربي

ان الغري بـلدة تليق أن — تسكنها الشيوخ والعجـائز
فصادرات بـلدتي مشائـخ — وواردات بلدتي جنـائز (٤)

---

(١) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٩٥
(٢) مشهد الامام ص ١٨٩ ، وماضي النجف وحاضرها ص ٢٣٧
(٣) من مذكرات جعفر الخليلي — خطية .
(٤) من مذكرات جعفر الخليلي — خطية

البحتري

أمق الكوفـــة أرضاً وأرى   لجف الحيرة أرضاها وطن (١)

بعض الشعراء

حكمـة أورثناها جـابر   عن امـام صادق القول وفي
لوصي طـاب في تربتـه   فهو كالمسك تراب النجف (٢)

×

تسح سحائب الرضوان سحا   كجود يديـه ينسجم انسجاما
ولا زالت رواة المزن تهـدي   الى النجف التحية والسلاما (٣)

×

سألتـك بالالـه وبالنـبي   وبالمدفون في أرض الغري (٤)

بعض الكوفيين

وبالنجف الحاري ان زرت أهله   مهاً مهملات ما عليهن سائس (٥)

السيد جعفر الحلي

الى ان اغاثتنا الحميدية التي   علا ماؤها سهل الغريين والهضبا (٦)

---

(١) ديوان البحتري ص ٦١٣
(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٣١ ، مادة « الكيمياء »
(٣) الفصول المهمة ص ١٢٠
(٤) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٣٦
(٥) معجم البلدان ج ٨ ص ٢٦٧ ، مادة « النجف » وقد اورد الدكتور مصطفى جواد كل المقطوعة في بحثه .
(٦) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٧٧

نزلوا في حمى الوصي فأوحش   منزل كم زها ببشرهم الهش
بشرهم شمسنا إذا الدهر أغطش   ليت شعري أكان للنجف الأش
رف ام للفيحاء أجلى شحوباً
زهت الأرض والغياث أتاهـــا   والغري ازدهى بغرة طه
أدركت فيهم الملوك مناهـــا   فتعاطت على اختلاف هواها
ضربا هذه وتلك ضريبا (١)

×

ففي الغري لي بنـــو عمومة   وجوههم ريحـــانتي وراحي
لا اجتدى المزن إذا ما سلمت   أيديهـــم الوكّف بالسماح
فجمرة العرب بطون هـــاشم   وهم سراة حيّها اللقـــاح (٢)

×

يا طول ليلي بالغري كأنـــه   قتل الصباح ـ فلم يقم ـ بعمود
وقفت سواري النجم فيه فخلتها   بـــدنا هوين بمنهـــج مسدود
أو حملت همي فأثقل خطوها   فكأنها مصفودة بقيـــود (٣)

×

وكفت على كل الجهات أكفـه   فجرى السماح خلالها والجـود
لا سيا النجف الشريف فأهـله   لعلاه تبدي بالدعا وتعيد (٤)

×

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٨٩
(٢) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ١٣٥
(٣) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ١٤١
(٤) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ١٥٨

فهـــا أنا بالغري ولي فـؤاد يسير وراء ظعنك حيث سارا (١)

×

أنخهـــا بالغـري فلست تلقى سوى دار الحمى للعلم دارا (٢)

×

بكر النعي إلى الغري فراعنا بل راع جانب حيدر ببكور
فترى الأنام لهول ما قـد قاله من عاثر رعباً ومن مذعور (٣)

×

من خفرات الشام محجوبـــة الى الغريين أتت زائـــره (٤)

×

أهـلا فقد لاحت لنـا البشائر وأصبح الغري وهو زاهر (٥)

×

يا برق خذ نبأ نكابد ثقله سينوء فيك فلم تطق لتقلـّه
يا برق إني بالغري مولـــه (يا برق ان جئت الغرى فقل له)
(أتراك تدري من بأرضك مودع) (٦)

×

هل كان في النجف الأعلى سواه فتى تضيء غرته في حسنها النجفا (٧)

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٢٠٠
(٢) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٢٠١
(٣) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٢١٥
(٤) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٢٢٨
(٥) سحر بابل صفحة ٢٤٥
(٦) سحر بابل صفحة ٢٩٧
(٧) سحر بابل صفحة ٣١٣

حسنت كف العلى إذ كنت خاتمها ... فأنت زينتها يا درة النجف (١)

×

أمير زها وادى السلام بوجهه ... وقد كان حيا وجهه يتهلل (٢)

×

بكى الحمى لعــلي والذين به ... إذ ليس غير علي للأنام حمى(٣)

×

يا آمر النجف الأعلى أجد نظراً ... بسيد علوي عــالم علـم (٤)

×

اذا مـا أتى نحو الغري بريدكم ... أبادره عجلان والقلب ذاهل (٥)

×

خلاصة شكواي ان الغري ... لبعدك كالرسم عـافي الأثر (٦)

الشيخ جعفر النقدي

خفقت على ذكر الغري ضلوعه ... فغدت تسيل على الخدود دموعه
والى ربوع العـلم بات فؤاده ... يشكو الغرام ، وأين منه ربوعه
يا منزلاً قـد أبعدته يد النوى ... حياك من غيث السماء مريعـه
بـين الضلوع هواك سر كامن ... لولا الدمـوع الجاريات تذيعـه

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٣٢١
(٢) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٣٦٣
(٣) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٣٩٤
(٤) سحر بابل وسجع البلابل صفحة ٤٠١
(٥) مستدرك سحر بابل صفحة ٤
(٦) مستدرك سحر بابل صفحة ٦

انى لينعشني بربعك صيفه — وشتاؤه وخريفه وربيعه
يا حبذا شمس السماء غروبها — بجهاك والبدر المنير طلوعه
أدرت مهاد العلم ان وليدها — بلغ الفطام من السلو* رضيعه ؟
ياجيرة الذكوات أذكى بعدكم — قلباً لقربكم شجاه ولوعه (١)

الشيخ جواد الشبيبي


الشيخ جواد الشبيبي

تعريسة الركب بالوادي من النجف
هل رجعة لك من بعد النوى القذف
غادرت دينار وجي عنك منصرفاً
في موسم الوجد للأشجان والكلف

*

يا رملة الذكوات البيض لاوسمت
إلا ثراك غوادي الرجز والوطف
نور الامامة سرنا من أشعته — على هدى عن جبين الصبح منكشف
وانت يا قبة الاسلام لو لجأت — اليك مطرودة الأقدار لم تخف (٢)

×

لجيرة النجف الأعلى بحانحق — مغنى كما يتمنى القلب مأهول
أنزلتهم فيه مقروين ينهلهم — دمع اذا شحت الانواء مبذول
بيوت علم عليها أينا ضربت — ستر من العفة البيضاء مسدول
فجر الأدلاء من ضلت بصيرته — فأنتم في دياجيها قناديل

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ص ٢٥ - ٢٦
(٢) ماضي النجف وحاضرها «ط ٢» - ج ١ ص ٣٢-٣٣

براكم الله أرواحاً مقـــدسة من معدن اللطف والباقي تماثيل
آراؤكم لا السيوف البيض قام بها لله في الأ ض تكبير وتهليـل
أعلت منار الهدى في كل مملكة هـذه العمائم لا تلك الأكاليل
كأنكم والمعالي من فرائسكم أسدٌ، وأقلامكم من حولكم غيل
دافعتم عن سنا القرآن فالتجأت توراتهم لهـداه والأناجيل (١)

الحسين بن الحجاج

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واشتشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهـادي لعلكم تحظون بالأجر والإقبـال والزلف
زوروا لمن تسمع النجوى لديـه فمن يزره بالقـبر ملهوفاً لديـــه كفي
إذا وصلت فأحرم قبـــل تدخله ملبياً واسع سعياً حـــوله وطف
حتى إذا طفت سبعاً حول قبتـه تأمل البـــاب تلقا وجهه فقف
وقـــل سلام من الله السلام على أهـل السلام وأهل العلم والشرف
اني أتيتك يا مولاي من بـــلدي مستمسكاً من حبال الحق بالطرف
راجٍ بأنـك يا مـولاي تشفع لي وتسقيّني رحيقاً شـافي اللهـــف
لأنـك العروة الوثقى فمن علقت بهـــا يـداه فلن يشقى ولم يخف
وإن اسماءك الحسنى إذا تليت على مريض شفي من سقمه الدنف
لأن شأنك شأن غـــير منتقص وأن نورك نور غير منكسف
وإنك الآيـة الكبرى التي ظهرت للعازفين بأنـــواع مـن الطرف
هـــذي ملائكة الرحمن دائمـــة يهبطن نحوك بالألطاف والتحف (٢)

(١) ماضي النجف وحاضرها « ط ٢ » ج ١ ص ٣٣
(٢) روضات الجنات ص ٢٣٨-٢٣٩

حميد فرج الله

« وادي السلام »

وقفت وقد هالني الموقف فجفت على شفـتي الأحرف
أجلت النواظر في بقعـة مداها على البعد لا يعرف
تصورت كم ضمّ هذا الأديـ ـم جموعاً من الناس لا توصف
فكم من ملوك أقاموا القصو ر فعافوا القصور وما زخرفوا
وكم عالم ضم هـذا الثرى وكم شاعر حسّه مرهف
وكم من فتى حط في رمسه ومن غادة قـدها أهيف
وكم من صحيح طواه الفنا ء يوارى الى جنبه مدنف
عوالم قـد ووريت ها هنـا وجيل على آخر يرصف
تأملت لم كل هـذي الحشو د إلى مستقر هنا تزحف
وما السر في نقل أجداثها اليه وفي تربه تقذف
فتطوى المسافات عبر الحدو د ويأتي الغريّ بهـا الموجف
وهـذي الملايين مرّ القرو ن كأن الغريّ لها متحف
تأملت حتى كأني سكر ت وما لامست شفتي القرقف
فصوّت في مسمعي هاتف بذكر إمام الهـدى يهتف
ولاحت على خاطري صورة وعنوانها النجف الأشرف
تشع بآفاقها قبـة علت شرفاً، دونها الأوطف
تعالت لتحضن وادي السلا م وتدرك من جاء يستعطف
ومدت على الراقدين الظـلا ل كأم على صبية تعكف
سمت باسم حيدرة رفعة وجلت عن الوصف إذ توصف
فأضحى الغري بهـا غادة وكل موال بها يكلف

تسير الجموع الى تربــة لمسجد حصبائه ترشف
فمن جاور المرتضى حيدرا بيوم الجزاء غداً ينصف (١)

دعبل

ســلام بالغــداة وبالعشيّ على جــدث بأكناف الغريّ
ولا زالت عزالي النوء تزجى اليه صبابة المزن الرويّ
ألا يا حبذا ترب بنجــد وقبر ضم أوصال الوصيّ
وصي محمد -بأبي وأمي- وأكرم من مشى بعد النبيّ
لئن حجّوا إلى البلد القصي فحجي ما حييت إلى عليّ(٢)

الراجز

أهل عرفت الدار بالغريين وصاليات ككما يؤثفين (٣)

فريد المزركي

وعليّ البطــل الامام ومن وارى غرائب فضله النجف (٤)

الشريف الرضي

سقى الله المدينة من محل لباب الماء والنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه رخيّ الذيل ملآن الوطاب
وأعلام الغري وما استباحت معالمها من الحسب اللباب
وقبراً بالطفوف يضم شلواً قضى ظمأ إلى برد الشراب
وسامرا وبغدادا وطوسا هطول الودق منخرق العباب

---

(١) وادي السلام ص ٢١٩ — ٢٢٢
(٢) مناقب آل ابي طالب ج ٢ ص ٨٤ ، وشعر دعبل بن علي الخزاعي ص ٢٧٦
(٣) الصحاح ج ٢ ص ٥٢٦ ، مادة « غرا » .
(٤) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٣٨

قبوراً تنطف العبرات فيها ... كما نطف الصبير على الروابي
صلاة الله تخفق كل يوم ... على تلك المعالم والقباب (١)

الصاحب بن عبّاد

يا زائرين اجتمعوا جموعا ... وكلهم قد أزمعوا الرجوعا
اذا حللتم تربة المدينه ... بخير أرض وبخير طينه
فأبلغوا محمد الزكيا ... عني السلام طيباً زكيا
حتى اذا عدتم الى الغريّ ... فسلموا مني على الوصيّ
وبعد بالبقيع في خير وطن ... أهدوا سلامي نحو مولاي الحسن
وأبلغوا القتلى بأرض الطفّ ... تحيتي ألفين بعد ألف
ثمة عودوا ببقيع الفرقد ... نحوَ علي بن الحسين سيدي
وباقر العلم أخا الذخائر ... ومعدن العلياء والمفاخر
وكنز علم الله في الخلائق ... جعفر الصادق اتقى صادق
فبلغوهم من سلامي النامي ... ما لا يزول مدة الايام
حتى اذا عدتم الى بغدان ... بمشهد الزكاء والرضوان
فبلغوا مني سلاماً دائبا ... سلام من يرى الولاء واجبا
وواصلوا السير وزوروا طوسا ... نحو علي ذي العلى بن موسى
حيّوه عني ما أضاء كوكب ... وما أقام يذبل وكبكب
وسلموا بعد على محمد ... بأرض بغدان زكي المشهد
واعتمروا عسكر سامراء ... اهدوا سلامي أحسن الاهداء
نحو علي الطاهر المطهر ... والحسن المحسن نسل حيدر (٢)

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٢٣ ، وديوان الرضي ج ١ ص ٩١
(٢) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٢٩ — ٢٣٠

وصرت في الغري في خير وطن　　سلم على خير الورى أبي الحسن(١)

السيد صادق الفحام

خلع الربيع على الغري مطارفا　　جدداً يطرز وشيها النوّاب (٢)

السيد صالح بحر العلوم

ليس في وسعي　　الخروج على سنة السلف
نحن نهوى وعيبنا　　ان في حبنا الشرف
وستغتالني جفان　　على مقرع الشغف
وكفاني شهادة　　ان مثواي في النجف (٣)

طالب الحاج فليح

لك من بني النجف الشريف　　تحية الخل الودود
لي في حمى وادي السلام　　احبة تحت الصعيد(٤)

عامر بن واثلة الليثي

ألا طرقتنا بالغريين بعدما　　كللنا على شحط المزار جنوب
أتوك يقودون المنايا وانما　　هدتها بأولانا إليك ذنوب (٥)

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٣٠
(٢) مشهد الامام ص ٢٤٩ ، وماضي النجف وحاضرها ص ٥٨
(٣) جريدة الهاتف العدد ٢٦٤
(٤) جريدة الهاتف العدد ٢٧٠
(٥) تاريخ الرسل والملوك ص ١٠٦٥ - ١٠٦٦

عباس الخليلي

من قصيدة قالها عند عودته الى النجف لاول مرة بعد فراره من المشنقة في ثورة النجف .

قبّلت منك بعيني الارض لا بفمي   وجف دمعي فروّاك الحشا بدمي
عفّرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحى   فناب للسعي رأسي فيك عن قدمي
وكاد ينطق طرفي بالسلام على   ارض العراق فهذي ادمعي كلمي
ما الدمع ما اللفظ الا لؤلؤ رطب   خلطت منتثراً منه بمنتظم
ارخصت دراً غلا من ذا وذاك على   معالم للعلى والعز والكرم
رضعت فيك لبان المجد من صغر   فلست حتى الردى عنه بمنفطم
ما الرافدان وان ساغا بعذبهما   يبردان غليلي منك بالشبم
ضحيت انسان عيني بالبكاء على   ثرى كفاه دم القتلى عن الديم
كم من كمي تردى فيك ثوب ردى   وكم أبيّ بسهم النائبات رمي
وكم طريد مضى والويل رائده   فانتابه الحتف في الآجام والأكم
قد شردتني منك الحادثات وقد   ردتني اليوم ، فلتنبئك عن هممي
انا الذي هدّ ركنا من عداك كما   قد شاد للمجد ركناً غير منهدم
جدنا بأنفسنا نحمي حماك فلا   نرضى لك الذل ان قيل العراق (حمي)
متى تربّي لك الايام مثلي من   ان خانه السيف يوماً قام بالقلم
يا حسنها ساعة ردت اليك فتى   ما كان يرجو اليك العود في الحلم (١)

السيد عباس شبر

قالت لي ابنة القريض والظرف   اذن فهيا بي الى ارض النجف
إن اشف من دائي فتلك رغبتي   وان أمت فدفني في تربتي

---

(١) وهي قصيدة طويلة نقلناها مجتزئة من كتاب « هكذا عرفتهم » ص ٣٧٦

فسرت من يومي بها الى النجف لعلني انقـذها من التلف (١)

الشيخ عباس الملاعلي

سلام على وادي الغري على البعد وان كان لا يغني السلام ولا يجدي
سلام مشوق قرّح البين جفنه وجرعه صاب الصبابة والوجد
حليف غرام كلما هبت الصبا صبا قلبه وازداد وقداً على وقد
وإن مر ذكر السفح ظلت سوافحاً سحائب جفنيه دماء على الخد
تنازعه في كل حين نوازع من الشوق حتى لا يعيد ولا يبدي
يقلب طرفيه إذا الليل جنه كأنْ وكلت منه المحاجر بالسهد
ويذكر اياماً تقضت بحاجر وناعم عيش راق في سالف العهد (٢)

عبدالباقي العمري

بنا من بنات الماء للكوفة الغرا سبوح سرت ليلاً فسبحان من أسرى
تمد جناحاً من قوادمه الصبا تروم بأكناف الغري لها وكرا (٣)

×

ولما سرينا للغري عشية لمن قد ثوى فيه احتراماً وتبجيلا
ربطنا بأخفاف المطي ثغورنا فأشبعت البيداء لثماً وتقبيلا (٤)

×

عجبت لسكان أرض الغري بظل الوصي استظلوا وناموا (٥)

....

(١) جريدة الهاتف العدد ٢٩٧
(٢) ديوان الشيخ عباس الملاعلي ص ٧٧ ـ ٧٨
(٣) الترياق الفاروقي ص ١٠١
(٤) الترياق الفاروقي ص ١٢٧
(٥) الترياق الفاروقي ص ١٢٨

طرنا إلى النجف الأعلى بأجنحة رفيفها يصدع الأفلاك بالزجل
على مطا كل وجناء مناسمها أحق من وجنة الحسناء بالقبل
حتى أنخنا بأعتاب الأمير أبي الـ غرّ الميامين مولانا الامام : علي
فرصع اللثم بالأفواه ساحته وكللتها بدرٌ أدمع المقل
وشام برق التجلي كل ذي نظر بإثمد من ثرى الاعتاب مكتحل(١)

عجبت لسكان الغري وخوفهم من الأسد الضاري إذا جاء مقبلا
ليلثم أعتاباً تحط ببابها ملائكة السبع السماوات أرحلا
وفي سوحهم كم قد أناخت تواضعاً قساورة الغاب الربوبي كلكلا
وهم في حمى فيه الوجود قد احتمى ومغناه كم أغنى عديماً ومرملا
وقد أغلقوا باب المدينة دونه وذلك باب ما رأيناه مقفلا
فمرغ خداً في ثرى باب حطة وردّ وقد أخفى الزئير مهرولا
فلو عرفوا حق الولاء لحيدر لما منعوا عنه مواليه لا ولا (٢)

×

قمر من النجف المعلى مذ بدا أهدى الى ابصارنا تنويرا (٣)

×

قالوا استخار الغري تولية يرقب فيه مقابر النجف (٤)

×

فان جهلت علاه سل عنه أهل الغريّ (٥)

---

(١) الترياق الفاروقي ص ١٢٩
(٢) الترياق الفاروقي ص ١٣٠
(٣) الترياق الفاروقي ص ٣٤٠ ، وتراجع ص ٣٤٢ .
(٤) الترياق الفاروقي ص ٤٠٣
(٥) الترياق الفاروقي ص ٤١٦

قف بالمطي إذا جئت العشي الى ارض الغري على باب الوصي علي
وزر وصلّ وسلم وابك وادع وسل به لك الخير يا موسى الكليم ولي(١)

الشيخ عبد الحسين الحلي

تحية النجف بيوم العيد



الشيخ عبد الحسين الحلي

حي اوطاني اذا سعدت
بالتحايا الغر اوطان
واصيحابا عهدتهم
وهم في الله اخوان
لهم في كل مكرمة
أثر بالفضل ملآن
كيف يخفى فضلهم وله
بينهم من لطفه شان

(يا خليلي) انت لي وكفى بك عمن لي قد كانوا
انت في مرآك منشرح لي ومن ذكراك سلوان
لك ودي لا ارتياب به ما وراء الحس برهان
اعرب(الراعي) (لهاتفه) عن مزايا بك تزدان
ومعان للكمال غدت هي روح وهو جثمان
انما (الراعي وهاتفه) لشتات الفضل ديوان
وهما سفر فان فكهت نفس من يهوى فبستان
لك يولي العيد بهجته وهي ألطاف واحسان

(١) الترياق الفاروقي ص ٤١٨

فاستق الاقداح فيه اذا صح ان اليوم نشوان
وخذ الافراح منه وما هو الا بك جذلان
واستمعها من فمي نغماً للتهاني هي ألحان
لك اهديها محبرة وعليها الود عنوان
كعقود الدر فصلهـا ببديع الصنع مرجان
كل عقد لا توازنه دلة تهدى وفنجان (١)

عبد الحسين العاملي

عج بالغري وحول كعبة فخره احرم وطف وانشق تضوع نشره
وأشر به لثرى الوصي وقبره (هذا ثرى حط الاثير لقدره)
(ولعزه هام الثريا يخضع) (٢)

الشيخ عبد الحسين الحويزي

سعدت في الغري أرفع دار نشرت بالعلوم فيها الصحائف
قلم الفن قال للوح ارخ (دار رشد بها حوى العدل هاتف) (٣)

×

عبد الحميد السنيد

أأبناء الغري اليكموها تفوق بلفظها نظم ابن هاني

....

(١) كتاب «هكـذا عرفتهم» ص ٢٦٦ . اما الدلة والفنجان فلهما حديث طويل وقد قيلت فيهما قصائد جمة

(٢) مشهد الامام ص ٢١٣

(٣) قالها مؤرخاً تشييد دار الهاتف في النجف ـــ جريدة الهاتف ١٠٤١

خريدة يومها زفت اليكم تجلت في عقود من جمان (١)

عبدالرزاق محي الدين

أرض الغري وقد اردت نشيدا حسبي فخارك مبدياً ومعيدا
وبحسب كل فم وكل يراعة حصباء قاعك لؤلؤاً منضودا (٢)

×

الشيـخ عبدالغني الخضري

رابطة العلم بكم قد ازدهت والنجف الأشرف فيكم ازدهر (٣)

×

أحباي يا من بالغريين خيموا وفي ظلها حطوا الرحال عن الركب
همت بعدكم عيني فلو تبصرونها حسبتم بان العين ضرب من السحب (٤)

×

على سماء الفضل لاحت ذكا فأشرقت فيها ربوع النجف (٥)

×

---

(١) جريدة الهاتف العدد ٣٣٠
(٢) جريدة الهاتف العدد ٢٨٦
(٣) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري ص ٧٥
(٤) ديوان الشيخ عبد الغني الخضري ص ١٦٩
(٥) ديوان الشيخ عبدالغني الخضري ص ١٧٤

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

« وادي السلام »

على الذكوات البيض من جانب الوادي ... قفـا ساعة واستنطقا الأثر البادي

فكم فيـه معنى لا يفي ببيانه ... لسان فصيح أو براعـة نقّاد

وكم عبرة خرسا بها نطق البلى ... فأفصح تبياناً على غير معتـاد

*

خليلي مـا هـذا البيان فانني ... أرى الصخرة الصماء تعرب كالشادي

وذي صفحة الوادي ينم عبيرها ... بما قد حوته من زهور وأوراد

وكم ربوة للرمل مـاج أديمها ... بلألاء ثغر قـد تناثر في الوادي

ولحـد على حافاته قـد تعطفت ... حنايا ضلوع من قوائـم أجـساد

وقفت عليه والأسى يبعث الأسى ... فهاجت بنفسي زفرة ذات إيقـاد

وقد جلّل الوادي الرهيب وما به ... بروعة إجلال لهـا أثر بادي

هنالك لو شاهدت أروع منظـر ... بروعته شعري تردّى وانشادي

سكون عميق قـد تخلل بينه ... صدى صيحة يعتاد ترديدها الحادى

وقـد جثمت تلك التماثيل حوله ... ومالت أعاليهـا خشوعاً كأجياد

وكم بعثرت من حول هاتيك كومة ... تزاحم في طياتها أي أضـداد

وكم حفرة قد أدرجوا في قرارها ... مواهب أفـذاذ وأخلاق أمجـاد

فيـا صفحة الوادي وأنت سجـله ... أتدرين كم مرت قرون على الوادي ؟

وكم قد تلاشت في ثراه مفارق ... وكم طويت فيـه أكاليل أسياد

وكم صولجان قـد تداعى كيانـه ... بـه وعروش دكّها الزمن العادي

ورب لسان مفصح عـاد أخرسا ... وخانتـه للتعبير قوة إيجـاد

وكان محالاً عنده الصمت فاغتدى ... لسلطانه الجبـار أطوع منقـاد

فهل طويت منه الفصاحة في الثرى ... وهل أخمدت في أثرها روعة النادي

سلام على الوادي على ذكواتـه ... ومن حلّ فيه من ضيوف ووفاد
على تربة منها الصبا قد تعطرت ... فرائحها الفيـاح يعبق كالغادي
على صفحة الوادي وموجة رمله ... وآمـال آبـاء وأحلام أولاد
وقارورة من أدمع قد تكسرت ... لأم رؤوم فوق زهـرة أكباد
ويا تربة وادي السلام قرارها ... ومن حبها في كل قلب هوىً بادي
سقاك الحيا من تربة قد ترعرعت ... على حبها نفسي بساعة ميلادي
علقت بها طول الحياة وإنني ... سأبعث مقروناً بها يوم ميعادي (١)

عبيد الله الحسيني

يا طيب نفح النسيم في سحر ... عرّج على طيبة بتغليس
وزر بقيعاً تجد هناك به ... رسماً من الدين جدّ مطموس
واغزهما بالغري رازمة ... تثلم إضحاكها بتعبيس(٢)

الشيخ علي بازي

قد أزهرت كوفان وارتاح النجف ... بمقدم الشهم الهمام ذي الشرف
أهلاً به من قادم مكرم ... قلبي له قبل اللسان قد هتف (٣)

السيد علي خان الشيرازي

يا صاح هذا المشهد الأقدس ... قرت به الأعين والأنفس
والنجف الأشرف بانت لنا ... أعلامه والمعهد الأقدس
والقبة البيضاء قد أشرقت ... ينجاب عن لئلائها الحندس (٤)

---

(١) وادي السلام ص ٢٣١-٢٣٤
(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢٩
(٣) جريدة الهاتف العدد ٦٦
(٤) ماضي النجف وحاضرها ص ١٠-١١ ، ومشهد الامام ص ٦٩

الشيخ علي الشرقي

وادي النجف



الشيخ علي الشرقي

اللطف غبّش صفحــة

الوادي المنوّر بالشقائق

والرمل مواج السبائك

بالشذا الفوّاح عــابق

والدار عــالية البــنا

فوراء كامــلة المرافق

وضح الطريق لها وزالت

عــن شرائعها المزالق

فيهــا مفــاتيح لأبــوا ... ب الرجا وبهــا مغالق

ولهــا مجــاز ينتهي ... بالسالكين الى حقــائق

حضن الخورنق فرخهــا ... أم العذيب واخت بارق

وطني المفدّى أي سـرّ ... في ثراك الطهر عــالق

أمن الثرى هذي الدمى ... ومن الورى هذي الغرانق

ومن التراب ومـا الترا ... ب ؟ خلقت أوراد الحدائق

لله فيــك عنــايــة ... جعلتك مخــلوقاً وخالق

مرّت بصخرتك القرون ... سريعــة مــرّ الدقائق

مــلأى بكل طريفــة ... من كل معجزة وخارق

زاهي الحــدود منيعة ... ببنى المدارس والخنــادق

ساعٍ لرفعــة شعبــه ... بــلد المنابر والمشانق

ولواؤه القــوميّ فــوق ... شعاره الوطــني خافق

العــزّ وضّاء المنــارة ... لامــع والعزم صــادق

تـاج الجـزيرة قبسة ... سطعت على خير المفارق
الحـق تحت رواقهـا ... والنبل ممـدود السرادق
أين اللواحق يا غـريّ ... فأنت أنت أبو السوابق
يا لمعـة النجف المعلّ ... لا تجهّمك الطوارق (١)

وادي السلام

سل الحجر الصوّان والاثر العادي ... خليلي كم جيل قد احتضن الوادي
فيا صيحة الاجيال فيه إذا دعت ... ملايين آبـاء ملايـين أولاد
ثلاثون جيلاً قد ثوت في قرارة ... تزاحم في عرب وفرس وأكراد
ففي الخمسة الاشبار دكت مدائن ... وقد طويت في حفرة ألف بغداد
عبرت على الوادي وسفّت عجاجة ... فكم من بلاد في الغبار وكم ناد
وأبقيت لم أنفض عن الرأس تربه ... لأرفع تكريما على الرأس أجدادي
خليلي هجسا واتئاداً بخطوكم ... فـلم تطأوا إلاّ مراقـد رقّاد
فما الربوات البيض في أيمن الحمى ... وقـد خشعت الاّ نضائد اكبـاد
وهل رادع للناس عن كسر قلة ... اذا عرفوها من ضلوع وأعضاد
لقـد هبطت روادنا خير منزل ... سمـاء لأرواح وأرضاً لأجساد
وجئنا لقوم يضربون قبـابهم ... على رائح عن حيهم وعلى الغادي
قباب عليها استهزأ الدهر ما بها ... سوى الحجر المدفون والحجر البادي
ألا ايهـا الركب المجعجع في الحمى ... إلى أين مسرى ظعنكم ومن الحادي
اعقباك يا دنيـا قميص وطمرة ... بحفرة أرض من خرابات زهاد
فذو الزهو خلى الزهو عنه وقد ثوى ... وظلت على الغـبرا سيادة أسياد
فكم من هموم في التراب وهمة ... وكم طويت فيـه شمائل أمجاد

---

(١) عواطف وعواصف ص ١٣٠-١٣١

ثوت كومة للترب من حول كومة ... معلمة : هـــذا الزعيم وذا الهادي
طلبت ابن عبـــاد فألفيت صخرة ... وقد رقشت هـذا ضريح ابن عباد
غداً تنبت الأجساد عشباً على الثرى ... فهل تطلع الأرواح مطلع أوراد
وهـــل لعبت بالراقدين حلومهم ... بأطياف أفراح وأطياف أنكاد
وما هذه الأجساد من بعد نزعها ... سوى قفص خالٍ وقد أفلت الشادي
مضت نشأة الأرحام في ظلماتها ... وأضوأ منها نشأتي بعد ميلادي
ولي نشأة أعلى وأجـــلى فانني ... بتهيئـــة في النشأتين واعـــداد
طباع الفتى فردوسه أو جحيمه وفي ... طي أخلاقي نشوري وميعادي (١)

قفص البلبـــل

وما بـــلد ضمني سجنه ... ولكنـــه قفص البلبل
ترف جنـاحاه لم يستطع ... مطارا فيفحص بالأرجل
لقـــد أقفلوا باب آماله ... فحام على بابـــه المقفل
خفوق الحشى وخفوق الجنا ... ح تحيّر مهما يطر يفشل
مروع يلوذ بجنب الشقيق ... وما راعه غير صوت الخلي
تنفض لولا سقيط الندى ... ينوش جناحيه لم تبلل
ثقيل على غصن الياسمين ... خفيف على صهوة الشمأل
وما اشتاق الا خميل الورو ... د وشوق الخطيب الى المحفل
فعين إلى الزمر الرائحات ... وعـين إلى سربها المقبل
أبى المرء الا التماس الشقاء ... وعن منهج الغي لم يعدل
فيا رحمته يـــدا قانص ... وناشته قـاسية الأنـمـل
لقد نازعوه بملك الفضا ... فأصبح وقفا على المنزل

---

(١) عواطف وعواصف ص ١٣٩-١٤٠

دعوه ليحيا حياة السعيد فلا هو يبلو ولا يبتلي
ينـــام فيحلم بالسانحات ويصحـــو فيسبح بالجدول
يناوله الزهر غض الطعام هنيئاً ويكرع في السلسل
أتعرف ماذا يقول الهزار وما ترجمت نغمـة الموصلي
قد استنصت الزمر الصادحا ت ورتل في وحيه المنزل
تعـالي فبي عبرة للضعيف ولا حظ في العيش للأعزل
سأملأ جيلي الذي عشت فيـ ـه حنيناً إلى جيلك المقبل
لقد كنت مثلك يا سانحا ت أروح وأغدو على المنهل
فلا تأمني إنـ ـام السلام عقيم إلى الآن لم تحبـــل
وهيهات هيهات يخلو الزما ن فإما معاوية أو علي
هل الفضل يا أرض للزارعيـ ـن يعود أم الفضل للمنجل
ويا سهم ان صدتني جارحاً شكرتك إذ لم تصب مقتلي
أرى الناس معرضة للشقاء واني من السجن في معزل
ولا تعذلوا لهـــم آخراً فان البليـــة من أول
وهل حط من يوسف سجنه وهـــل قدح الغمد بالمنصل(١)

×

بـــلدي رؤوس كلهـــا أرأيت مزرعـة البصل ؟ (٢)

علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي

يا راكباً يفلي الفـــلاة بجسرة زيافـــة كالكوكب السيـــار
حرف براها السير حتى أصبحت كيراعة أنحى عليهـــا الباري

(١) عواطف وعواصف ص ٢٠٠–٢٠١
(٢) من مذكرات جعفر الخليلي ـ خطية .

عرّج على أرض الغري وقف به | والثم ثراه وزره خير مزار
واخلع بمشهده الشريف معظماً | تعظيم بيت الله ذي الأستار
وقل السلام عليك يا خير الورى | وأبا الهداة السادة الأبرار (١)

السيد علي نقى النقوى اللكنوي الهندي

نجف ومـا أدارك ما نجف | للنـاس والأملاك معتكف
حرم إذا لاذ الطريد بـه | يرعاه عن صرف الردى كنف
وحديقة تزهـو الورى طربا | إذ فاح طيباً روضها الأنف
روض سقاه فضل بارئـه | بصبيب هاطلة لهـا وطف
فتهدلت أغصانـه وغـدت | افنـاؤه اللاجين تكتنف
وأتت لهـا الأثمار مونعـة | برضا المهيمن حيث تقتطف

×

المجـد خـيم في مرابعه | وعلى فنـاه طنّب الشرف،
وبه الهدى ألقى عصاه فـلا | حـول له عنه ومنصرف
العـلم أودعه الإله بـه | كمصون در ضمّه الصدف
ذا شيخنا الطوسيّ شيد بـه | لربوع شرع المصطفى شرف
فهـو الذي اتخـذ الغريّ له | مأوى بـه العلياء تعتكف
فتهافتوا السراج حكمتـه | مثـل الفراش إليه تزدلف(٢)

×

وقفتهم الأبنـاء ضامنـة | تجديد ما قد شاده السلف(٣)

---

(١) كشف الغمة ص ٧٩
(٢) هكذا ورد في الأصل ج. خ.
(٣) ماضي النجف وحاضرها ص ٢٦ ـ ٢٧

الفرزدق

وليـلة بتنـا بالغريين ضافنـا ... عن الزاد ممشوق الذراعين أطلس(١)

الشيخ قاسم محي الدين

فما وحقك مـا طابت مجالسنا ... من يوم فارقتنا يا درّة النجف (٢)

كاظم الأزري

يا آل بيت الله كل من ابتلى ... لم ينج الا فيكم أهـل الولا
لكم كأبراج السموات العلى ... حفر بطيبة والغري وكربلا(٣)

الكميت

فيا ليت شعري هـل أبصرنّ ... بالنجف الدهر حضّارها (٤)

مان الموسوس

اقفــر مغنى الديار بالنجف ... وحلت عمـا عهدت من لطف
طويت عنهـا الرضى مذممـة ... لما انطوى غضّ عيشها الأنف
حللت عن سكرة الصبابة من ... خوف إلهي بمعرك قـذف
سئمت ورد الصبا فقد يبست ... مني بنـات الخدود والخزف
سلوت عن نُهـد نسبن إلى ... حسن قوام واللحظ في وطف
يمددن حبـل الصبا لمن ألفت ... رجلاه فيه الجون والدنف
ومدنف عاد في النحول من الوجـ ... ـد إلى مثـل رقـة الألف

---

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٤٨٥
(٢) هكذا عرفتهم ٢٩٢
(٣) الديوان في اهل البيت ص ٣٠
(٤) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٢٩٩

يشارك الطير في النحيب ولا | يشركنه في النحول والقضف
ومسمعات نهكن أعظمه | فهو من الضيم غير منتصف
مفتخرات بالجور عجباً كما | يفخر أهل السفاه بالجنف
وقهوة من نتاج قطر بل تخ | طف عقل الفتى بلا عنف
ترجع شرخ الشباب للخرف الفا | ني وتدني الفتى من الشغف(١)

المجاشعي

اهل عرفت الدار بالغريين | لم يبق من آيٍ بها يحلّين
غير خطام ورماد كنفين | وصاليات ككما يؤثفين (٢)

الشيخ محسن الخضري

قال ، متشوقاً ـ وهو خارج النجف ـ لمجلس أحبابه :

سرت نسمات الشيح وهنا فنبهت | أخاً كلف لم تألف النوم عيناه
وهبت علينا من حمى الضال نفحة | سرت بجناحي خافق من حواياه
فما نسمات الجزع تحمل رياه | على حين أنستنا الحمى وخزاماه
تثني بذاك المعطف عن كل نبعة | فعهدي بخوط البان غضاً تمناه
وسري بنا أزكى من المسك نفحة | تفوح بأدنى المأزمين وأقصاه
وعوجي على الرضراض من رمل عالج | فقد برزت للمدلجين نعاماه
اذا الشيح والقيصوم فيه تعانقا | وفاحت بذياك العبير ثناياه
فدونك يا أرواح نجد شميمه | ولا تحرمينا ويك من طيب ريّاه
وفي الجانب الغربي من أيمن الحمى | صفاء يفديّه الحمى بصفاياه
بنفسي هم من نازلين بمغناه | وبي أنتم من راشدين وقد تاهوا

---

(١) الأغاني ج ٢٠ ص ٨٤ ـ ٨٥

(٢) تاج العروس ج ١٠ ص ٦٥ مادة «غرا» ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٣٥٨ أيضاً

فيا أخوي ودي القديمين لاطفا   خميلته الغنـا وعوجا بمغناه
فثمة قتـلى نشوة في صعيده   ويا بأبي ذاك الصعيد وقتلاه
ويا صاحبيّ الأطيبين تبـوّءا   مقاماً إلى جنب الفرات عهدناه
عهدناه مرهوب الجناب ممنعاً   بشهم فمن موسى ومن طور سيناه؟(١)

×

وقعت بـين كربلا والغريـيّن   فما كان موقعاً أحلاها (٢)

×

على الذكوات البيض من أيمن الحمى   أقيا بنعش زلزل الأرض والسما (٣)

×

أرح العيس على رمـل الحمى   إنـه رضراض درٌ النجف
واستلم قدس ضريح قد سما   مثـل أفلاك السما في الشرف(٤)

×

أمحلقاً للكرخ من وادي الحمى   كيما يزور به الأمير نصيفا (٥)

×

سقينا لأكناف الغريّ فانها   نعـم المقيل لمن أراد مقيلا
وأنا الفداء لحضرة القدس التي   عكف الوصي بها فعادت غيلا
حامي النزيل ولست أعرف منزلا   أحمى وأمنـع من حماه نزيلا
وبنفسي الحي المقـيم ببابه   إذ كان ظـلا للاله ظليلا

---

(١) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ٣٧-٣٨
(٢) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ٤٥
(٣) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ٩٧
(٤) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٣٨
(٥) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٤٩

الثابتين وقد تزايل غيرهم فهم الجبال الشم جيلا جيلا
ثبتوا كما ثبت الألى من قومهم كرما فساجلت الفروع أصولا (١)

×

ومقيم في ثنيات الحمى عندما أزمعت القوم الرحيل (٢)

محمد بن أمير الحاج

الله أكبر لاح قرص الشمس في أرض الغري ؟
أم قبة الفلك الذي فيها أضاء المشتري
أم طورسيناء الكليم به كبدر نير
بل قبة النبأ العظيم وزير طه الأطهر (٣)

محمد توفيق البلاغي

سلام على من شرف القبة الغرا فطابت به نظماً وطابت به نثرا
سلام على وادي الغري أقله اذا ضاع عرفاً يملأ البر والبحرا (٤)

السيد محمد جمال الهاشمي

ودعت صحبي وتركت أهلي ونحو فارس شددت رحلي
قصدتها ودمعتي منهمله ونار حزني في الحشا مشتعله
حتى دخلت أرض كرمنشاه في قلب يرف في سماء النجف (٥)

---

(١) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٦٧
(٢) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٧٢
(٣) ماضي النجف وحاضرها ص ٤٩
(٤) مشهد الامام ج ٢ ص ١٩٤
(٥) جريدة الهاتف العدد ٥٠٤

أزف عـــن النجف الأشرف لكم آية الشكر في موقفي
وأخـــتم أنشودتي بالـــذي بدأت : عن النجف الأشرف(١)

★

ايـــه أرض الغري يا شعلة الحق ويا غابة الليوث الكماة
يا منار الاسلام يا قبة الدين ويا مركز الهـــدى والهداة(٢)

★

ان تاريخك المضمخ بالمجـــد تسامى بالفضـــل والاكرام
سوف يبقى الزمان يرنـــو لعلياه بعين الاجلال والاعظام
نـــم مهنى براحـــة وسلام في حمى حيدر (بدار السلام) (٣)

الشيخ محمد جواد الجزائري

وضيم الفريّان غـــاب العراق وفارق ليث العرين العرينـــا(٤).

الشيخ محمد حسن حيدر

يا بلبل النجف الغريد فيه الا غرد كما غرد الأطيار في الزهر
يهزني شعرك الراقي فاحسبه من نغمة الغيد او من نغمة الوتر(٥)

★

يا جيرة الحي من وادي الغري الأ هل فيكم من يحييني فيحييني (٦)

---

(١) من قصيدة طويلة يودع بها الشاعر سوق الشيوخ (جريدة الهاتف) العدد ٣٢٣
(٢) جريدة الهاتف العدد ١٢٥
(٣) جريدة الهاتف العدد ٣١٥
(٤) ماضي النجف وحاضرها ص ٢٥٥
(٥) جريدة الهاتف العدد ٢٩٤
(٦) جريدة الهاتف العدد ٣٤٩

هل فيك ما فيّ من ودّ يهيج على ... (وادي الغري) وأكرم في أهاليه (١)

محمد بن الحسين – البهاء العاملي

يا ريح اذا أتيت أهل النجف ... فالثم عني ترابها ثم قف
واذكر خبري لدى عريب نزلوا ... واديه وقص قصتي وانصرف (٢)

محمد الخليلي

«وادي السلام»

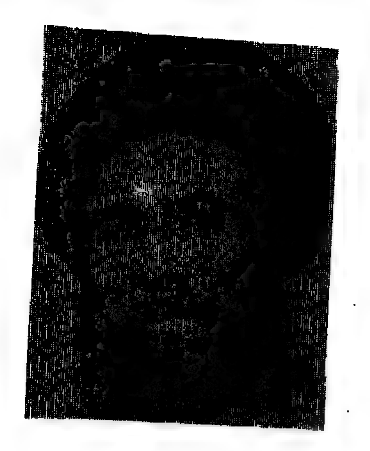
حيّ وادي السلام وادي الأمان ... بلغت فيه ساكنوه الأماني
جاور المرقد الشريف فنال الـ ... ـفضل من دون سائر الوديان
وانتمى للغريّ فازداد فخراً ... وتسامى عُلاً على كيوان
فتراه والقلب يرتاح فيه ... مثل روض بزهره مزدان
فكأن القبور فيه قصور ... وكأنّ السموم نفح الجنان
وكأن الحصباء فيه درار ... نثرت فوق تربة الزعفران
ليت شعري وكل قبر سواه ... مكمد للفؤاد بالأحزان
كيف أمسى وادي السلام وأضحى ... يُتسلّى فيه عن الأشجان
فأجبني عن سرّ هذا المعمى ... عن طريق المعقول والوجدان (٣)

السيد محمد سعيد الحبوبي

فاحد من ركب إذا الركب حدا ... فيه يوماً، وأنم ما إن أقام
يمّمْ نجداً إذا ما أنجدا ... وإذا أتهم فالمسرى تُهام
وهو إن يشهد فأمْ المشهدا ... وسلام لك من دار السلام

---

(١) جريدة الهاتف العدد ٢٤٩
(٢) الكشكول ص ١١
(٣) وادي السلام ص ٢١٧ - ٢١٨



إن ثوى جسمي فحلّ النجفا

ففؤادي عنـــدهم لم يظعن

أين من حلّوا بجمع والصفا

من مقيم بالغريّ الأيمـــن (١)

★

يوم تزويج بـــدور وشموس بزغت ليـــلا وباتت بزّغـا

واصلت نوراً بمـرآة النفوس أدركت أمنـا ونالت مبتغى

هزمت من سعدها جيش النحوس وبهـــا ثوب النحوس انصبغا

فشدا القمري لا بـــل هلهلا

بمثـــاني السابغات الهتـــف

ملأت بالبشر أقطار المـــلا

فرحـــة البشر بأرض النجف (٢)

★

ولو أنني فاوضت ذا الطرس بعضه لأحرقه حتى وهى وأبيـــدا

ولم تقو عيسي أن تقوم بحمله ولو مسخت أخفافهن حديدا

ولو سخرت شم الجبال النقله وحملنه لانهلن منـــه صعيدا

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي ص ٣٤

(٢) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي ص ٤٧

ألا فليطب بالكرخ عيش أحبتي   فما ذقت عيشاً بالغري رغيدا
وأشرب عذب الماء رنقاً كأنما   سقاني ضريعا صدكم وصديدا
ومن شقوتي ان يحكم البين بيننا   ويا شد مـا أشقى الزمان سعيدا(١)

★

فما الخطب أغرى بالغريين زفرة   به ارتجلت رجع النواج نواحيه(٢)

★

وجـــاد سحاب العفو مرقد صالح
لدى الذكوات البيض من أيمن الوادي (٣)

الشيخ محمد السماوي

ألم عـــلى ذكوات النجف   ولاحظ بط فك تلك الطرف
هـــواء نقيا تحف النفوس   بطيب هدايا له أو تحـــف
وترباً زكياً يود الفـــؤاد   يلاصقـــه من وراء الشغف
وعرفاً ذكياً يغـــير الكبا   إذا الأنف ناشقـــه والتنف

★

وعج بالحمى لترى رمله النـ   ـقي وما رق فيـــه ورف
ترى الدر منتثراً بالرمـــال   ينظمه الريح صفـــاً فصف
إذا باكرته الصبا بالحيـــا   حسبت مدار النجوم انقصف

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي ص ١١٠
(٢) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي ص ١٨٩
(٣) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي ص ٢١٧

ترى مشرق النهر من حوله	على جانب الغرب منه انعطف
كما طرح السيف في روضة	فأومض افرنـده واستشف
ترى الطير بين الورى آمناً	يغرد للمرء فيما استخف
إذا مـا تأملت تغريده	ظننت هناك عروساً تزف
فأين يتـاه بمـن لم يعج	بتلك الجنان وتلك الغرف
أيختار ربعاً سوى ربعها	فيلقي اللآلي ويجني الصدف

★

وإخوان صدق رقيقي الطباع	تكـاد طباعهم ترتشف
كماة كرام يرون الشرف	بفرط الشجاعة أو بالسرف
يؤلفهم جامـع من ولا	عليّ إذا ما القبيل اختلف
كأن الجماهير حول الضريح	حجيج بمكة ذات الشرف
كأن صفوفهم في الصلاة	أكاليل در بتـاج تصف
كأن العلوم إذا دارسوا	بحـار بأفكارهم تغترف
سل الصحن كم فيه من لائذ	يقول علـيّ له : لا تخف
وكم فيه من مستقيل يقال	له قد عفا الله عما سلف
وكم فيه من ذاكر ربـه	تقـرب بالمرتضى فازدلف (١)

محمد بن عبد الوهاب الهمذاني

امام الحرمين

مذ شيخنا الراضي الصفي	فقيـه أهـل النجف
شـاق إلى جوار ربـّ	ـه المنيـع الكنف

(١) ماضي النجف وحاضرها ص ٢٤ ـ ٢٥

نـودي مـــن جانبـــه   نـــداء مشتاق خفـــي
أيتهـــا النفس ارجعـــي   لربـــك المعطي الـــوفي
راضـــيـــة بعيشـــة   مرضيـــة في شـــرف (١)

★

مذ أسد الله الهمام السري   سليل ساقي الناس من كوثر
اجرى إلى الغري ماء مري   قد أرخوه جاء ماء الغري (٢)
١٢٨٨

الشيخ محمد علي اليعقوبي

ويشكرك الحمى وبنوه طراً   على ما كان منك وما يكون (٣)

★

فأهلاً به من زائر خير بلدة   تحف بـــه سكانها وترحب (٤)

★

من التبر صيغت لكم قبـة   يقدمهـا النجف الأزهـــر
مصغرة الشكل عن قبـة   ثوى تحتهـا العـالم الأكبر (٥)

★

يقدم سكان الغريين قبـة   من التبر تهدى للمليك المبجل
ولا عجب ان طاولت قبة السما   فها هي تحكي قبة المرتضى علي (٦)

---

(١) فصوص اليواقيت ص ١٣
(٢) فصوص اليواقيت ص ٢٧
(٣) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٢
(٤) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٩٥
(٥) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٠٧
(٦) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٠٨

أبا المجـد حسب المجد فخراً بأنه ... يكنيك فيه حاضر الناس والبادي
ورثت المزايا الغر عن خير أسرة ... وأنجب آباء وأطيب أجـداد
نشرت بحي مــذ أقمت بجوها ... علوم ابن عباس وفضل ابن عباد
تركنا الذي يروي قديماً وشاقنا ... حديث الرضا يروى بصحة إسناد
حننت لأكناف الغري وكم بها ... لوصلك حنت من قلوب وأكباد
وكم لك من إخوان صدق قـد استوى
على النأى خـافي شوقهم لك والبادي
تحن لأوطار بناديك قـد خلت ... إذ الفضل كل الفضل في ذلك النادي
ليالي فيهـا نظم الحب شملكم ... كما انتظمت أسماط در بأجياد
وغصت نوادي العلم فيكم كأنها ... منـاهل وراد ونجعــة رواد
يجاري أبو يحيى الجواد أبا الرضا ... لدى حلبة كان المجلي بهـا الهادي
وقد كنت فارقت الحمى تاركاً به ... منابت فيها طاب غرسي وميلادي
وجاورت بالفيحاء شرقي بابل ... بدور هدى شعت بعلم وإرشاد
قضيت بهـــا أيام أنس كأنها ... بآل معز الدين أيام أعيـــاد
على أنني فيهـا أتوق إلى الحمى ... فجسمي في وادٍ وقلبي في وادي
بعثت بإنشائي إليــك وليتني ... أراك على قرب لتسمع إنشادي
ومــالي فضل إن رددت تحيــة
بدأت بهـا – مولاى – فالفضل للبادي(١)

*

أحبــة قلبي بأرض الغري ... سقى عهدكم مستهل المزن
على القرب أهواكم والبعاد ... وفي السر أذكركم والعلن
حنيني اليك أبا أحمــد ... حنين أخي غربة للوطن
فيا ساكناً بحمى المرتضى ... وما لك إلا فؤادي سكن

---

(١) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١١٦ - ١١٧

أهل لبثة لي بتلك الربوع سقـــاها ملث الغمام الهتن
عسى أجتلي منك وجهاً سناه يفوق الهلال إذا الليل جن
ولم أنس تلك الليالي القصار تقضت بقربك طـول الزمن
ليالي فيهـــا اجتديت الزما ن فجادبها برهة ثم منّ (١)

★

هتف الغري وأهله بحيـــاته واستبشر القاصي بها والداني (٢)

★

والنجف الأعلى وناهيك به من بلد ليس يضاهيه بـــلد (٣)

★

ضيف على وادي الغري كريم أنى يقوم بحقـه التكريم (٤)

★

وكان إراكة طابت أصولاً سقتهـا الكاظميـة والغـري (٥)

★

مدينـــة الغري حـين أزهرت معاهد العـلم بهـا كالأزهـر
شـادوا بهـا مدرسة أهليـة فأسست مذ أرخوا باسم الغري (٦)
١٣٤٤ هـ

★

حزت يا هاشم أسنى رتبـة لم يحزها أبداً من قـد سلف

---

(١) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٢١
(٢) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ١٩٨
(٣) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٢٠٢
(٤) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٢٠٧
(٥) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٢٤٠
(٦) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٣٠٧

دارك الخلد غداً إذ أرخوا شـدت للزوار داراً بالنجف (١)

١٣٥٠ هـ

السيد محمد القزويني

لا يبعد القوم الذين عن الحمى تخذوا لدى الجلى سواه بديلا
من فر يوم الزحف عنه فاننا فيـه اتخذنا منزلاً ومقيـلا
حتى إذا حمي الوطيس ولم نجد الا طعينـا بالحمى وجديلا
لذنا بمرقد من تطوف بجنبه زمر الملائك بكرة وأصيلا
مستصرخين بقبر ذي البأس الذي عنـد الصريخ يرد عزرائيلا
أتراه يندبه القصي فيكشف الـ كرب الجـلي ولا يجير نزيلا
فسيؤمن المتخلفين وينجـد الـ مترحلين مخافـة وذهولا
ويكون اعلاناً لديه رتبـة من لم يفارق ربعه المأهولا (٢)

*

ان حامي الجار لما شخصت نحوه الأبصار تهمى بانسجام
وتهافتنا عـلى تربتـه مستجيرين كأفراخ الحمـام
وتساقطنا على مرقـده كظماء سقطت يـوم أوام
وتصارخنـا بمثواه ضحى صرخة الرضّع من قبل الفطام
كشف الغمة عن أشياعـه ودعـا أن نزيلي لا يضام
وانتضى العضب الذي يرهبه ملك الموت لدى الحرب الزؤام
فاتخذنا جنـة من بـأسه نتقي فيهـا من الجن السهام
وعلى نار الوبـا أمطرنـا سحب عفو أخمدت منها الضرام
وغداة اضطرمت صيّرهـا بالحمـا برداً علينا وسلام (٢)

---

(١) ديوان اليعقوبي ج ١ ص ٣٠٨

(٢) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٦٥

(٣) ديوان الشيخ محسن الخضري ص ١٧٤ ، وتراجع - ايضاً - ص ١٧١

الشيخ محمد الكرمي

من قصيدة طويلة

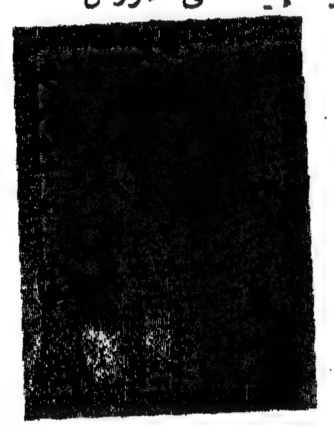
اما الغري وطيب اوقاتي به — وجميل ذكراه فلست بناسي
بلد حسوت به السعادة عكس ما — في هجرتي عنه أراني حاسي
بلد عهدت به القداسة ثرة — وأناسه في الخلق خير أناس
بلد به مثوى الوصي ومفزع — للخائفين وكعبة للناس
هو ملتقى النزعات ندوة درسها — ومجال كل مقدس وسياسي
كم ناهضته الحادثات بقسوة — لتحط منه فكان طوداً راسي
لم أنأ عنه لغيره عفواً ولا — رجحت قصد سواه باستيناسي
او لم يكن رحب الفناء وأرضه — مثوى أجائي ومسقط راسي(١)

محمد مهدي الجواهري

« بين النجف وأميركا »

أأمريك يا ابنة كولمبس — لحبك وقع على الأنفس
صبوت اليك وأين الفرا — ت وأهلوه من بحرك الأطلس
حننا ولو كان في وسعنا — سعينا إليك على الأروس

اذا أنس الصب ذكر الحبيب
ففي غير ذكرك لم آنس
هواجس تدنى إليك المنى
ولولا المنى قط لم أهجس
واني وقلبي ذاك الرقيق
أحن إلى صخرك الأملس
هوى لي لو بالدراري صبت
ولو بالعواصف لم تهمس



محمد مهدي الجواهري

(١) العرفان ج ١٠ مجلد ٥٢

اذا كان من ثمر للمنى ... ففي غير أرضك لم يغرس

وكم قائل ما اصطلى في الهوى ... بناري وقد غره ملمسي

أليس سواهـا نفيس يرام ... فقلت : هواي مع الأنفس

أحباي حتى مَ يصبو لكم ... معاف ويذكركم من نسي

ألا هـل أتاكم بـأني متى ... يدر كأس حبكم احتسِ

واني كالليـل بادي الهمو ... م وأني كالنجم لم أنعس

ولي قلب حرّ عصي الزمام ... فان راضه حبكم يسلس

وكم ليـلة بت في عزلة ... ومن طيب ذكراكم مجلسي

وبـلدة ذل تميت الشعو ... ر فمنطيقها الحر كالأخرس

أحب بلادي لو لم أخف ... بها شرّ ذي الغدرة الأشرس

يجاذب قلبي اليهـا الهوى ... ويأبى المقام بهـا معطسي

جفوني ولا ذنب إلا الإبا ... ء وإن طاب من بينهم مغرسي

وقالوا تناسى ولا حنـة ... وهل بلبل حنّ للمحبس (١)

المنصور بالله محمد بن يحيى

بن حميد الدين الحسني اليماني ، امام اليمن

هبت لنا نسمات الشوق من نجف ... حنت لها صافنات الخيل والإبل (٢)

السيد محمود الحبوبي

رسل الثقافة في الغري تبينوا ... شوق النفوس طفا على بسماتها

طبعت عواطفها على أفواهها ... ما تطبع الحسناء في مرآتها (٣)

---

(١) حلبة الأدب ص ١٦-١٧ — (٢) سحر بابل وسجع البلابل ص ٢١

(٣) ديوان محمود الحبوبي ص ٧٥

انا إن اوافــك بالتحية إنها باسم الغري وباسم رابطة الغري (١)

*

زرت الغري وما أجلك زائراً أرضاً تتيه على سماء المشتري (٢)

*

وانشر على النجف المقدس روعة كانت ترف على منى والمشعر (٣)

اصيل النجف

نشرت أشعتهـا على الآفاق صفراء ساعة آذنت بفراق
تهتز خافقــة أمام مغيبها أبها صبابــة قلبك الخفاق ؟
ويروعها أن سوف يخفى نورها وجبينهـــا المتــدفق الإشراق
فتبيت بعد جــلالها وجمالها عن أعين النظار خلف رواق
وترى السما لوداعها تبكي دماً فتريك كيف مدامع العشاق

*

بنت الطبيعة ما أجلك طلعــة غرّاء دام أمامهـــا إطراقي
زدت الطبيعة روعة فعلقتها وصرفت نحو جمالها أشواقي
وعلى الجهات قريبها وبعيــدها حسن يقابــل مثله ويلاقي
الافق مكسو بأجمل حلة تصبي القلوب بوشيهـا البراق
والارض في هضباتها وسهولهـا فتانــة ، وبمائهـا الرقراق
والرمل مواج السنا ، أرأيت ما ناطته أيد الغيد في الأعناق
والغيم ذهّبت الأشعة لونه فبدا منى الأرواح والأحداق
والطــير عائــدة إلى أعشاشهـا وفراخها في ألفة ووفاق

---

(١) ديوان محمود الحبوبي ص ٧٩ — (٢) ديوان محمود الحبوبي ص ٨٠
(٣) ديوان محمود الحبوبي ص ٨٠

جذلى بما نالته من رزق فما برحت تجل مقسم الأرزاق
وبكل ما يبدو لعينك فتنة ما للهيام بحسنها من واق
قد أيقظت في النفس راقد حبها وأعادت الآمال للإبراق
سحرت نهى المتأملين وما ثنى عنها العيون تخالف الأذواق
كل يرى فيها مباهج قلبه ومناه فالسالي أخو المشتاق

*

ما كان أجمله أمامك مشهداً يا نفس فاض بحسنه الدفاق
ينسى المتيم كل ما يشكوه من أيام هجر أو زمان فراق
تتسابق الأحلام فيه فشاهدي مجرى الصواهل كل يوم سباق
وتمتعي بسياحة فكرية في الأرض زاهية وفي الآفاق
جلّ الذي ملأ الوجود محاسناً شهدت بدقة حكمة الخلاق
هي ساعة غمرت باشتات الرؤى وزهت ليعبدها الخيال الراقي
هذا يؤمل أن يتم زمانها قرب الحبيب بقبلة وعناق
ولذاتها يشتاقها هذا ، وذا يشتاقهـــا لمدامـــة ولساقي
ويريدها للهو ذا ، أما أنا فأريدها لتزين جوّ عراقي
يا عين لا يغمضك عنها انها ستغيب عنك وأي حسن باقي (١)

الشيـخ ملا مهدي الفراقي

ألا قل لسكان ارض الغري – هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وأنتم ورود (٢)

---

(١) ديوان محمود الحبوبي ص ١٦٤ – ١٦٥ - (٢) مشهد الامام ج ١ ص ٩٢

السيد موسى الطالقاني

شمس تشعشع في الغري وتلمع أم قبة فيها البطين الأنزع (١)

*

وبوادي الغري اي إمام هو دون الأنام نفس الرسول (٢)

*

فالله يا ساكني ارض الغري بمن تناهبت جسمه الأسقام والعلل
ناءٍ تنادمه الذكرى بقربكم فينثني وهو من ذكراكم ثمل
واهي القوى لم يطق حمل الرداء وقد عجبت كيف لعبء الوجد يحتمل
يهزه الشوق إن ناحت على فنن بنت الأراكة أو قد حنّت الإبل
يزوره الطيف لكن ليس يدركه حتى يدل عليه الوجد والوجل (٣)

*

تذكرت الغري وساكنيه فهاج الشوق واشتعل الغليل
غداة النفر اذ حنت نياقي وقد سرت الظعائن والحمول
وطوحت الحداة وهاج صحبي وساق العيس سائقها العجول
فناديت الحداة – وما أجابوا – إلى ارض الحمى تالله ميلوا
فما رقت قلوبهم لصب نحيل الجسم رق له العذول
فمال القلب يقطع كل فج إليهم والغرام له دليل
وهمّ الطرف يتبعه فحالت سيول الدمع وانقطع السبيل
على ارض الغري سلام صب بثغر الوجد يمضغه الرحيل
وتلفظه التلاع الى حضيض وللأوعار تقذفه السهول

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني ص ٧ — (٢) ديوان السيد موسى الطلقاني ص ٥٧
(٣) ديوان السيد موسى الطالقاني ص ١٨٨

يبيت الليــل محتضنــاً جواه   وبين ضلوعه داء دخيل
وكم ليــل قطعت بــه الفيافي   ولي من عزمي العضب الصقيل
بكــل فتى أسيل الخــد مهما   فقــدنا البــدر فهــو له بديــل
يجاذبنــا السرى أنضــاء سقم   نحاواً والنعاس بنا يميل
نميــل على الرحال تخال أنا   نشاوى والشمال لنا شمول
نمر على الربوع وما تمنت   سوى أنا بربعها نزول
تحيينــا المنــازل إن نزلنــا   وتحيــا من مــدامعنا الطــلول
ألا من مبلــغ الأحباب عني   بأني ذلك المضنى العليل
على عهــد الغــرام أقــام قلــبي   وأقسم للقيامة لا يحول (١)

*

نشرت عــليّ يــد السرور لواءاً   ولبست من بشراي فيك رداءا
يا زائراً أرض الغري وهاجراً   روض الرصانة فيه والزوراءا(٢)

السيد نصرالله الحائري

وردّت له ثالثــاً في الغــري – ترى قبة ألبسوها نضارا (٣)

*

رأيت الغريــين بالتــبر لا   بقان من الدم أمسى ممارا (٤)

*

أيا ساكني أرض الغري وحقــكم   فؤادي مذ غبتم يقلّب في جمر(٥)

---

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني ص ١٨٨ – ١٩٠

(٢) ديوان السيد موسى الطالقاني ص ٣٥٢ – (٣) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ٢١

(٤) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ٢٩ – (٥) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ١١٥

أيا ساكني وادي الغري المنعّ عليكم سلام من مشوق ملوّع (١)

*

بالله ريح الصبا ان جزت في وادي النجف
فأقر السلام أحبة أنوارهم تجلو السدف
وقل المتيم بعدكم أودى به فرط الأسف
متذكراً عصراً مضى معكم بهاتيك الغرف
أحسن بها غرفاً غدت مأوى المعاني والشرف
غرفاً زهى ورد العلى فيها فلذ لمن قطف (٢)

در النجف

لو لم تكن بحر جود ما قذفت لنا بدرة في السنا أزرت بكيوان
قد أصبحت يا أخا الإفضال معربة عن صفو ودك في سر وإعلان(٣)

الشيخ يعقوب الحاج جعفر

النجفي الحلي

تغربت عن ارض الغري فلم تكن تقر عيوني او تطيب حياتي
حبست ركابي عندها اليوم بعدما أذبت عليها النفس بالزفرات
مواطن آبائي بها وأحبتي وفيها مغاني أسرتي وسراتي
فمن تربها أصلي ومبدأ نشأتي وأرجو بها مثواي بعد وفاتي (٤)

(١) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ١٤٧
(٢) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ١٥١
(٣) ديوان السيد نصرالله الحائري ص ٢٢٢
(٤) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي الحلي ص ٥٦

النجف في التاريخ *

تاريخ الرسل والملوك

كان النعمان . . قد غزا الشام مراراً . . فذكر . . أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار ، مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق .وهو على متن النجف في يوم من أيام الربيع فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والانهار . (١)

*

جمع تبّع الجنود وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفرات فآذاه البقّ ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهرا الى النجف ، ففعل وهو نهر الحيرة ، فنزل عليه (٢)

(١) تاريخ الرسل والملوك س ١ ص ٨٥٣

(٢) تاريخ الرسل والملوك س ١ ص ٨٨٩ — ٨٩٠

* هذه نبذ اقتطفت من بعض الكتب التاريخية القديمة كتاريخ الطبري وابن الاثير ، ومن الكتب المتأخرة كتاريخ العراق بين احتلالين مستعرضين فيها أمثلة مما ورد من ذكر للنجف في اثناء سرد الحوادث مكتفين بهذا المقدار ذكراً على سبل المثل ، اما الوقائع والحوادث التي مرت بالنجف والتي قد مر ذكر بعضها في هذا الاستعراض فستتناوله « الموسوعة من قسم النجف » في اجزاء خاصة وبتفصيل واف .

سنة ١٢ هـ

لما أصاب خالد ابن الآزاذبه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف ، فقدم خالد الخورنق وقد قطع الآزاذبه الفرات هارباً من غير قتال ، وانما حداه على الهرب ان الخبر وقع اليه بموت اردشير وبمصاب ابنه ، وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض . ولما تتامّ أصحاب خالد اليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبه بين الغريين والقصر الأبيض (١)

سنة ١٣ هـ

بعث المثنى – بعد الجسر – فيمن يليه من الممدّين فتوافوا إليه في جمع عظيم .. وكتب إلى عصمة ومن معه .. وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه (٢)

سنة ١٤ هـ

لما فصل رستم من ساباط ، لقيه جابان على القنطرة فشكا إليه وقال : ألا ترى ما أرى ؟ فقال له رستم أما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا أجد بُدّاً من الانقياد . وأمر الجالنوس حتى قدم الحيرة فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف (٣)

*

لما فصل رستم وأمر الجالنوس بالتقدم الى الحيرة أمره أن يصيب له رجلا من العرب .. فلما انتهيا الى النجف سرّحا به الى رستم (٤)

*

---

(١) تاريخ الرسل والملوك س ١ ص ٢١٨٤

(٢) تاريخ الرسل والملوك س ا ص ٢١٨٤ – (٣) تاريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٣

(٤) تاريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٤

ثم انصب إلى المطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال اهل النجف ، بحيال الخورنق إلى الغريين (١)

*

لما اطمأن رستم أمر الجالنوس أن يسير من النجف فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين وارتحل رستم فنزل النجف (٢)

*

فلما نزل رستم النجف عادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك ومعه النبي (ص) (٣) .

*

وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف ، والجالنوس بين النجف والسيلحين (٤) .

*

أما عمرو .. فخرج حتى تلقى عمر فسأله عن طليحة فقال : لاعلم لي به . فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس ما تريد ؟ قال : أريد أن اغير على ادنى عسكرهم (٥) .

*

وخرج الذي كان بالنجف والذي كان في ذي الحاجب فاتبعه الذي كان في الجالنوس فكان اولهم لحاقا به الجالنوسي ، ثم الحاجبي ، ثم النجفي(٦) .

*

كان عمر قد عهد إلى سعد — حين بعثه إلى فارس — ألا يمر بماء من المياه بذي

(١) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٥ — (٢) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٦
(٣) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٠٥٧ — (٤) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٨
(٥) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٥٩ — (٦) تأريخ الرسل والملوك س ا ص ٢٢٦٠

قوة.. إلاّ أشخصه . فلما دنا رستم ونزل النجف بعث سعد الطلائع وأمرهم أن يصيبوا رجلا ليسأله عن اهـــل فارس فخرجت الطلائع بعد اختلاف ... ولا يشعرون بفصولهم من النجف (١) .

*

لما نزل رستم النجف بعث منها عينا إلى عسكر المسلمين (٢) .

*

لحق [زهرة] بالقوم والجالنوس في آخرهم يحميهم فشاوله زهرة فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة وأخذ سلبه . وقتلوا ما بين الخرّارة إلى السيلحين إلى النجف . وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية (٣)

*

سنة ٥١ هـ

عن عبيد الله بن الحرّ الجعفي قال : والله اني لواقف عند باب السرى بن ابي وقاص حـين مّروا بحجر وأصحابـه .. فمضوا بهـم حتى انتهوا بهـم إلى الغريّين (٤) .

سنة ٦٧ هـ

عن سديد بن غفلة ؛ قال : بينا أنا أسير بظهر النجف اذ لحقني رجل فطعنني بمخصرة من خلفي (٥)

*

ثم اني لفى المسجد الاعظم اذ دخـل رجـل معتم يتصفح وجوه الخلق . .

(١) تأريخ الرسل والملوك س ١ ص ٢٢٦١
(٢) تأريخ الرسل والملوك س ١ ص ٢٢٩٠ - ٢٢٩١
(٣) تأريخ الرسل والملوك س ١ ص ٢٣٣٩ (٤) تأريخ الرسل والملوك س ٢ ص ١٣٥
(٥) تأريخ الرسل والملوك س ٢ ص ٧٤٦

قلت : معاشر همدان أنا اشهد بالله لقد ادركني هذا بظهر النجف فقصصت عليهم قصته (١) .

سنة ١٢٠ ﻫ

قال سالم زبنيل : لما صرنا إلى النجف قال لي يوسف انطلق فائتني بطارق (٢) .

سنة ١٤٤ ﻫ

لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مقيّدين فأشرف بهم على النجف قال لأهله : أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال : فلقيه ابنا حي ؛ الحسن وعليّ مشتملين على سيفين . فقالا له : قد جئناك يابن رسول الله فمرنا بالذي تريد . قال : قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئا فانصرفا (٣) .

سنة ١٤٥ ﻫ

حدثنا ابن ابى الكرام ؛ قال بعثنى عيسى برأس محمد وبعث محمد مائة من الجند . قال : فجئنا حتى اذا أشرفنا على النجف كبرّنا (٤)

سنة ٢٢٦ ﻫ

وفيها ؛ حجّ محمد المنتصر وحجّت معه جدّته شجاع ؛ أم المتوكل فشيعها المتوكل إلى النجف (٥)

---

(١) تأريخ الرسل والملوك س ٢ ص ٧٤٧

(٢) تأريخ الرسل والملوك س ٣ ص ١٦٥٢-١٦٥٣

(٣) تأريخ الرسل والملوك س ٣ ص ١٨٢ – (٤) تأريخ الرسل والملوك س ٣ ص ٢٥٤

(٥) تأريخ الرسل والملوك س ٣ ص ١٤٠٧

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

سنة ٣٧٢ هـ

توفي [فناخسرو بن الحسن بن بويه ، عضد الدولة] في آخر يوم الاثنين من شوال هذه السنة . وأخفي خبره ، ودفن في دار المملكة إلى أن خرجت السنة ، وتقررت قواعد المملكة . ثم أظهرت وفاته ، وحمل إلى مشهد علي عليه السلام (١) .

سنة ٣٧٩ هـ

توفي عصر يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة ، شرف الدولة بن عضد الدولة ، وحمل إلى المشهد بالكوفة فدفن في تربة عضد الدولة . (٢)

سنة ٣٩٧ هـ

ان فخر الملك ابا غالب قصد [ابا لعباس] ابن واصل ،فاستجار ابن واصل بحسان بن ثمال الخفاجي، فصيّره إلى مشهد علي – عليه السلام – فتصدق هناك بصدقات كثيرة ، وسار من المشهد قاصداً بدر بن حسنويه . (٣)

سنة ٤٠٥ هـ

توفي في هذه السنة [بدر بن حسنويه بن الحسين ابو النجم الكردي من اهل الجبـــل] وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي – عليه السلام – فدفن به (٤) .

سنة ٤١٨ هـ

لما أحس [الحسين بن علي بن الحسين ، ابو القاسم المغربي الوزير] بالموت كتب كتاباً إلى من يصل إليه من الامراء والرؤساء الذين من ديار بكر والكوفة؛

---

(١) المنتظم ج ٧ ص ١١٧ — (٢) المنتظم ج ٧ ص ١٤٩

(٣) المنتظم ج ٧ ص ٢٣٦ — (٤) المنتظم ج ٧ ص٢٧٢

يعرفهم ان حظيّة له توفيت وان تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد أمير المؤمنين علي -عليه السلام- وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويخفره، وكان قصده أن لا يتعرض أحد لتابوته وان ينطوي خبره، فتم له ذلك. وتوفي في رمضان بميافارقين .. وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي – عليه السلام – فدفن هناك (١)

سنة ٤٤٢هـ

من الحوادث فيها، أنه ندب ابو محمد النسوي للعبور، وضبط البلد. ثم اجتمع العامة من اهل الكرخ والقلائين وباب الشعير وباب البصرة – على كلمة واحدة؛ في انه متى عبر النسوي أحرقوا أسواقهم وانصرفوا عن البلد. فصار أهل الكرخ إلى باب نهر القلائين فصلوا فيه، وأذنوا في المشهد (حي على خير العمل) وأهل القلائين بالعتيقة والمسجد بالبزّازين (بالصلاة خير من النوم) واختلطوا واصطلحوا، وخرجوا إلى زيارة المشهدين مشهد علي والحسين ..(٢)

سنة ٤٦٠ هـ

توفي فقيه الشيعة ابو جعفر الطوسي بمشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (٣)

سنة ٤٧٩ هـ

يمم [السلطان ابو الفتح ملك شاه] الى مشهد علي – عليه السلام – فأطلق لمن فيه ثلثمائة دينار. وتقدم باستخراج نهر من الفرات يطرح الماء الى النجف فبدىء فيه وعمل له الطاهر نقيب العلويين المقيم هناك سماطاً كبيراً. (٤)

سنة ٤٨٠ هـ

توفي في ذي القعدة من هذه السنة، محمد بن هلال الحسن بن ابراهيم؛ ابو

---

(١) المنتظم ج ٨ ص ٣٣ – (٢) المنتظم ج ٨ ص ١٤٥
(٣) المنتظم ج ٨ ص ٢٥٢ – (٤) المنتظم ج ٩ ص ٢٩ – ٣٠

الحسن الصابي ، الملقب بغرس النعمة . ردفن في داره بشارع ابن عوف ، ثم نقل إلى مشهد علي – عليه السلام – (١)

سنة ٥١٣هـ

ورد الخبر بأن دبيس بن مزيد كسر المنبر الذي في مشهد علي – عليه السلام – والذي في مشهد الحسين . وقال لاتقام – هاهنا – جمعة ولا يخطب لأحد (٢) .

سنة ٥١٥ هـ

دخلت العرب – من نبهان – فيد ، فكسروا أبوابها ، وأخذوا ما كان لأهلها . فعمل موفق الخادم الخاتوني لهم أبوابا من حديد ، وحملها على اثني عشر جملا ، وأنفذ الصناع لتنقية العين والمصنع ، وكانت العرب طمّوها واغترم – على ذلك – مالاً كثيراً . وتولى ذلك نقيب مشهد أمير المؤمنين علي – عليه السلام – (٣)

الكامل في التاريخ

قيل أوحى الله الى برخيا بن حنيا يأمره ، أن يقول لبخت نصر ليغزو العرب ، فيقتل مقاتلتهم.. فأبتدأ بمن في بلاده من تجار العرب ، فأخذهم وبنى لهم حرّان بالنجف ، حبسهم فيه ووكّل بهم (٤)

سنة ١٤ هـ

أغار سواد بن مالك التميمي – بعد مسير الوفد إلى يزد جرد – على النجاف والفراض ، فاستاق ثلاثمائة دابة ، من بغل ، وحمار ، وثور وأوقرها سمكاً ، وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ، وهذا يوم الحيتان (٥) .

(١) المنتظم ج ٩ ص ٤٢ – (٢) المنتظم ج ٩ ص ٢٠٧
(٣) المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ – ٢٢٨
(٤) الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٩٠-١٩١ (٥) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٤

لما نزل رستم بالنجف ، رأى كأن ملكاً نزل من السماء ـ ومعه النبي ـ صلعم ـ وعمر فأخذ الملك سلاح أهـل فارس ، فختمه ثم دفعه إلى النبي ـ صلعم ـ ، فدفعه النبي ـ صلعم ـ إلى عمر . فأصبح رستم حزيناً . وأرسل سعد السرايا ، ورستم بالنجف ، والجالينوس بين النجف والسيلحين (١) .

ليلة الهرير سنة ١٤

.. لحق [زهرة بن الحويّة التميمي] المنهزمين ، والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة ، ، وأخذ سلبه . وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف (٢) .

سنة ١٢٠ هـ

قدم [يوسف بن عمر الثقفي] الكوفة في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف (٣) .

سنة ٣٧٢ هـ

في هذه السنة ، في شوال ، .. مات [عضد الدولة] ثامن شوال ببغداد ، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي ـ ع ـ فدفن به (٤) .

سنة ٣٧٩ هـ

في هذه السنة ، مستهل جمـادى الآخرة ، توفي الملك شرف الدولة ؛ ابو الفوارس شير زيل بن عضد الدولة مستسقيا ، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي ـ ع ـ فدفن به (٥) .

سنة ٣٨١ هـ

هرب الوزير المغربي الى مشهد أمـير المؤمنين علي (ع) [و] سار من مشهد علي (ع) الى العزيز بمصر (٦) .

سنة ٤٠٠ هـ

فيها ، مرض أبو محمد بن سهلان فاشتد مرضه ، فنذر إن عوفي ، بنى سوراً

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٥ ـ (٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٧٥
(٣) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٦٦ ـ (٤) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٣
(٥) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٤٢ ـ (٦) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٦٢

على مشهد أمير المؤمنين علي – عم – فعوفي ؛ فأمر ببناء سور عليه . فبني في هذه السنة . تولى بناءه أبو اسحاق الارجاني (١) .

سنة ٤٠٣ هـ

في هـذه السنة ، خامس جماد الآخرة ، توفي بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه – وهو الملك حينئذ بالعراق – . وكان موته بأرجان ، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي – عم – فدفن عند أبيه عضد الدولة (٢) .

سنة ٤٠٥ هـ

في هذه السنة ، قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل.. فأمر [الحسين بن مسعود الكردي] بتجهيزه ، وحمله إلى مشهد علي – عم – ليدفن فيه ، ففعل ذلك(٣)

سنة ٤٠٦ هـ

فيها ، قبض سلطان الدولة على نايبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب ، وقتل سلخ ربيع الأول .. ولما ملت نقل إلى مشهد أمير المؤمنين علي – عم – فدفن هناك (٤) .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض أهـل باب البصرة قوماً من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين – عم – فقتلوا منهم ثلاثة نفر (٥) .

سنة ٦٤٦ هـ

القائم – وهو بناء من آجر وكلس .. قيل انه كان علماً تهتدي به السفن لما كان البحر يجيء الى النجف (٦) .

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٠٤ – (٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٦٩
(٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٧٣ – (٤) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٨٢
(٥) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢٨٦ – (٦) الكامل في التاريخ ج٩ ص ٤١١-٤١٢

سنة ٤٥٥ هـ

توفي [المرتضى أبو الفتح] أسامة [نقيب العلويين] بمشهد أمير المؤمنين علي – عم – في رجب سنة ٧٢[٤] ﻫ (١) .

سنة ٤٧٩ هـ

مضى السلطان [ملكشاه] ونظام الملك إلى الصيد في البرية فزارا المشهدين ؛ مشهد أمير المؤمنين علي ، ومشهد الحسين – عم – ودخل السلطان البر ، فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان ، وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي (٢) .

سنة ٥٣٣ هـ

في هذه السنة ، في صفر ، توفي الوزير شرف الدين أنو شروان بن خالد .. ببغداد . وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن في داره ثم نقل الى الكوفة ، فدفن في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (٣) .

سنة ٥٩٠ هـ

في هذه السنة ، كانت زلزلة في ربيع الأول – بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد – سقطت منها الجبّانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي – عم – (٤) .

فرحة الغري

في سنة خمس وخمسمائة [٥٠٥ هـ] توجه الخليفة المقتفي مشيعاً للحجاج إلى النجف (٥) .

*

(١) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٩ – (٢) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٠٣
(٣) الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٤٨ – (٤) الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٧٢
(٥) فرحة الغري ص ١٠٣

الخليفة الناصر لدين الله ، زار [أمير المؤمنين] مراراً (١) .

*

ذكر ابن طحـال ؛ ان الرشيد بنى على [قبر أمير المؤمنين] بنياناً بآجر أبيض ، أصغر من هـذا الضريح – اليوم – من كل جانب بذراع . ولما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربة وجصا . وأمر الرشيد أن يبني عليـه قبة ، فبنيت من طين أحمر ، وطرح على رأسها جرة خضراء . وهي في الخزانة اليوم (٢) .

*

زار الخليفة المستعصم [أمـير المؤمنين] وفرق الأموال الجليلة عنده (٣) .

*

الخليفة المستنصر [زار أمير المؤمنين]، وعمل الضريح الشريف وبالغ فيه (٤)

*

زيارة يوم الغدير ... هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجـة . يجتمع بمشهد أمير المؤمنين – عليه السلام – جموع عديدة تتجاوز حد الاحصاء والعد (٥) .

*

جـاء جعفر بن محمد ، ومحمد بن علي بن الحسين ؛ هذا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي . ولم يكن إذ ذاك – القبر وما كان إلا الأرض . حتى جـاء محمد بن زيد الداعي فأظهر القبر (٦) .

*

(١) فرحة الغري ص ١٠٣ – (٢) فرحة الغري ص ١٠٤
(٣) فرحة الغري ص ١٠٤ – (٤) فرحة الغري ص ١٠٤
(٥) فرحة الغري ص ١٠٨ - (٦) فرحة الغري ص ١٠٩

محمد بن زيد بن الحسن بن محمد ، تقدم بطبرستان .. بنى المشهد الشريف الغروي أيام المعتضد (١) .

*

عضد الدولة ؛ تولى عمـــارة [مشهد أمير المؤمنين] ، وأرسل الأموال . وتاريخ فراغها مكتوب على حائط القبة ، مما يلي الرأس الكريم ؛ قـــدر قامة عن الأرض (٢) .

*

كنت في النجف ليلة الأربعاء ١٣ ذي الحجة سنة ٥٩٧ ، ونحن متوجهون نحو الكوفة ، بعد أن فارقنا الحاج بأرض النجف (٣) .

*

كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين ، الغروي ، والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة ٣٧١ هـ ... وتوجه الى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده ، وزار الحرم الشريف ، وطرح في الصندوق دراهم . فأصاب كل واحد منهم واحد وعشرون درهماً . وكان عدد العلويين ألفا وسبعمائة اسم . وفرق على المجاورين وغـيرهم خمسمائة ألف درهم ، وعلى المترددين خمسمائة ألف درهم ، وعلى الناحية ألف درهم ، وعلى الفقهاء والفقراء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتبين من الخازن والبواب على يد أبي الحسن العلوي وعلى يـــد أبي القاسم بن أبي عائد وأبي بكر بن سيار (٤) .

*

لو أخذنا في ذكر من زار [مشهد أمير المؤمنين] وعمّره ، وتقرب الى الله

---

(١) فرحة الغري ص ١١٠ — (٢) فرحة الغري ص ١١٠
(٣) فرحة الغري ص ١١١ — (٤) فرحة الغري ص ١١٣-١١٤

– تعـــالى – بذلك من الملوك ، والعظماء ، والوزراء ، والادباء ، والقضاة ، والفقهاء ، والمحدثين [و] النبلاء ؛ لأطلنا فيه (١) .

*

لقد أحسن الصاحب عطا ملك بن محمد الجويني ؛ صاحب ديوان الدولة الايلخانية حيث عمل الرباط . وكان وضع أساسه من سنة ٦٧٦ ، وابتداء تحقق الحفر للقناة إليـــه سنة ٢[٧]٦ . وأجرى الماء في النجف ، في شهر رجب سنة ٦٧٦ . وقد كان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل ، فلم يتفق ... وآثار البناء باقية (٢) .

*

سنة ٢٧٣ ؛ ركب داود [العباسي] .. في الليل الى علي بن مصعب بن جابر؛ فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً .. وعمّر الصندوق عليه .

قال أبو الحسن [علي بن الحسن] بن الحاج : رأينا هذا الصندوق .. لطيفاً ، وذلك من قبل أن يبنى عليه الحائط الذي بناه حسن بن زيد (٣) .

*

محمد بن عـلي بن رحيم الشيباني ، قال : مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم ، وعمي حسين بن رحيم – وأنا صبي صغير – في سنة نيف وستين ومائتين بالليـل معنا جماعة ؛ متخفين إلى الغري ؛ لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فلما جئنا الى القبر ـ وكان يومئذ قبراً حوله حجارة سندة ، ولا بناء عنده وليس في طريقه غير قائم الغري – (٤) .

*

كال الدين ، شرف المعالي بن غياث المعالي القمي ؛ قال : دخلت الى حضرة

---

(١) فرحة الغري ص ١١٥ — (٢) فرحة الغري ص ١١٥-١١٦
(٣) فرحة الغري ص ١١٩-١٢٠ — (٤) فرحة الغري ص ١٢٢

مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - فزرته ، وتحولت الى موضع المسألة ، ودعوت وتوسلت فتعلق مسمار من الضريح المقدس - صلوات الله على مشرفه - في قبائي (١) .

*

كان إيلغازي أميراً بالحلة ، وكان قد اتفق انه أنفذ سرية الى العرب ، فلما رجعت السرية نزلوا حول سور المشهد الأشرف المقدس الغروي (٢) .

*

عمران بن شاهين - من أمراء العراق - عصى على عضد الدولة فطلب طلباً حثيثاً ؛ فهرب منه إلى المشهد منخفياً (٣) .

*

في سنة احدى وخمسمائة [٥٠١] بيع الخبز بالمشهد الشريف الغروي كل رطل بقيراط. بقي أربعين يوماً ؛ فمضى القوم من الضر على وجوههم إلى القرى. وكان من القوم رجل يقال له أبو البقاء بن سويقة . وكان له من العمر مائة وعشرين ، فلم يبق من القوم سواه ؛ فأضر به الحال (٤) .

الجامع المختصر
سنة ٥٩٧ هـ

توفي في شهر رمضان من السنة المذكورة ، أبو علي عبد الحميد بن عبد الله بن اسامة بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، النسابة الكوفي .. ، وحمل إلى مشهد علي - ع - فدفن هناك (٥) .

---

(١) فرحة الغري ص ١٢٢-١٢٣ - (٢) فرحة الغري ص ١٢٥
(٣) فرحة الغري ص ١٢٦ - (٤) فرحة الغري ١٢٨
(٥) الجامع المختصر ص ٧٨-٧٩

سنة ٦٠٢ هـ

توفي بتستر، في ثاني جمادى الآخرة، الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدي أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان .. وحمل تابوته الى الكوفة، فدفن بمشهد علي — ع — بوصية منه (١) .

سنة ٦٠٥ هـ

توفي يوم الجمعة ثاني المحرم، أبو الحسين ورام بن أبي فراس الحلي [شيخ زاهد متعبد .. فعظم في أعين الناس وصار تقصده الأكابر للتبرك به] وحمل الى الكوفة فدفن بمشهد علي — عليه السلام — (٢) .

*

توفي في يوم الأحد ثالث عشري ذي الحجة، أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك، كاتب ديوان المقاطعات . . وحمل إلى الكوفة فدفن في مشهد علي — ع — (٣) .

سنة ٦٠٦ هـ

في ليلة الاربعاء ثالث جمادى الأولى، صلى في جامع القصر الشريف على اخت مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي، نائب الوزارة، وحضر الصلاة عليها هو وولده، وجميع أرباب الدولة، والقضاة، والعدول، والفقهاء، والصوفية، ووجوه الناس.. وحملت إلى مشهد علي — ع — فدفنت هناك(٤)

الحوادث الجامعة

سنة ٦٣٤ هـ

وفيها، قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — في ثالث

---

(١) الجامع المختصر ص ١٨٦ — (٢) الجامع المختصر ص ٢٧١-٢٧٢

(٣) الجامع المختصر ٢٨٢-٢٨٣ — (٤) الجامع المختصر ص ٢٩٤

رجب . فلما عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبدالله الحسين بن الأقساسي نقيب الطالبيين . وأمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسين ، وموسى بن جعفر عليهم السلام (١).

سنة ٦٤١ هـ

وفيها ، خلع علي أمير الحاج مجاهد الدين أبي الميا من ايبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير . . . وخرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة إلى درزيجان متوجهة الى الحج . وخرج الخليفة لأجل وداعها. فلما نزل السرادق نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً . . ثم توجه إلى الكوفة ودخل جامعها ، وقصد مشهد أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وزوره محمد بن كتيلة العلوي . فلما توجه الحاج ، ودع الخليفة والدته وعاد إلى بغداد (٢) .

سنة ٦٤٣ هـ

وفيها ، تقدم الخليفة بإرسال طيور من الحمام الى أربع جهات لتصنف أربعة أصناف ، منها : مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن ، ومشهد العسكري بسر من رأى ، ومشهد علي بالكوفة ، والقادسية (٣) .

سنة ٦٤٥ هـ

وفيها ، قلد تاج الدين الحسن بن المختار نقابة الطالبيين فعين علي ولده علم الدين اسماعيل في نقابة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام (٤) .

سنة ٦٤٨ هـ

وفيها ، توفي عبد الغني بن فاخر مهتر الفراشين بدار الخليفة . . وكان متمهوسا

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٩٥ — (٢) الحوادث الجامعة ص ١٨٧-١٨٨

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٠٣ — (٤) الحوادث الجامعة ص ٢٢٣

لحديث الجن ؛ يزعم أنه يستحضرهم وينفذفيهم امره . قال الشيخ تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي، رحمه الله: «قال لي مرةان جنيّاً اسمه شمردل تمرد علي ، وخالف أمري واني تألمت منه الى ملك الجن فأمر بحبسه » . فقلت : « وأين ذلك الحبس ؟ » فقال : في النجف (١) .

سنة ٦٤٩ هـ

وفيها ، توفي جلال الدين عبدالله بن المختار العلوي الكوفي . . وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق ، والفتوة ، ولعب الحمام . وكان يفتي فيه ، ويرجع الى قوله . ولم يزل على ذلك إلى ايام الخليفة المستنصر بالله ، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة ، من أمير المؤمنين علي – عليه السلام – وأفتى بجواز ذلك ، فتوجه الخليفة إلى المشهد ، ولبس السراويل عند الضريح الشريف . وكان هو النقيب في ذلك (٢) .

سنة ٦٥٣ هـ

وفيها ، زاد الفرات فغرقت عانة والحديثة ، وهيت ، والحله وأعمالها ، والكوفة ، وأعمالها ، وأحاط الماء بجامعها ، وبلغ النجف (٣) .

سنة ٦٦٤ هـ

وفيها ، توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس ، وحمل إلى مشهد جده علي بن ابي طالب – عليه السلام (٤) .

سنة ٦٧٢ هـ

في منتصف ذي القعدة، توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٥١ - ٢٥٢ (٢) الحوادث الجامعة ص ٢٥٦ – ٢٥٧

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٧٧ (٤) الحوادث الجامعة ص ٣٥٦

ببغداد..تولى شحنكية واسط والبصرة..دفن في مشهد علي – عليه السلام(١)

سنة ٦٧٣ هـ

وفيها ، توفي السيد جمال الدين محمد بن طاووس بالحله ، ودفن عند جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام (٢) .

سنة ٦٧٤ هـ

وفيها ، سقط ركن الدين بن النقيب محي الدين بن حيدر نقيب الموصل بفرسه الى دجله ببغداد ، وكان مجتازاً على الجسر. فأصعد إلى مشهد علي – عليه السلام – فدفن هناك (٣) .

سنة ٦٩٦ هـ

في المحرم ، سار السلطان غازان يريد العراق .. ثم توجه الى الحله وقصد مشهد علي-عليه السلام-فزار ضريحه الشريف ، وأمر للعلويين بشيء كثير(٤)

دوحة الوزراء

سنة ١١٥٣ هـ

خلال هذه السنة أرسل الشاه [نادرشاه] هدايا مالية جسيمة وتحفا ثمينة إلى المراقد المقدسة .. والخليفة الرابع علي المرتضى – كرم الله وجهه – (٥) .

سنة ١١٥٦ هـ

من بعد الحوادث الحربية . الشاه أعلن الهدنة من قبله ، وسافر الى زيارة العتبات المقدسة ، وأمر بتعمير مرقد الخليفة الرابع . كما وأمر أن تطلى القبة بالذهب (٦) .

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٧٧ - ٣٧٨ – (٢) الحوادث الجامعة ص ٣٨٢
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ (٤) الحوادث الجامعة ص ٤٧٢ - ٤٩٣
(٥) دوحة الوزراء ص ٤٦ - (٦) دوحة الوزراء ص ٥١

سنة ١١٦٠ هـ

قد أعلنت البشائر للخاص والعام في المملكتين . . وقد تلاقى الوفدان [العثماني والايراني] وتبادلا التحية والتسليم . غير أن الوفد الايراني توقف في بغداد ثمانية ايام للاستراحة ، ولزيادة العتبات المقدسة (١) .

سنة ١٢٣٤ هـ

حدوث اضطرابات في النجف الأشرف ، أورى زنادها المتولي عباس الحداد ؛ وذلك بتحريضه قبيلتي الشمرت والزكرت بعضها على بعض ليتخلص بذلك من دفع ما في ذمته من الأموال الأميرية (٢) .

تاريخ العراق بين احتلالين

ان الأمير سيف الدين البتكيجي التمس ان يرسل معه مائة من المغول الى النجف ؛ لمحافظة مشهد أمير المؤمنين علي — رض — وأهليه ، ومن جاوره [سنة ٦٥٦ هـ] (٣) .

*

توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس ، وحمل إلى مشهد جده علي بن ابي طالب (٤) .

والمترجم من العلماء المشاهير .. كان بينه وبين الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي واخيه وابنه صداقة متأكدة . أقام ببغداد نحواً من ١٥ سنة ثم رجع إلى الحله ، ثم سكن المشهد الشريف برهة ، ثم عاد في دولة المغول إلى بغداد ، الى ان توفي في ٥ ذي القعدة [سنة ٦٦٤ هـ] (٥)

(١) دوحة الوزراء ص ٨٦ - (٢) دوحة الوزراء ص ٢٨٩
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ا ص ٢٠٦
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ا ص ٢٦١
(٥) باريخ العراق بين احتلالين ج ا ص ٢٦٢

سنة ٦٦٦ هـ أمر علاء الدين ؛ صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد الامام علي ـرضـ ليسكنه المقيمون المجاورون هناك. ووقف عليه وقوفا كثيرة وأدر لمن يسكنه ما يحتاج إليه (١) .

*

في منتصف ذي القعدة [سنة ٦٧٢ هـ] توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد . وكان شيخا جواداً مواصلا لكل من يسترفده . واشتهر ذكره بالكرم .

تولى شحنكية واسط والبصرة . وكان حسن السيرة ، عظيم الناموس. ودفن في مشهد علي – رض – (٢) .

*

الصاحب علاء الدين الجويني .. من عماراته انه أجرى نهراً من قصبة الأنبار الى النجف الأشرف . وصرف له مبالغ وافرة قدرها بمائة الف دينار ذهبا ؛ فتأسست عمارات وقرى في جانبيه ، وعددها مائة وخمسون قرية ؛ فانقلبت تلك الأراضي القاحلة إلى مزارع متصلة .

والظاهر ان النهر المذكور هو المعروف اليوم بـ (كري سعده) كما انه اسس رباطا في النجف (٣) .

*

السلطان الشيخ حسين الجلايرى [المتوفى في شهر رجب سنة ٧٥٧] : في كلشن خلفا ؛ انه اقام عمارات نفيسة وجميلة في بغداد والنجف الأشرف (٤) .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٦٣
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٧٨
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣١٠
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٨٠

الأمير قاسم بن السلطان حسن [المتوفى سنة ٧٦٩ هـ] . توفي الأمير قاسم أخو السلطان اويس بمرض الدق ، فأجريت له مراسيم الحداد فنقل الى النجف الأشرف ودفن بجوار والده الشيخ حسن الايلكاني ، وكان قد ولد في جمادى الاولى سنة ٧٤٨ هـ . ومقبرتهم موجودة داخل الصحن . عثر عليهـا في الأيام الأخيرة ، فأعيدت الى ما كانت عليه (١) .

*

تيمور لنك .. خطا إلى اصبهـان ، وعراق العجم ، والري ، وفارس وكرمان ؛ فملك جميعها من بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكهـا ، وبادت جموعها .

وشد أحمد ببغداد عزائمه ، وجمع عساكره ، وأخذ في الاستعداد ثم عدل إلى مصانعته ومهاداته ، فـلم يغن ذلك عنه . وما زال تيمور يخادعه بالملاطفة والمراسلة إلى أن فتر عزمه ، وافترقت عساكره ، فنهض إليه يغذ السير في غفلة منه حتى انتهى إلى دجلة ، وسبق النذير إلى أحمد فأسرى بغلس ليلة وحمـل ما أقلّته الرواحل من أمواله رذخائره ، وحرق سفن دجلة ، ومر بنهر الحلة فقطعه ، وصبح مشهد علي ـ رض ـ ووافى تيمور وعساكره دجلة في ١١ شوال سنة ٧٩٥ هـ . ولم يجد السفن ، فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد ، واستولى عليها ، وبعث العساكر في اتباع أحمد . فساروا الى الحلة ـ وقد قطع جسرها ـ فخاضوا النهر عندها ، وادركو أحمد بمشهد علي ـ رض ـ واستولوا على أثقاله ورواحله ، فكرّ عليهم في جموعه ، واستماتوا . وقتل الأمير الذي في اتباعه ، ورجع بقية التتر عنهم ، ونجا أحمد الى الرحبة من تخوم الشام (٢) .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

عزيز بن اردشير الاسترابادي [مؤلف « بزم ورزم » في الفارسية] .. كان في صباه جاء إلى بغداد ، وقضى شبابه فيها .

ولما ورد تيمور بغداد في ٢٠ شوال سنة ٧٩٥ هـ ، وضبطها ؛ فرّ المؤلف والسلطان أحمد إلى انحاء المشهد (النجف الأشرف) . وقد وافى المشهد ثلـّة منهم فقبضوا على المؤلف ، وجاؤا به إلى الحلة ، وسلموه إلى ميران شاه ؛ ابن الأمير تيمور ، فعطف عليه ، ولطف بحياته ، فبقي مدة عنده (١) .

*

وعلى كل ؛ نجا السلطان أحمد من تلك المملكة ، وان اعوانه كل واحد منهم سلك ناحية . فتفرقوا في الصحارى شذر مذر ، فاختفوا فيها .. الخ .. فكان مع القوم من ضرب الى جهة النجف (٢) .

*

ان فتح بغداد — كان بعد محاصرة دامت اربعين يوماً — يوم السبت ٧ ذي القعدة لسنة ٨٠٣ هـ ، وقتل خلق لا يحصى ، واتخذت من رؤوسهم منارات . وخرج منها في العشرة الاولى من ذي الحجة ؛ إلا انه لم يصل إلى العلماء منه ضرر . ومن هناك زار مشهد الأمام موسى الكاظم — رض — ، ومضى الى الحلة فزار مشهد علي — رض — وقضى نحو عشرين يوماً تثبيتاً للسطوة والسيطرة على تلك الأنحاء ، وعلى واسط ، وتجمع اليه علماء العراق وآذربيجان وغيرهم . وكانت مجالسه مشغولة بالمناظرات العلمية ، وما ماثل (٣) .

*

وأما فضل الله الاسترابادي [المقتول سنة ٨٠٤ هـ] ؛ فانه جاور النجف

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٤

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢١٨

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١

مدة عشرين سنة .. فهل كانت له علاقة بالاسماعيلية ، وهم يترددون إلى مشهد الأمام علي – رض – فاتصل بهم ؟ (١) .

*

قبيله خفاجة.. وهم يسكنون بنواحي الكوفة. قال ابن بطوطة : «سافرت – من النجف إلى البصرة – دفعة كبيرة من عرب خفاجة. وهم أهل تلك البلاد ، ولهم شوكة عظيمة ، وبأس شديد . ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار الا في صحبتهم » (٢) .

*

المشعشع [سنة ٨٤٤ هـ]..حروبه في الحويزة والجزائر وواسط ، واستيلاؤه على النجف الأشرف (٣) .

*

المولى علي المشعشع – في الغياثي أن مير علي كيوان خرج بالحجاج يوم السبت غرة ذي القعدة لسنة ٨٥٧ هـ ؛ فخرج عليهم المولى المشعشع ونهب أموالهم ودوابهم وجمالهم ، وأخذ المحمل والآية المذهبة ، وقماش المحمل ، ونجا أناس قلائل كانوا قد دخلوا المشهد . وحاصروا السادة في حطيم المشهد ، فأرسلوا يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل والسيوف . وكانت خزانة الحضرة منذ سبعمائة سنة تجمع فيها سيوف الصحابة والسلاطين فكلما مات سلطان أو خليفة بالعراق يحمل سيفه إليها. فأرسلوا إليه مائه وخمسين سيفا ، واثنى عشر قنديلا ؛ ستة منها ذهبا ، وستة فضة .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٤٨

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ صفحة ٦٦

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ صفحة ١٨٨

فأرسلوا من بغداد عسكراً لمحاربته يقدمهم دوه بيك ، وانضم إليه بسطام حاكم الحلة بأجواد عسكر بغداد (١) .

*

وبتاريخ خامس الشهر دخل السلطان علي الحلة ونقل أموالها وأموال المشهدين إلى البصره .. ورحل يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة إلى المشهد الغروي والحائري . ففتحوا له الابواب ، ودخل فأخذ ما تبقى من القناديل ، والسيوف ، وورونق المشاهد جميعها من الطوس والاعتاب الفضية والستور والزوالي وغير ذلك ودخل بالفرس إلى داخل الضريح ، وأمر بكسر الصندوق ، واحراقه ؛ فكسر وأحرق ونقل اهل المشهدين من السادات وغيرهم ببيوتهم (٢) .

*

سنة ٨٥٩ هـ — في هذه الأيام وصلت أخبار المشعشع الى بير بوداق بشيراز ؛ فأرسل سيدي علي مع جماعة نواكر (ضباط وأعوان) الى بغداد ، فدخلها في ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٨ هـ .

وبعد ذلك أرسل بير بوداق جماعة عساكر من شيراز الى بغداد ، ومقدمهم أمير شيخ شي لله ، وحسين شاه المهردار ، وعمه سورغان ، وعلي كرز الدين ، وشيخ ينكى اوغلي . وأمر أن يتوجه سيدي علي ، ويعمر الحلة والمشهدين ، فدخل بغداد في ٢ جمادى الأولى سنة ٨٥٩ (٣) .

*

علي بن محمد بن فلاح [المشعشع] مات سنة ٨٦٣ هـ . . وكان منفوراً من الجميع بسبب ما قام به من إهانة العتبات الشريفة في النجف وفي كربلاء ، والقتل والتخريب والنهب ، ففي المجلس الثامن من مجالس المؤمنين : أغار المولى

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ صفحة ١٤٣
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٤٤
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٤٥-١٤٦

علي المذكور على عراق العرب ، وانتهب المشاهد المقدسة ، وتجاسر على العتبات بوقاحة ، واستولى عليها (١) .

*

الشاه اسماعيل – استولى على [بغـــداد] سنة ٩١٤ هـ بواسطة قائده لالا حسين . . وعقب ذلك جاء الشاه الى بغداد . . وبعد ذلك ذهب لزيارة مشهد الحسين ومشهد الامام علي – رض – (٢) .

*

ثم رجع الى الحلة.. ومنها ذهب الى النجف الأشرف للزيارة ــ أيضاً – (٣) وقدم للحضرة هدايا جزيلة ، ونوادر فاخرة ، وأكرم سكان المدينة المشرفـــة وأنعم عليهم بوافر العطايا (٤) .

*

السلطان سليمان ــ تجول.. في ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ في أنحاء عديدة من العراق ؛ قضاها في زيارة المراقد المباركة في الكاظمية، وكربلاء، والنجف(٥)

*

في سفر الوالي [اياس باشا . . والي بغداد ؛ سنه ٩٥٣ هـ] مرّ بالنجف لزيارة مشهد الامام على ــ رض – (٦) .

*

في النجف تكية للبكتاشية . . لا شك أنها ترجع في القدم الى مثل تكيــة

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٥١
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٣٧
(٣) أي ؛ النجف
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٤١
(٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٩
(٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٤٩

كربلاء ، إلا أننا لا نقطع في تاريخها لما قبل الفتح الثاني .. وكان في النجف في تكية البكتاشية الحاج السيد أحمد ويراني سلطان ؛ وهذا معتبر عند البكتاشية والكاكائية معاً . ناله الظهور ورفع الى السماء وصار أسداً . ولا تزال قلنسوته في هذه التكية موضوعة على دكة يزورونها ويبدون لها غاية الاحترام والخضوع. فهو من أكابر شيوخ البكتاشية ، ولم يعين تاريخه . ولا شك انه سابق للتاريخ العثماني بل ان تاريخ الحروفية يتحقق في تأريخ فضل الله الحروفي مؤسس الحروفية، لازم الخلوة ، والطريقة ؛ في حضرة الامام علي — في النجف — مدة طويلة . فلا ريب أنهم يرجعون في طريقتهم اليه ، وهي لا تختلف عن البكتاشية بوجه (١).

*

طريقة البكتاشية — . . مؤسسها الأصلي الحاج بكتاش ولي ، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .. وبدخول العثمانيين تأسست في العراق ، فاتخذت جملة تكايا .. في النجف وكربلا وغيرهما (٢) .

*

قتل القزلباشية — ان الدولة [العثمانية] أرادت أن تقطع دابر القزلباشية ؛ إذ علمت ان قد جاء أكثر من ثلثمائة منهم من النجف الى الكاظمية فأمر بقتلهم وذلك قبل الفتح [سنة ١٠٤٨ هـ] ، واعطاء الامان وكذا قتل نحو ألف ، ثم قتل نحو أربعمائة (٣) .

*

كان كنج عثمان من الشجعان الأبطال ، وهو من أتباع ابازه باشا المشهورين .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٥٣

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٥٥

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٣٤

فجعل على جيش تولى رئاسته ، وأرسل لفتح الأنحاء العربية . وهـــذا لاقى القزلباش أي الايرانيين أو الشيعة منهم بسيفه فدمرهم . وفتح قصبة كربلاء ، وذهب منها الى النجف [سنة ١٠٤٩ هـ] وكانت بلدة معمورة فاستولى عليها ، ومنها اكتسح الحلة ، وضبط الرماحية .

ومن ثم حط ركابه في كربلاء . الا انه اهتم غاية الاهتمام بالبلدان والبقاع التي استولى عليها وراعى حسن ادارتها (١) .

*

الوزير حسين باشا . . معروف بـ « حسين باشا السلحدار » . عـزم [سنة ١٠٨٢ هـ] على زيارة المشهدين ترويحاً للنفس ثم عاد الى بغداد (٢) .

*

الوزير قبلان مصطفى باشا كان . . صافي القلب . له ميـل عظيم الى زيارة الأولياء . وفي شعبان [سنة ١٠٨٨ هـ] ذهب لزيارة الإمام الحسين – رض – والإمام علي – رض – فقضى بضعة أيام ثم ، عاد (٣) .

*

الشيخ سلمان بن عباس الخزعلي ؛ لم يذعن بل ضبط مقاطعات (الرماحية) و (خالد كبشه) و (حسكه) و (بني مالك) و (نهر الشاه) حتى انه لم يكتف بكل ذلك بل استولى على النجف الأشرف [سنة ١١١٢ هـ] (٤) .

*

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٧
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٠٤
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١١٣
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٥٣

في شوال [سنة ١١١٦ هـ] ذهب الوزير [حسن باشا] لزيارة كربلاء والنجف . وفي طريقه مرّ بنهر الشاه (١) .

*

لما أتم الوزير [حسن باشا] أعماله [سنة ١١١٨ هـ] عاد لزيارة الإمام علي – رض – ومنها جاء الى بغداد (٢) .

*

توجه [والي البصرة الوزير حسن باشا سنة ١١٢٦ هـ] الى زيارة الإمام علي – رض – وفي هذه المرّة جدد صندوق ضريحه . ولما تم ، حضر القاضي والمفتي والنقيب ، فأجرى الاحتفال المهيب ، ورفع الصندوق العتيق ، فوضع مكانه الجديد ، فغطاه بالستار ، ووضع له يوسف عزيز المولوي صاحب قويم تاريخاً باللغة التركية ، وكان في جملة من حضر الاحتفال .. ان النص المنقول عن قويم الفرج يعين ان الوزير حسن باشا هو الذي عمل [الصندوق] .

وممن أرخه الحاج محمد جواد بن عواد . وفيه اشارة الى انه جدده الوالي ، ولم يقل اصلحه ، بل الشعر يشير الى أنه من عمله (٣) .

*

[في سنة ١١٥١ هـ] أخبر الوزير [أحمد باشا] بأن الأمير سعدون [أمير المنتفق] جمع نحو عشرة آلاف مقاتل فنزل بين النجف والكوفة ، وتغلب على بعض القرى ، ومنع الزرّاع من الانتفاع (٤) .

*

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٦٤
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٧٣
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٨٩-١٩٠ .
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ح ٥ ص ٢٥٦

سنة ١١٥٣ هـ ـ أرسل نادر شاه مع أحد أمرائه هدايا؛ نقوداً وافرة الى... العتبات المقدسة المباركة ، وتحفاً سنية . ولما وردت بغداد كتب الوزير بهـا دفتراً وسلم ما يخص العتبات بواسطة السفير الإيراني ، فأوصلها إلى محلها ، وأكرم السفير (١) .

*

[سنة ١١٥٤] . . قطاع الطرق عاثوا .. وعطلوا الأسفار من محـل الى آخر .. اطلع الوزير على ذلك ، فعزم على تخريب هذه القرى [التي اتفقت هذه العشائر مع بعض المفسدين من أهلها] فجهز عليها سرية بقيادة سليمان باشا الكتخدا . وهذا فرق جيشه ، ونبه أن يقتل جميع رجالها وتنهب أموالهـا ؛ عدا كربلاء ، والحلة ، والغري (٢) .

*

في سنة ١١٥٥ هـ بـدأ نادر شاه بتذهيب القبة والايوان والمئذنتين لمشهد الإمام علي ـ رض ـ وتم ذلك في سنة ١١٥٦ هـ . فبذل أموالاً كثيرة وقـدم للخزانة الغروية تحفاً نفيسة . ورد في تاريخ جهانكشاي نادري ، وفي بستان السياحة ، وللسيد حسين بن مير رشيد ، وللسيد نصرالله الحائري وغيرهمـا قصائد (٣) .

*

أرسل [نادر شاه] رسولاً الى أحمد باشا ، في الصلح مع الدولة العثمانية . . فقبل الوزير ، وأرسل اليه كلا من محمد باشا الكتخدا السابق ، وسليمان باشا ، وولي أفندي كاتب الديوان .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٢
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٣-٢٦٤
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٧

وصـــل هؤلاء الى الشاه ، وأسّسوا الصلح بين الطرفين ، على أن يعود الى مملكته ، وتعرض القضية على الدولة العثمانية. وحينئذ عزم على زيارة العتبات ؛ فذهب أولاً الى النجف الأشرف لمشاهدة القبـــة المذهبة ـ وكان أمر ببنائها ـ ومنها ذهب الى كربلاء . ومن هناك كتب الى الوزير أحمد باشا أن يرسل إليه عالماً ؛ بأمل التوفيق والتأليف بين السنّة والشيعة ؛ فأرسل إليه الوزير الشيخ عبدالله السويدي . فحضر يوم الأربعاء ٢٤ شوال سنة ١١٥٦ هـ .

أوضح ذلك في كتابه (النفحة المسكية في الرحلة المكية). ذكر نص محضر العلماء لمختلف الأقطار . ونشرت المذاكرات في (حديقة الزوراء) ، وفي كتاب (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية) . وطبعت مراراً ، وآخرها طبعـة الأستاذ محب الدين الخطيب . كما نقلت الى اللغـــة التركية وطبعت . ولخص الاستاذ عبد الحميد السباعي تلك المزاكرات باسم (السيوف العراقية) ؛ أملاها الشيخ محمد سعيد السويدي ابن الشيخ عبدالله السويدي سنة ١١٨٨ هـ فحكى ما جرى وعندي (١) مخطوطتها .

*

وفي جهانكشاي نادري للاستاذ مهدي منشىء نادر شاه نص المحضر بالفارسية ونسخته وضعت في خزانة الامام في النجف ، وأذيعت في مختلف البلدان (٢).

*

[أشهر من عرف من الأسرات والافراد في العلم] آل الطريحي في النجف [في القرن الثاني عشر] ولا تزال بقاياهم (٣) .

---

(١) في خزانة المحامي عباس العزاوي

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٩

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٣١٠

بناء سور النجف – [في ١٢٠٣ هـ] كان بناء سور النجف بأمر الوزير سليمان باشا – كما في المجموعة المخطوطة عندي (١) (٢) .

*


سور النجف القديم

في شهر شوال [سنة ١٢٠٤ هـ] جرى تجديد شباك ضريح الأمام علي فعمل من الفضة أرسله محمد خان بن حسن خان القجاري؛ ويسمى اقا محمد خان مؤسس دولة القجارية (٣) .

*

كان الوزير يخشى من الوهابيين أن ينصرفوا الى النجف ؛ فيوقعوا فيه ما أوقعوا في كربلاء . ولذا راعى الحيطة في نقل الخزانة التي في النجف إلى الامام موسى الكاظم – رض – وعهد بأمر ذلك الى الحاج محمد سعيد بك الدفتري . فقام بما يجب وعاد الى بغداد [سنة ١٢١٦ هـ] (٤) .

*

لبث علي باشا في الهندية .. وأبقى في النجف عسكر الموصل ، مع مقدار من العقيليين (٥) .

*

رحل الوزير [علي باشا سنة ١٢١٨ هـ] الى جهة الشامية ومنها نزل قرب المشهد (النجف) . وهناك رتب جموعا من عثمانيين وكرد وعرب وجعلهم تحت

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٠٦
(٢) اي ، خزانة المحامي عباس العزاوي ، مصنف تاريخ العراق بين احتلالين .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٠٨
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٤٥
(٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٤٥

قيادة فارس الجرباء ، وأمرهم بالذهاب إلى جبل شمر . وفي هذه الاثناء اعلم فارس الجرباء بان جمع الوهابيين وافى إلى هذه الجهات فأغار فارس بجموعه نحوهم بقصد الظفر بهم . فلم يروا أثراهم ، وقضوا ليلتهم قرب قصر الأخيضر فوق شفاثا .

وبيناهم في استطلاع الأخبار ؛ اذ جاءت الانباء بأنهم وصلوا إلى غربي المشهد الى القطقطانة (طقطقانه) فقاموا من ساعتهم فأغاروا عليهم ، ولم يصلوا الا ّ وقت المغرب فوجدوا أثرا ولكنهم لم يعثروا عليهم ، وعادوا بيأس ؛ لأنهم علموا مؤخرا ان الوهابيين رجعوا إلى ديارهم (١) .

*

[سنة ١٢٢٠ هـ] سار سعود بجيوشه ، ونازل المشهد ، وفرق جيشه عليه من كل جهة ، وأمرهم ان يتسوروا الجدار على أهله . فلما قربوا منه فاذا دونه خندق عريض عميق ، فلم يقدروا على الوصول إليه وجرت بينه وبينهم مناوشة وقتال ورمي من السور والبروج ؛ فقتل من جيش سعود عدة قتلى فرجعوا عنه (٢) .

*

زبيد والخزاعل وسائر العشائر لم يؤدوا الرسوم الأميرية . وكذا عشائر الجرباء ، والظفير ، والرولة . فعاثت [سنة ١٢٢٩ هـ] بالقرى والقصبات المجاورة لها مثل الحلة وكربلاء والنجف ، فضج الناس من كل صوت (٣) .

*

جهز داود [الدفتري] جيشه وسار من بغداد . بتاريخ ١٤ ذي القعدة

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٥٩

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٦٩

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٢٢

[سنة ١٢٢٩ هـ] نحو الحلة وكانت آنئذ كربلاء والنجف مزدحمة بالعشائر في كافة انحائها وحواليها . وان كثرتها كانت تعادل أضعاف الجيش فلم يبال بكثرتهم ومكث في الحلة بضعة ايام للاستراحة فذاع أمره فاستولى الرعب على العربان النازلة في تلك الجهات .. وتفرقت دون أن يجرد سيفا . وانما ارسل مقداراً من الجيش لتخليص الزوار المحصورين فجاءبهم الى الحلة ثم ذهبوا الى النجف ، ومنها عادوا الى الحلة.ثم توجهوا الى بغداد دون ان ينالهم خوف او يصيبهم ضرر (١)

*

مضى الوزير [سعيد باشا سنة ١٢٣٠ هـ] الى جليحة لتحصيل الميري . وفي طريقه زار النجف وكربلاء (٢) .

*

طمعت قبيلة الظفير [في سنة ١٢٣٣ هـ] في وقعة يحيى اغا الخازن ، وكذا سائر العشائر في قطع الطرق ، وتجاوزت على زوار العتبات . حتى ان وكيل متولي اوقاف النجف عباس الحداد تمكن من اشعال نيران الفتن بين حيين من أحياء النجف ؛وهما الشمرت والزكرت فأدى الأمر إلى هلاك الكثيرين . وكذا في انحاء الخزاعل امتنع شيوخ جليحة وعفك عن اداء الميري ، فحاول الوزير عبثا في دعوتهم فم يجيبوا وأصروا على عنادهم .

وعلى هذا أرسل من أغوات الداخل صالح اغا الكردي مع بيرق أو بيرقين من الخيالة لاتخاذ الوسائل الناجحة لالقاء القبض على عباس الحداد أو قتله واذا

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٢٣

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٢٦

لم يتيسر فيجب عليه أن يراعي المصلحة بالتزام من يناوئه باغرائهم عليه أو ما ماثـــل .

وأرسل محمد الكهية بقوة عظيمة على الصقور ، وعلى عشائر جليحة وعفك لأجل تأديبهم ...

وأما صالح أغا فلم يتيسر له القبض على عباس الحداد حيا فانتهز الفرصة وقتله مع علي دبيس الشقي المشهور ، وأرسل برأسيهما الى الوزير . فزالت الفتنة بين الزكرت والشمرت في النجف ،وهدأ الأهلون . وان الباقين أذعنوا وخلدوا للسكينة . وحينئذ نصب عليهم وكيـــل متول محمد طاهر جلبي من أقارب السادن (الكليدار) الأسبق ، وزال النزاع (١) .

*

كتب الوزير [محمد نجيب سنة ١٢٦٠ هـ] بخبر [محمد بن شبل العجمي مقدّم البابيّة] الى استنبول بأن اهـــل كربلاء والنجف وعلماءها لم يقبلوه فجيء به الى بغداد (٢) .

*

غلت الأسعار [سنة ١٢٦٨ هـ] بالحسين (كربلاء) ، والمشهد النجف (٣)

*

الوزير السردار الاكرم عمر باشا ؛ سنة ١٢٧٤ هـ] لم يصبه فتور وصـــار يبعث بالجيوش متواليا لاسكان الفتن . واستمر في أخذ الجندية من الحلة والنجف وكربلاء وما جاورها من الأنحاء الفراتية (٤).

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٥٩
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٧٣
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٩٨
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١١٨

[ورد ناصر الدين شاه بغداد يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧ هـ] ودامت سياحة الشاه نحـــو ثلاثة اشهر ؛ في خلالها زار العتبات في النجف وكربلاء وسامراء (١).

*

وفي الموصل والبصره والنجف ظهر علماء (٢) .

*

[سنة ١٢٩٨ هـ] انتشر الوباء في بغداد . وامتدّ إلى النجف والهندية ، والى ايران في أنحاء مراغة ، وازداد في العراق (٣) .

*

[سنة ١٢٩٩ هـ تحول قائممقام سوق الشيوخ إلى قائممقامية النجف ؛ وهو فتاح بك ، وقائممقام النجف فتاح بك الآخر صار في سوق الشيوخ (٤) .

*

لواء كربلاء ؛ وأقضيته [سنة ١٣٠٢ هـ] النجف ، والهندية (٥) .

*

في ايام [الوالي سري باشا ١٣٠٧ – ١٣٠٨ هـ] كان في كربــلاء والنجف كثيرون يدعون أنهـــم من تبعة ايران ، فاعطى الأمر بلزوم مراعاة الحيطة في التحقيق والتثبت من هذه الأمور (٦) .

*

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢٤٤

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج.٧ ص ٢٨٨

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٥١ – ٥٢

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٦٤

(٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٧٥

(٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١١٣

أناب [والى بغداد الحاج حسن باشا سنة ١٣١٠ هـ] فضيلة عزيز بك القاضي ، عنه . وتجول في أنحاء كربلاء والنجف (١) .

*



السيد مهدي السيد سلمان

وقع في النجف [سنة ١٣٢٧ هـ] فتن بين الزكرت والشمرت وطـالت الحروب بينهما فصاروا مضرب المثل . وكان يعد من المسببين لهذه الحروب السيد مهدي آل السيد سلمان ؛ من الزكرت ، وكان أبوه رئيسا (٢) .

*

[الوالي حسين ناظم باشا سنة ١٣٢٨ هـ]

جعل باكورة أعماله اثر وروده بغداد بنحو اسبوع مهمة العشائر ودفع غوائلها فحصل على فتاوى من العلماء في لزوم تأديب من يستحل الغزو المحرم .. وأخذ فتاوى من علماء الشمية فأفتوا بانه يجب منع العشائر من هذه الأعمال بالنصائح والوعظ ، فان أبوا فحينئذ يركن الى التهديد والتخويف ، والاجاز التنكيل بهـم . ومن بين هؤلاء العلماء : الشيخ كاظم الخراساني من النجف ، والشيخ عبدالله المازندراني من النجف .. فكان لهذه الفتاوى اثرها (٣) .

علاقة المجتهدين من الايرانيين المقيمين في النجف وكربلاء بايران كبيرة جداً (٤)

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٢٢
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٨٧
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٩٩ ــ ٢٠٠
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٣١٨

النجف
في الرحلات والادلة (*)

رحلة ابن جبير
سنة ٥٨٠ هـ

وأصبحنا بالنجف ؛ وهو بظهر الكوفة كأنه حـــد" بينها وبين الصحراء . وهو صلب من الأرض منفسح متّسع للعين فيه مراد استحسان والشراح (١) .

وفي غربي المدينة [الكوفة] على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشان المنسوب لعلي" بن أبي طالب – رض – وحيث بركت ناقته وهـو محمول عليها مسجّى ميّتاً على ما يذكر . ويقال ان قبره فيه .. وفي هذا المشهد بناء حفيل على ما ذكر لنـا لأنا لم نشاهده بسبب ان وقت المقام بالكوفة ضاق عن ذلك ؛ لأنا لم نبت فيها سوى ليلة (٢) .

(١) رحلة ابن جبير ص ٢١٠ — (٢) رحلة ابن جبير ص ٢١٢

(*) ليست هـــذه الا بعض الامثلة من الرحلات العربية القديمة كرحلة ابن جبير ، والرحلات الحديثـــة ، كرحلة عبد الوهاب عزام ، وبعض الأدلة العراقية ، وقد اكتفينا بها أمثلة عن بقية الرحلات العربيه التي فاض بها عدد من الكتب ، وعدد من المجلات والجرائد ، وعلى اننا قد اوردنا قسماً مما تضمنته الرحلات الاجنبية باقلام الغربيين في هذا الجزء، فان هناك الشيء الكثير مما ورد في الرحلات الفارسية على الأخص ، والرحلات الهندية ، والاراجيز الشعرية العربية عـــن النجف وما استلفت منها أنظار الرحالة فقد تركنا عرض المهم منها لاعتمادها شواهد تأريخية عند عودتنا لاستعراض الجوانب الاخرى مر تأريخ النجف .

ج. خ.

الاشارات الى معرفة الزيارات

باطنة النجف ؛ مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضه – وعنده جماعة من العلويين والأشراف (١) (٢) .

رحلة ابن بطوطة

نزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة . من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً ، وأتقنها بناء . ولها أسواق حسنة نظيفة .

دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ، ثم سوق الفاكهة ، ثم سوق الخياطين ، والقسارية ، ثم سوق العطارين ، ثم باب الحضرة – حيث القبر . . قبر علي بن أبي طالب – عليه السلام – وبإزائه المدارس ، والزوايا ، والخوانق ؛ معمورة أحسن عمارة ، وحيطانها بالقاشاني – وهو شبه الزليج عندنا ، لكن لونه أشرق ، ونقشه أحسن .

ذكر الروضة والقبور التي بها

ويدخل – من باب الحضرة – إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة . ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم .

ومن تلك المدرسة يدخل الى باب القبة . وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية . فعندما يصل الزائر ، يقوم اليه أحدهم أو جميعهم – وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ، ويستأذنون له ، ويقولون : عن أمركم – يا أمير المؤمنين – هذا العبد الضعيف ، يستأذن على دخوله للروضة العلية ، فان أذنتم له ، وإلا رجع . وإن

(١) الاشارات ص ٧٧ – (٢) وتراجم الاشارات – أيضاً – ص ٨٤

لم يكن أهلاً لذلك ؛ فأنتم أهل المكارم والستر » . ثم يأمرونه بتقبيل العتبة ـ وهي من الفضة ، وكذلك العضادتان ـ ثم يدخل القبة . وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه ، وبها قناديل الذهب والفضة ؛ منها الكبار والصغار .

وفي وسط القبة مسطبة مربعة ، مكسوة بالخشب ؛ عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل ؛ مسمرة بمسامير الفضة ، قد غلبت على الخشب ؛ بحيث لا يظهر منه شيء . وارتفاعها دون القامة ، وفوقها ثلاثة من القبور .. أحدها قبر آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ والثاني قبر نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ والثالث قبر علي ـ رضي الله تعالى عنه .

وبين القبور طسوت ذهب وفضة ؛ فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب . يغمس الزائر يده في ذلك ، ويدهن به وجهه تبركاً .

وللقبة باب آخر عتبته ـ أيضاً ـ من الفضة ، وعليه ستور من الحرير الملون. يفضي الى مسجد ـ مفروش بالبسط الحسان ـ مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير .

وله أربعة أبواب عتباتها فضة ، وعليها ستور الحرير .

وأهل هذه المدينة كلهم رافضية . وهذه الروضة ظهرت لها كرامات . . فمنها ان في ليلة السابع والعشرين من رجب ـ وتسمى عندهم ليلة المحيا ـ يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقين ، وخراسان ، وبلاد فارس ، والروم . فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك . فاذا كان بعد العشاء الآخر جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينظرون قيامهم ـ وهم ما بين مصلٍّ ، وذاكر ، وتالٍ ، ومشاهد للروضة ـ فاذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه ، أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء ؛ وهم يقولون : لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله . وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات . ولم أحضر

تلك الليلة ، لكني رأيت بمدرسة الأضياف ثلاثة من الرجال ؛ أحدهم من أرض الروم ، والثاني من أصبهان ، والثالث من خراسان وهم مقعدون . فاستخبرتهم عن شأنهم ، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا ، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر . وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ، ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام .

وليس بهذه المدينة مغرم ، ولا مكاس، ولا والٍ . وإنما يحكم عليهم نقيب الأشراف . وأهلها تجار ؛ يسافرون في الأقطار . وهم أهل شجاعة وكرم ، ولا يضام جارهم . صحبتهم — في الأسفار — فحمدت صحبتهم .

ومن الناس — في بلاد العراق وغيرها — من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برىء ، ومنهم من يمرض رأسه ، فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة ، فيجعله النقيب في الخزانة . وكذلك اليد والرجل ، وغيرهما من الأعضاء . وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته .

ذكر نقيب الاشراف

ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق ، ومكانه عنده مكين ، ومنزلته رفيعة . وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره. وله الأعلام والأطبال. وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً .

وإليه حكم هذه المدينة ، ولا والي بها سواه ، ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره . وكان النقيب — في عهد دخولي إليها — نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوي ؛ نسبة إلى بلدة آوة من عراق العجم ، أهلها رافضة .

وكان قبله جماعة ، يلي كل واحد منهم بعد صاحبه . منهم جلال الدين بن الفقيه . ومنهم قوام الدين بن طاووس . ومنهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمد الأوهري من عراق العجم . وهو الآن ، بأرض الهند

من ندماء ملكها. ومنهم أبو غرّة بن سالم بن مهنى بن جماز بن شيحة الحسيني المدني.

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ سافر الركب إلى بغداد ، وسافرت إلى البصرة ؛ صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة . وهم أهل تلك البلاد ، ولهم شوكة عظيمة ، وبأس شديد ، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم . فاكتريت جملا على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي ، وخرجنا من مشهد علي ـ عليه السلام ـ فنزلنا الخورنق (١) .

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

سنة ١١٣١ هـ

أتينا على أرض الأثيلة . وبينها وبين أرض النجف ـ مشهد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ـ نصف مرحلة . . فخرج إلينا أهل النجف بأنواع المأكول الطيب ، والمشروب الهنيء ، والمشموم الذكي ، ولطائف التحف . وبتنا تلك الليلة ـ يا صاح ـ بأكمل السرور ، وأتم الأفراح . والتقى الخلان والأصحاب ، واجتمع شمل الأحباب بالأحباب .

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى غفرت لدهري كل ذنب تقدما

وزال عنا بؤس السفر والمحن ، وأعاد الله كل غريب إلى الوطن .. فلما أسفر وجه الصباح ، باليمن والفرح والنجاح ؛ عن ثالث صفر ، المقرون بالخير والظفر ؛ دخلنا مشهد أمير المؤمنين ، ويعسوب الدين ؛ ليث بني غالب ، إمام المشارق والمغارب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ... فتشرفنا بزيارة الإمام المؤيد بالنصر من ربه والفتوح ، وضجيعيه الكريمين آدم ونوح . وقد عقدت عليهم قبة عظيمة ، في زينة وسيمة وأول من عقد هذه القبة عبدالله بن حمدان

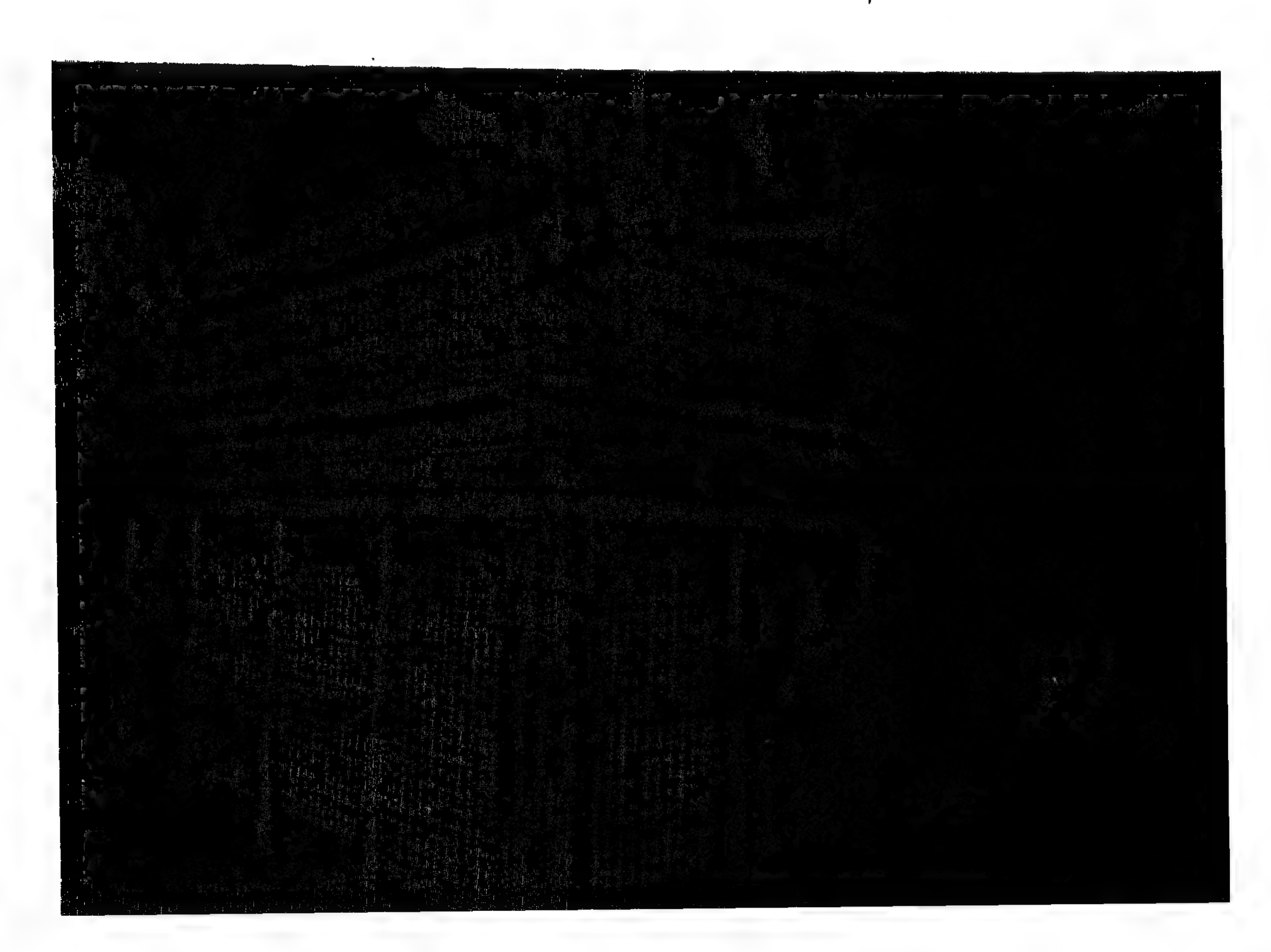
---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩-١١٣

في دولة بني العباس . ثم عمّرها الملوك من بعده . وبهـــا من الذهب الإبريز ، والجواهر ، وخالص اللجين ، وأنواع الفرش الفاخر ؛ ما يكل عنه قلم الحاصر . والبلدة رخية أمينة ، طيبة حصينة . سورها مكين . وهي جنـــة المتقين . وأهلها سادة كرام ؛ ملجأ الخاص والعام .

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهـــم
يسلو عن الأهل والأصحاب والوطن

.. فأقمنا ـ هناك ـ شهراً (تام) ، في أرغد عيش مدام . ونزلت بدار العالم العامل النحرير الفاضل ؛ مولانا الشيخ ابراهيم الخميسي . واجتمعت بالولي الشهير ، المجتهد الكبير ، العابد الزاهد ، بحـــر المعارف والفوائد ؛ تاج السادة الأكارم مولانا السيد هاشم .



واجتمعت بالعالم العامل الفاضل ، التقي النقي الكامل ؛ الشيخ محمد يحيى الحميسي .

واجتمعت بالفاضل الأديب ، العاقل الكامل الأريب ، الشاعر الماهر اللطيف ، المؤنس الظريف ، مولانا الشيخ يونس بن أنس - لا زالت أنوار الكمالات من أنوار كماله تقتبس -

واجتمعت بالسند السيد ، المعتمد الأيد ، الأمجد الأنجد ، الأسعد الأصعد ؛ مولانا السيد مراد ، حاكم المشهد . وحصل لي منه الاكرام والقبول - أدامه الله (تعالى) بالرياسة والعز ، ما هبت الدبور والقبول ، وبلّغه من دنياه وأخراه كل سُول .

واجتمعت بكثير من العلماء ، ورثة الأنبياء الكرماء (١) .

وسعدنا ثانياً [فتشرفنا بزيارته] وذلك من سعادته (٢) .

رحلة المنشيء البغدادي
سنة ١٢٣٧ هـ

النجف - ومن ذي الكفل إلى النجف أربعة فراسخ . وهو مزار حضرة الإمام علي .

وفي الطريق يعبر من نهر الهندية لمرات . وهذا النهر يأتي من نهر الفرات . يذهب الى النجف . وفي موطنين عليه قناطر .

وان النجف في محل مرتفع . وهو قلعة محكمة ، فيها نحو ألفي بيت من العرب والعجم . وهواؤها في غاية اللطف والجودة ؛ ولا سيما لياليها .

وماء الآبار في النجف ملح جداً . ولا تصل الحبال إلى الماء إلاّ بعد عشرين لفة ؛ ليصل الدلو إلى الماء (٣) .

وحاكم كربلا ، والنجف ؛ يقال له وكيل المتولي (٤) .

(١) نزهة الجليس ج ١ ص ٦٧-٧٠ - (٢) نزهة الجليس ج ١ ص ١٩٣
(٣) رحلة المنشيء البغدادي ص ٩١ - (٤) رحلة المنشيء البغدادي ص ٩٩

رحلات عبد الوهاب عزام

سنة ١٣٤٩ هـ

برحنا كربلاء – والساعة خمس من المساء – قاصدين النجف الأشرف . فناوحنا الجنوب منحرفين قليلاً إلى الشرق ؛ في بيداء جرداء . فبلغنا النجف ، والساعة سبع .

والنجف ؛ مدينة مسوّرة . بني سورها – أيام ثورة الوهابيين الأولى – خيفة على المدينة من عاديتهم .

نزلنا في دار النائب الوجيه عبد الرزاق آل شمسه ، فاستقبلنا – هناك – حاكم البلد (القائمقام) وكثير من العلماء والفضلاء .

ثم سرنا إلى مشهد الإمام علي ، والمسجد إحدى آيات البناء عظمة وأبهة ونظاماً .

فيه فناء عظيم ، تحيط به أبنية كثيرة رفيعة ؛ فيها معاهد للدرس ، ومساكن للطلاب والعلماء .

وقد حُدّثت أن طلاب العلم في النجف يزيدون على عشرة آلاف . ولا عجب ؛ فهو مشهد تهفو لذكراه أفئدة المسلمين عامة ، ولا سيما الشيعة منهم .

يحيط الفناء بمسجد عظيم ، يزيغ البصر في جلاله وأبهته . مقدم المسجد كله والمنارتان الشامختان على جانبيه – كل هذا مغشى بصفائح الذهب الخالص. ولكن أنّى للداخل – إلى حضرة أمير المؤمنين علي – أن يعبأ بالذهب والزخرف .

دخلنا إلى المشهد العظيم ، وللناس حوله جؤار بالدعاء والقراءة ، فأطفنا به في عشية من جلال الموقف ، ورهبة الذكرى . ولم يمنعني روعة المقام من تسريح الطرف في القبة الهائلة ، تبهر الأبصار في حلل من البلور والذهب . تتدلى منها المصابيح تزري بالتيجان المعلقة هنالك . وقد رأينا تاجين أحدهما فوق المرقد

الشريف ، وهو تاج الشاه اسماعيل . والآخر في زاوية من القبة ؛ يقال إنه تاج نادرشاه ، ويقال إنه تاج أحد ملوك الهند .

وفي هذه القبة يقول بعض الناس (١) :

قبة المرتضى علي إذا ما فضّلوها أقول بالتفضيل
هي باء مقلوبة فوق تلك النـ ـقطة المستحيلة التأويـل

ثم خرجنا إلى الرواق المحيط بالقبة ، فمررنا بحجرة فيها قبر محمد شاه القاجاري ،عليه صفيحة من المرمر مزينة بنقوش ، وصورة مَلَكين ذوي أجنحة يحملان بينهما تاجاً .


السيد كاظم اليزدي

ثم خرجنا إلى الصحن ، فعرجنا على حجرة في جانب منها مقصورة ؛ أخبرنا أن فيها قبر الشيخ كاظم اليزدي، وابنه، وقبر أمير رامبور. ورأينا صورة الشيخ كاظم (السيد كاظم اليزدي) وصورة ابنه معلقتين على سياج المقصورة .

ثم توجهنا إلى مدرسة الشيخ كاظم اليزدي (السيد كاظم) ، وهبطنا بعض السراديب هناك ؛ فاذا طبقات ثلاث أو أربع تحت الأرض ينزل إليها نحو خمسين درجة . وكل طبقة تستمد الهواء من كوة صاعدة إلى ظهر الأرض .

وفي السراديب آبار مفضية إلى قنوات تتشعب تحت المدينة من مجرى واحد.

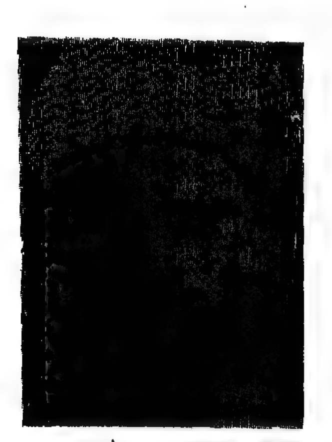
---

(١) هو عبد الباقي العمري . تراجع الترياق الفاروقي ص ١٠٥ ، وتقويم الروايا :

قبـة المرتضى علي تعالى شأنها عن موازن وعديل
فعلى قبـة السماء إذا ما فضلوها أقـول بالتفضيل

والسراديب – كما رأينـــا – أعجوبة ناطقة بذكاء أهل النجف ونشاطهم وجدهم . وهي مأواهم في الصيف لا محيص لهم منها . فان النجف الأشرف في صحراء جرداء شديدة الحر. فاذا متع النهار هبط الناس جميعاً إلى هذه السراديب فيجدون بلداً آخر بارد الهواء وقد حدثنا أن المقيم في السراديب يحتاج أحياناً إلى اتقاء بردها بالغطاء بينما الحر على ظهر الأرض يأخذ بأكظام الناس .

ثم شرفنا بزيارة العلاّمة المحقق والمجتهد الكبير السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء . وهو أحد مجتهدين ثلاثة في النجف ؛ هو عربي ، والآخران ايرانيان . فلمــا استقر بنا المجلس في الطبقة الثانية من داره شرع يحدثنا فعاتب الأستاذ أحمد أمين على ما كتبه عن الشيعة في كتاب « فجر الاسلام » ولامه بمـا كتب غير راجع إلى أمهات كتب الشيعة. وتلك يقظة من اخواننا جـديرة بالاعجاب والثناء ، شاهدة باطلاعهم على كل ما يكتب في العالم الاسلامي .



الشيخ محمـــد الحسين
كاشف الغطاء

ثم حدّث عن سفره إلى مصر منذ زمن بعيد، وما قال فيها من الشعر .

ثم اقترح عليـه بعض الحاضرين أن يشهدنا درساً من دروسه ، وألحّوا عليه فأجاب الدعوة إكراماً لضيوفه ، جزاه الله خير الجزاء .

جلس الأستاذ العلاّمة على كرسي ، وأحاط به طلابه – وكلهم رجال تلوح عليهم سن الأربعين أو مـا يقرب منها ، وكلهم وقور في سمته وبزّته ـ تكلّم في مسألة من علم الكلام ، مسألة واجب الوجود ، ثم ثنى بتفسير الآية : «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم..» والطلبة ـ في أثناء ذلك ـ

يسألون ويجادلون قد رفعوا الكلفة بينهم وبين شيخهم. وقــد سمعنا المعجب من بيان الأستاذ ، وغزارة علمه ـ على قصر الوقت ـ

ثم نزلنا الى المكتبة ، فاطلعنا على نوادر الكتب المخطوطة . ووددنا لو اتسع الوقت لنقضي اللبانة من هذه المكتبة المعمورة .

ثم رجعنا إلى الأستاذ فشكرناه وودعناه فرحين بمـــا أتيح لنا من السرور والفائدة بلقائه وشهود مجلسه (١) .

★ ★

(١) رحلات عبد الوهاب عزام ص ٦٢-٦٥

دليل المملكة العراقية

لسنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦

(قضاء النجف الأشرف)

النجف ، بلدة واسعة قائمة على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة . تطل من الجهتين الشمالية والشرقية على مخيم واسع من القباب والقبور التي تعد بمئات الألوف ، يدعى « وادي السلام » .

وتطل من الجهة الغربية على بحر النجف الناشف ، ويشاهد القادم من مسافة بعيدة مرقد الامام علي بن ابي طالب – عليه السلام - تتجلى فوقه قبة فخمة كأنها قطعة من الذهب الإبريز تناطح السماء علواً وتماخرها سمواً .

وهي أرض عربية قديمة كانت مصيداً أو متنزهاً للمناذرة . وبعد انقراض تلك الدولة ودخول المسلمين في العراق ، ودفن الامام علي – ع فيها ابتـــدأ عمرانها على عهـــد الرشيد إثر معجزة ظهرت له فأقام قبة بيضاء ، على القبر الشريف ، بعد ان كان مخفياً اتقاء له من تعرض الخوارج ، ووضع عليه قنديلاً من الفيروزج المرصـع بالجواهر النفيسة . وعظم شأنها في القرن الرابع للهجرة النبوية لمـــا زارها عضد الدولة البويهي في جمادى الأولى من سنة ٣٧١ للهجرة (٩٨١) م وبذل أموالاً طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهـــد المشرف .

ثم انتقل اليها ارباب الصنائع والحرف وابتدأت تتقدم عمرانياً في القرن المذكور، فقصدها طلاب العلم والمعرفة، وأصبحت كعبة القصاد، ومنهل العلماء، وهي – اليوم – في العراق كالأزهر في مصر ؛ يخرج منها في كل سنة عدد كبير من دعاة الدين ورجال الفضل والعلم الغزير .

هواء صيفها حار يابس ، وفي الشتاء بارد قارس ، وعندما تشتد الحرارة في الصيف يلتجيء سكانها إلى سراديب منحوتة نحتاً بديعاً يبلغ متوسط عمق الواحد منها عشرين متراً . وقد يخرج بعضهم الى المزارع والبساتين التي تبعد عن المدينة ميلاً واحداً، أو إلى جسر الكوفة ؛ الذي يبعد عنها سبعة أميال طلباً لنقاوة الهواء . وقد أحصت الحكومة نفوسها أخيراً فكانوا ٤٦٠٦٤ نسمة .

شوارعها مستقيمة وفسيحة – الا البعض منها – وعمارتها جليلة ومرتفعة ، وأسواقها عريضة ومنتظمة ، ولا سيا السوق الكبير الذي يبتدىء من سور المدينة الشرقي وينتهي عند الصحن الشريف ، ولاستقامته فان الواقف على سور البلدة يرى داخل الحضرة الشريفة بكل سهولة .

وهي على بعد ٤٨ ميلاً من شرقي كربلاء ، وفيها من المدارس الحكومية ثلاث ، ومن الأهلية ثلاث ، ومن العلمية الروحية العدد الكبير ، ومن المساجد الشيء الكثير. وفي اكثر بيوتها مقابر خصوصية للعلماء وأهل الوجاهة والثراء .

والذي يؤسف له كثيراً بعد البلدة عن الفرات ، والماء ركن من اركان الحياة – بلا ريب . وقد حفرت للنجف ترع وجداول كثيرة لايصال الماء اليها غير ان ما يجري فيه منه لا يسد حاجة الأهلين فضلاً عن الزائرين في كل عام . فقد دلت الاحصاآت الرسمية على ان متوسط عدد الزائرين للنجف في المواسم المخصوصة يتجاوز نصف مليون نسمة .

وفي التاريـــخ اساطير كثيرة ، وروايات غريبة عن المساعي التي بذلها الايرانيون ورجال الثراء لإرواء سكان القرى تكاد تخرج عن المعقول .

واخيراً - اي في عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ربطت الكوفة بانابيب كانت أحسن وسيلة لتأمين هذه الغاية .

والبلدة محاطة بسور فخم تصدعت بعض قطع منه بعد ثورة ١٩٢٠ م .وكان لها أسوار عديده تهدمت فلم يبق غير سورها الحالي ، الذي شاده الصدر الاعظم نظام الدولة محمد حسين خان العلاف ، وزير فتح علي شاه (ال) قاجادي ، في عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م .

ولهذا السور أربعة ابواب تسمى بأسماء مختلفة ، فالذي يؤدي الى الكوفة يسمى الباب الكبير ، والذي الى جانبه - ومنه يخرج الناس الى كربلا - يدعى الباب الصغير أما المؤدي الى البركـة ومزارع النجف فيسمى باب الثلمـــة . ويسمى الباب الرابع باب الحويش - بالتصغير او باب اشتابية اي الطابية ، وقد وضع هذا السور على هيئة حربية تصد الهاجمين على النجف والواقف على مرتفع ينظر الى هذا السور يلمحه على هيئة أسد رابض يطوقه خندق وضع لهذه الغاية .

وللنجف أسماء ؛ منها : النجف ، والمشهد ، والغري ، وسميت بالنجف لأنها مرتفعـــة والنجف - لغةً - طف الوادي ، وحاشيته المرتفعة ، وسميت بالمشهد لأن فيها مرقد الامام علي بن ابي طالب - ع - ومشهده ، وهو لفظ العامة للروضة .

أما سبب تسميتها بالغري فحكاية تاريخية لطيفة ينقلها المؤرخون في كتبهم ويذكرها الحموي في معجمه (١) .

---

(١) لقد حذفنا هنا ما ذكره دليل المملكة العراقية عن ياقوت الحموي في اسباب تسمية النجف بالغري لورود القصة كاملة في بحث (النجف قديماً) من هذا الجزء حذراً من التكرار)

ج ٠ خ

وكانت هذه البقعة تعرف عند رجال البلدان بالذكوات البيض . والذكوات البيض هذه هي جبل الديك في محلة المشراق ، وجبل شريشفان في محلة العمارة ، وجبل باب الكبير ، وآخر رابع .

وهي تبعد عن الثوية بثلاثة كيلومترات. وقد اختصت الثوية بمقابر قريش ، ولكنها درست ولم يبق منها الا قبر كميل بن زياد ؛ أحد المشاهير من دعاة أهل البيت ... ويتوسط مدينة النجف الأشرف مشهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام . وهو وسط صحن عظيم مستطيل تتجلى فيه العظمة بأجلى مظاهرها ، كما تتجلى فيه بداعة الفن ، ونفاسة النقش ، وجمال الريازة .

ويتقوم من طبقتين يبلغ ارتفاعها زهاء ٣٥ متراً . ويبلغ طول هذا الصحن ٨٢ متراً ، وعرضه ٧٧ متراً . وفي كل ضلع من هذه الاضلاع ١٤ إيواناً ، وفي كل ايوان غرفة هي مقبرة احد المشاهير .

وفي الطبقة الثانية عدد من الأواوين والغرف بعدد الأواوين والغرف الموجودة في الطبقة السفلى .

والصحن على رحبه — مفروش بالرخام الابيض. وله خمسة أبواب . وجدرانه مغشاة بالآجر القاشاني الملون البديع . وعلى حواشي الجدران العليا تجد الآيات القرآنية مسطورة بأحرف عربية جميلة متداخلة تسر الناظرين اليها ، ويحيط بالصحن بهو واسع يظلله من جهة الغرب فقط ساباط مرتفع تتوسطه سماية مستديرة .

ويلي هذا الصحن من جهة الشرق ايوان واسع كبير ، يبلغ ارتفاعه قراب أربعين متراً ، كما يبلغ طوله ٤٥ متراً ، وهو مسقف ؛ سقفه مع جدرانه كلها مغشاة بقطع الذهب ، وفي ركنيه مئذنتان مرتفعتان مغشاتان بالذهب الإبريز — أيضاً — تؤثران في النفوس أثراً بليغاً ، وقد انفق على هذه التغشية السلطان نادرشاه وذلك في عام ١١٥٦ هـ — ١٧٤٣ م

ومن هذا الرواق الجزئي يدخل إلى الرواق الكلي المسقف ، وجدران هـذا الرواق الأخير مغشاة بقطع المرايا ذات الأشكال الهندسية البديعة والنخاريب المزوقة المختلفة .

ولهذا الرواق أربعة ابواب متقابلة ، بابان منها فضيان ، يدعى احـدهما الباب الكبير ، ويسمى الثاني باب المراد ، وبابان من خشب الساج ، أحدهما مغلق والآخر مفتوح يسميان باب الرحمة .

ويلي كل ما تقـدم - الحضرة المقدسة ؛ ذات الهيبة والجلال ، والروعة الكريمة ، واللآليء الثمينة . كما علقت فيها الثريات التي توقـد فيها الشموع طول الليل .

وجدران هذه الحضرة مغشاة بالفسيفساء اللطيفة ، والرخام الايتالي البديـع وقطع المرايا المختلفة الاشكال والحجوم ، والمصابيـح الكهربائية العديدة . كما ان ارضها مفروشة بالرخام الازرق اللطيف ، وفيها اربعة ابواب من الفضة ، وخامسة من البرنز .

ويتوسط هذه الحضرة - المرقد الغروي المطهر يحيط به مشبكان ؛ أحدهما من الفضة الناصعة البياض ، وهو الخارجي ، والآخر من الحديد الفولاذي ، وهو الداخلي .

وتعلو المشبك الأول كتابات من القرآن مـع ابيات من الشعر لابن ابي الحديـد . وفي كل ركن من اركانه الأربعة رمانة من الذهب الخالص ، يبلغ قطرها زهاء النصف متر .

وويتوسط المشبك الحديـدي الداخلي مصطبة من الخشب المرصع بالعاج والمنقوش عليه بعض الآيات القرآنية ، وتحتها المرقد الشريف .

وفوق الضريح قنديل معلق بسلسلة من الذهب الخالص ، مرصع بأثمن الأحجار اليتيمة . ومن جملتها ؛ ماسة يبالغ في ثمنها كثيراً (١)

وتعلو الحضرة قبة جسيمة مغشاة بالذهب الابريز ، ومرتفعة الى علو شاهق ، والظاهر أنها ارفع قباب آل البيت جميعاً ، وقد غشيت هذه القبة بالذهب في عام ١١٥٦ هـ وأنفق على تغشيتها السلطان نادرشاه .

---

(١) — في اوائل هذا القرن الميلادي — اغري لص من لصوص بغداد الاذكياء من قبل بعض التجار الاوروبيين الاجانب بمبلغ كبير ان هو استطاع ان يحتال ويستل هذه الماسة من الفانوس المعلق بسلسلة من اعلى سقف القبة الى وسط الضريح ، وجاء هذا اللص الى النجف ودرس وضع هذا الفانوس المعلق بالسلسلة وكانت تحيط بالقبة من فوق السطح عدة شبابيك كانت هي وحدها مصدر النور والضوء المشع في سماء القبة وهدته الحيلة الى ان يعد خيطاً غليظاً قوياً يربط رأسه بعدة سنارات من هذه السنارات التي يصطاد بها الأطفال والهواة السمك في الانهار حتى اذا اتيح له ان يصعد سطح القبة ويفتح احد الشبابيك بعد نصف الليل وحين يكون الحرم والصحن خاليين ألقى بخيطه هذا على السلسلة المدلاة ثم جذب الفانوس المعلق به اليه بواسطة السنارة وانتزع منه الماسة المذكورة ونزل ،

ورسم خطته هذه ودرسها من جميع وجوهها وظل عليه ان يحتال في الطريقة التي يستطيع فيها ان يصعد سطح القبة لينفذ هذه الخطة ثم ينزل ويختفي في احدى الزوايا حتى اذا فتحت ابواب الصحن عند الفجر اختلط بالناس وخرج من الصحن ولاذ بالفرار .

وهكذا كان فقد ظل يراقب باب السطح وينتظر ان يجد الفرصة التي تمكنه ان يختفي ليلاً في الصحن قبل ان تغلق الابواب حتى حانت تلك الفرصة وتم تنفيذ الخطة بكاملها وجذب اليه الفانوس عن طريق سحب السلسلة بالسنارة واخرج الماسة ولكن الوقت قد ضاق وجاء المؤذن وهو اول من يفتح له حراس الحرم الباب ليرقى المنارة عند بزوغ الفجر فالفى باب السطح مفتوحاً ونادى الخدام فهرعوا وصعدوا الى سطح الصحن وقبضوا على اللص وفي التحقيق معه من قبل الحكومة التركية اعترف وذكر اسماء بعض الوسطاء الذين أغروه .

منذ ذلك اليوم والسلسلة هذه مربوطة بعدة سلاسل من وسط القبة بحيث لا يستطيع احد ان يسحبها لو اراد ان يفعل ما فعل اللص الاول ، وقد بولغ في ثمن هذه الماسة وندرتها وروى الراوون عنها حكايات كثيرة .

ج٠ خ

وفي التاريخ النجفي ان عـدد القباب التي شيدت على قبر الأمير – عليه السلام – بلغ ثمان ، أولها قبة الرشيد – التي ألمعنا اليها في صدر هذا الفصل – وآخرها القبّة الحالية التي غشاها بالذهب نادر شاه في سنة ١١٥٦ هـ . (١)

الدليل العراقي الرسمي

لسنة ١٩٣٦

مرقد الامام علي بن ابي طالب – ع – وجامع هذا المرقد العظيم في النجف الأشرف ، والقادم إلى النجف يشاهد من مسافة بعيدة ـ القبة الذهبية الفخمة ، تناطح السماء علواً ، وفي ركنيها مئذنتين مرتفعتين مصفحتين بقطع الذهب ، وصحن جامـــع النجف كبير جداً ، وفخيم من حيث الهندسة ، والبناء ، والنقوش ، والمرصعات ، وللجامع خزانات وأقبية مترعـــة بتحف وطرف ثمينة محفوظة فيها تعد من أندر تحف العالم وأثمنها ، ولا تفتح هذه الكنوز إلا قليلاً (٢)

ومما يظهر للسائح جلياً هو كون النجف معهد علم وأدب ودراسة للأمة الاسلامية ، كجامع الأزهر في مصر ، فقد أخرجت من العلماء والجهابـــذة ما يعد بالألوف .

(١) – دليل المملكة العراقية ص ٩٥٠ – ٩٥٤

كان هذا فيما قبل سنة ١٩٣٥ اما اليوم فقد تميزت النجف تغييراً كلياً وتبدلت معالمها وزال السور وقلعت الابواب واتسعت رقعة النجف وحتى الصحن الشريف والضريح والرواق وكل ما مر من الارصاف في هذا الدليل عن النجف قد تبدل

ج . خ

(٢) – الدليل العراقي الرسمي ص ٦٨٨

وفيها عدد غير قليل من المدارس العلمية »:

كمدرسة الصدر ، ومدرسة الشيخ مهدي ، ومدرسة القوام ، والمدرسة السلمية ، ومدرسة الاير [و] اني ، ومدسة القزويني ، ومدرسة البادكوبي ، ومدرسة الهندي ، ومدرسة الشربياني ، ومدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي ، ومدرسة الآخوند ، ومدرسة البخاري ، ومدرسة السيد كاظم اليزدي . وغيرها في الصحن الأشرف كثير . واكثر هذه المدرس مبنية بشكل شرقي غريب صرفت عليها بدر الأموال حتى صارت كعبة القصاد من مختلف انحاء العالم » (١)

الجوامع والمساجد

جامع الانصاري ، مسجد بيت الأمير ، تكية البكتاشية ، جامع التُرك ، جامع الجواهري ، جامع حسينية السيد هاشم ، جامع حسينية الصحن ، مسجد الحنانة ، جامع الخضراء ، جامع الامام زين العابدين ، جامع الامام زين العابدين حوالي النجف ، مسجد الششترلية ، جامع الطريحي ، جامع الطوسي ، جامع ومرقد سيدنا علي بن ابي طالب ، جامع عمران ، جامع الغري ، جامع كاشف الغطاء ، جامع كميل ، جامع المهدي ، مسجد مقام المهدي ، جامع الهندي ، مرقد هود ومصالح .

الدليل الجغرافي العراقي

النجف ـ المدينة الرئيسية في اللواء [لواء كربلاء] بعد كربلاء ، وهي مقدسة ـ أيضاً ـ لوجود مشهد الإمام علي ـ ع ـ فيها :

---

(١) الدليل العراقي الرسمي ص ٦٨٩

نفوسها (٨٨٨٠٩) نسمات، تقــع على بعد ٧٥ كيلو متراً من كربلاء شرقاً .

كانت مصيفاً للمناذرة ملوك الحيرة و وبعد دفن الإمام علي (ع) فيها توسع عمرانها وانتقلت إليها الحركـة العلمية فنبــغ فيها عدد من العلماء والأدباء والشعراء وفيها اليوم مدرسة دينية كبرى ، يتخرج فيها عدد كبير من رجال العلم والدين (١) .

★★★

(١) الدليل الرسمي العراقي ص ١٦١

النجف

في المراجع الغربية

★

ترجمه وكتبه

جعفر الخياط

الحائز على درجة استاذ علوم M. SC. من جامعة كليفورنيا

ومدير التعليم الثانوي ، والمفتش الاختصاصي ، في وزارة التربية سابقاً

ومدير التعليم المهني العام حالاً

★

النجف في كتابات الغربيين

★

مقدمـــة

كانت النجف ولم تزل ، منذ أن قبرت في ترابها الذكي رفات الأمـــام أبي الحسن الطاهرة ، من المراكز الدينية المقدسة التي ترنو اليهـــا أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربهـــا ويقصدها الزوار من كل حـــدب وصوب . ولم يكن زوارها في كثير من الأحيان من المسلمين والشرقيين فقط ، وانما كان يزورهـــا بين حين وآخر أناس من غير المسلمين ممن كانت تدفعهم الى شد الرحـــال في البلاد والتطويح في الآفاق عوامل شتى منها : السياحة وحب الاستطلاع ، أو الدراسة والتتبع ، او المجازفة والتمرس بالأخطار ، او التجارة والمصالح المادية . على ان هذه المصالح والغـــايات كان لا بد من ان تتطور بمرور الزمن فتصبح باحتلال الانكليز للبلاد في أعقـــاب الحرب العالمية الأولى مصالح واغراضاً سياسية واقتصادية ، لأن السلطات المحتلة التي كانت تريد تثبيت أقدامها في العراق وجعله مرتبطاً بعجلة الأمبراطورية البريطانية المترامية الأطراف سرعان ما ارتطمت سفينتها بصخرة النجف الشماء للدور القيادي الذي ظلت تلعبه في العراق والعالم الاسلامي في مختلف العصور والأدوار . ويعزى هـــذا الدور الذي تضطلع به النجف بطبيعة الحال الى وجود العلماء الأعلام فيها وحرصهم الشديد على رعـــاية

المسلمين وخيرهم ، والى الوعي المتوثب الذي لم تنطفىء جذوتــه أو يخمد أواره مـــا بين سكان هذه العتبة المقدسة في كل عصر او زمن ، وفي شتى الظروف والأحوال .

ولذلك يلاحظ ان عدداً غـــير يسير من الغربيين الذين زاروا النجف ، أو مروا بها ، او الذين تصدوا للكتابة عن تاريخ المسلمين ومعالجة شؤونهم ، قـــد تطرقوا الى ذكرها بالقليـــل او الكثير او عالجوا شؤونها بشيء غير يسير من البحث والتفصيل . وسأحاول في بحثي هذا أن اجمع ما يتيسر لي العثور عليـه فيما كتبه الغربيون عنها مقتبساً ، بطبيعة الحال ، ما يجمع بين الطرافة والفائدة التاريخية في الغالب .

النجف قبل سنة ١٥٠٠ م

وعلى هذا فأن أقدم ذكر للنجف في كتابات الغربيين يرد في عدد من الكتب الانكليزية المعروفة التي تستند في معظم ما تورده على المراجع العربية في الأعم الأغلب . ومن أهم هذه الكتب كتاب (شيعة الهند) لمؤلفه الدكتور جون هوليستر (١) . فهو يذكر خلال بحثه عن الاسماعيلية وأئمتهم ان الأمام الحسين ابن أحمد بن عبدالله المستور (او المكتوم) كان مقره السري في السلمية بالقرب من دمشق ، وقد زار في سنة ٢٩٦ للهجرة قبر الامام علي عليه السلام في النجف الأشرف . وهنـــاك اتصل بأبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب أحد الشيعة الامامية المعروفين ، الذين كانوا على اتصال دائم بالأمام الحسن العسكري عليـه السلام. واتصل في النجف أيضاً بعلي بن الفضل فأقنعهما بالذهاب الى اليمن والعمل على نشر الدعوة الاسماعيلية فيها . ومن أهم الكتب كذلك كتاب (بلدان الخلافة

---

(1) The Shi'A of India — John Norman Hollister, London 1953

الشرقية) (١) الذي ألفه البحاثة المعروف كي لسترانج في ١٩٠٥ وأعيد طبعه في ١٩٣٠ . فهو يبدأ بالقول ان النجف فيها مشهد الامـــام علي الذي يقدسه الشيعة ، وانها ما تزال مدينة عامرة حتى اليوم . ويتطرق بعد هذا الى روايـة المستوفي المعروفة عن كيفية دفن الامـــام وإخفاء القبر عن الأمويين ، وعثور هارون الرشيد عليه حينما خرج للصيد في ظاهر الكوفة . ثم يشير الى روايـــة ابن حوقل عن الأمير الحمداني أبي الهيجاء الذي حكم الموصل في سنة ٩٠٤، ويورد قول المستوفي عنه بـأنه « ابتنى على القبر قبة » عظيمة مرتفعـة الأركان من كل جانب لها ابواب، وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر السامانيه، وجعل عليها حصاراً منيعاً » . ويضيف الى ذلك ما ذكره المستوفي من ان عضد الدولة البويهي قد شيد الضريح في سنة ٩٧٧ ، وقامت حوله من بعد ذلك بلدة صغيرة يبلغ محيطها ٢٥٠٠ خطوة . ثم يورد مـــا ذكره ابن الأثير من خبر دفن عضد الدولة فيها تنفيذاً لما جاء في وصيته ، ودفن ابنيه شرف الدولة وبهاء الدولة من بعده كذلك .. وهو يقول ايضاً ان ملكشاه السلجوقي قد زار المشهد مع وزيره نظام الملك في ١٠٨٦ ، وان السلطان غازان الايلخاني بنى فيـــه مبنى خاصاً للسادة سمي « دار السيادة » ، وشيد فيه تكية خاصه للصوفية « خانقـاه » . ويورد لسترانج بالاضافة الى ذلك وصف ابن بطوطة لمدينة النجف التي زارها في ١٣٢٦ م فأعجب بها واعتبرها « مدينة حسنة » .

على أنه من الملاحظ ان المستر (ريتشارد كوك (٢)) صاحب كتاب (بغداد مدينة السلام) يذكر ان البويهيين الذين خلفوا معز الدولة كانوا أقـل ميلاً الى الشيعة ومنهم عضد الدولة الذي ذهب في ذلـك الى حد فرض الجزيـة عليهم

---

(1) The Lands of Eastern Khaliphate — G. Le Strange, Cambridge University Press, London 1930

وقد ترجمه الاستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس وطبع على نفقة المجمع العلمي العراقي ببغداد

(2) Richard Coke — Baghdad The City of Peace, London 1935

ومساواتهم بغير المسلمين في ذلك. ويقول كذلك انه عمد الى اضطهاد أغنى شيعي من شيعة بغداد في ايامـه ، وهو ابو القاسم محمد الذي كان دخـله السنوي يقدر بمليون ونصف المليون من الدراهم . فقد غرمه في يوم من الأيام مليون دينـــار ذهب ، وغرمه من بعده البويهيون الآخرون مثل هذه المبالغ أيضاً .

ويستند كاتب البحث الموجز عن النجف في (دائرة المعارف الاسلامية) (١) على النبذة التي كتبها (لسترنج) ، فيورد الروايات والاقتباسات نفسها . ثم يرد ذكر النجف في كتاب (تاريخ ايران) الذي كتبه السر بيرسي سايكس (٢) بالانكليزية ، ولا سيما في الجزء الثاني منه . فقد جاء فيــه ان الأيلخان الكبير غازان خان حينما انتقل الى دار البقــاء سنة ١٣١٥ خلفــه في الحكم أخوه محمد خدابنده الملقب بلقب « أولجايتو » . وكان السلطان محمد أحد أخوة ثلاثـة ولدوا لأرغون خان من زوجته المسيحية ، وقد أنشأته أمـه على ديانتها وسمته نقولا بعد ان أجرت له مراسيم التعميد المعتادة . لكنه اعتنق الديانة الاسلامية حينما تقدم به العمر بتأثير من زوجته ، وأصبح محباً للمناقشات الدينية التي صار يعقد مجالس كثيرة من اجلها . وقد أسمعه أعداء الدين الحنيف في يوم من الايام ان الاسلام يبيح للمسلم التزوج بأمه او اخته او ابنته فارتمدت فرائصه، وصدق ما قيل له حينما هبّت من بعد ذلك بالصدفة عاصفة رعدية شديدة قتل فيها عدد من رجال حاشيته وحسب حدوثها دليـلاً على غضب السماء عليـه لأنه اعتنق الديانة الاسلامية . ثم أخذت تحدثـه نفسه بترك الاسلام والعودة الى التمسك بديانة المغول القديمة ، لكنه قصد النجف الاشرف في تلك الأثناء لزيارة الضريح المطهر فيها ، فحلم في احدى الليالي حلماً اطمأنت به نفسه وقرر اعتناق المذهب الجعفري على أثره .

---

(1) Encyclopedia of Islam — Kramers & Gible
(2) Sir Percy Sykes — A History of Persia, Mc Millan, London 1953 2 Vols

ومما يذكره (سايكس) عن السلطان خدابنده أيضاً انه انشأ في سنة ١٣٠٥ م مدينة السلطانية على بعد مئة ميل من غرب قزوين ، فكانت أهم مدينة مهدها الايلخانيون المغول في ايران وغيرها . وقد كان في نيته ان يحقق بذلك مشروعاً ظل يحوم في مخيلته ردحاً من الزمن ، وهو مشروع نقل رفات الامامين علي والحسين عليهما السلام من النجف وكربلا الى المدينة الجديدة هذه . ولذلك أنشأ فيها عتبة محكمة البناء بشكل مثمّن تقوم فوق كل زاوية من زواياه مئذنة رشيقة عالية ، وتحيط هذه المآذن كلها بقبة ضخمة جميلة يبلغ طول قطرها اربعة وثمانين قدماً . غير ان أمنيته لم تتحقق بطبيعة الحال وأصبح المرقد المذكور مدفناً فخماً له بعد ان توفي في سنة ١٣١٦ . ومما يذكر من الحوادث التي جرت في ايامه ما يورده ريتشارد كوك في (بغداد مدينة السلام (١) من ان السيد تاج الدين محمد نقيب بغداد يومذاك اتهمه السادة فيها بتهم خطيرة ، منها تهم اخلاقية شائنة وتهمة بقتل عدة أشخاص معروفين وجمع اموال وفيرة تقدر بثلاث مئة الف قطعة ذهب بطرق غير مشروعة . وقد سلم على أثر ذلك الى اهل النجف الأشرف لمعاقبته والاقتصاص منه ، فأخذوه الى شاطىء الفرات وظلوا يضربونه حتى قضى غير مأسوف عليه .

وما دمنا في بحث الايلخانيين لا بد من ان نورد هنا ما يذكره المستر كوك كذلك عن مشروع يختص بايصال الماء الى ما يقرب من النجف . فهو يقول(٢) ان الطاغية هولاكو حينما مات في ٨ شباط ١٢٦٥ م خلفه في الحكم ابنه أباقا (جد اولجياتو الاعلى) فأقر في حكم بغداد المؤرخ علاء الدين شقيق رشيد الدين وزير هولاكو ومؤلف كتاب (جامع التواريخ) المشهور . وفي ايام علاء الدين هذا انتعشت الحالة في بغداد والعراق اجمع ، وحفر نهر جديد يستمد

(١) الص ١٦٦ — (٢) الص ١٥٧

ماءه من الفرات ويمر بالكوفة والنجف على حد قوله . ويعتقد المستر كوك ان هذا النهر هو الفرع الغربي الحالي نفسه .

ويتكرر ذكر النجف مرات عديدة اخرى في كتاب (شيعة الهند) ، في معرض البحث عن اهتمام الملوك المنتمين الى الأسر الشيعية الحاكمة ، التي حكمت الدكن ، وكشمير ، وأوده ، برجال الدين والعتبات المقدسة وبذلهم السخي من اجل ذلك . فمما ورد في هـذا الشأن ان فيروز وأحمد الاول من ملوك المملكة البهمنية في الدكن كانا ميالين جد الميل الى العنـاية بالسادة ورجال الدين الذين كانوا يردون عليهما من النجف وكربلا ، وان الامير احمد أوقف على عهد اخيه فيروز (١٣٩٧) مقاطعة خانه بور وما جاورهـا على تعمير العتبتين المقدستين المذكورتين وصيانتهما الدائمة .

وقد ورد في الكتاب نفسه عن يوسف عـادل شاه مؤسس المملكة العادل شاهية في بيجابور سنة ١٤٨٩ انه مرض في احدى حملاته العسكرية التي كان يجردها لتوطيد حكمه في المملكة ، وحينما شفي من مرضه بعث بمبلغ ستين الف روبية ليوزع على السادة ورجال الدين في النجف وكربلا والمدينة . والمعروف عن يوسف عـادل شاه انه حينما استتب له الامر في بيجابور ، عقد اجتماعاً حافلاً شعبياً ذات يوم وأعلن فيـه تمسكه بالمذهب الجعفري – الاثنى عشري على ملأ من الناس . وطلب الى رجال الدين وأشراف البلد من امثـال المرزا جهانكير وحيدر بك والسيد أحمد الهروي ، وهم من رجال الشيعة المعروفين هناك ، ان يعملوا على نشر هذه العقيدة لأنه نذر ان يفعل ذلـك بعد ان رأى النبي الكريم (ص) في المنـام فأمره بذلك . ثم ارتقى المنبر بأمر منه سيد من سادات النجف يدعى نقيب خـان فأذن في الناس ، وأدخل في ضمن الاذان الشهادة بأن « علياً ولي الله »، وقرأ الخطبة باسم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. فكان اول عاهل هندي يجرأ على اجراء المراسيم الدينية هذه بصورة علنية .

النجف في أوائل القرن السادس عشر

وفي سنة ١٥٠٧ استولى الشاه اسماعيل الصفوي على بغداد فأصبح العراق معظمه خاضعاً لايران . ويشير المستر ستيفن لونكريك (١) في كتابه (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) الى ان دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد جاء بالشاه مسرعاً لزيارة العتبات المقدسة في الفرات ، فزار النجف وأصلح نهراً من الأنهر بقربها فسماه باسمه. ولا شك انه يقصد بهذا ما كان يعرف يومذاك بنهر الشاه ، وهو النهر الذي أمر الشاه اسماعيل بحفره من الفرات وايصال مائه بقناة خاصة تمتد تحت سطح الارض الى النجف لارتفاع موقعها عن مستوى الفرات . ثم يضيف لونكريك قوله ان السنين المنحصرة ما بين زيارة الشاه اسماعيل ووفاته في ١٥٢٤ كانت تأثيرات العتبات المقدسة القوية خلالها تؤيد الحكم الجديد ، فتقاطر التجار الايرانيون على بغداد وجذب نفوذ الصفويين الديني حتى العشائر النهرية المتمردة اليهم (٢) .

وفي اواخر ١٥٣٤ استطاع السلطان سليمان القانوني ان يسترد العراق من الايرانيين ويعمل على اصلاح الاحوال فيه ، فزار كربلا والنجف قبل عودته الى استانبول . ويقول المستر لونكريك في هذا الشأن ان السلطان سليمان اهتم اهتماماً خاصاً بزيارة العتبات المقدسة في الفرات الاوسط ، وتقصّد ان يفعل فيها اكثر مما فعله الشاه الصفوي من الخيرات . ولذلك أصلح جدول الحسينية في كربلا ووسعه ، ثم زار قبر الامام علي في النجف ورجع الى بغداد . وهذه بلا شك الزيارة التي تقول بعض الروايات فيها ان رجلا من رجال حاشيته الكبار حينما شاهد القبة المباركة من بعيد ترجّل عن فرسه ، وحينما سأله السلطان عن

(1) Stephen H. Longrigg — Four Centuries of Modern Iraq, London 1925.
وقد ترجمه الى العربية كاتب هذه السطور وطبع عدة طبعات في بيروت وبغداد

(٢) الص ١٨ من الترجمة العربية ، ط ٢ بيروت

السبب أجابه بأنه ترجّل إجلالاً لخليفة من الخلفاء الراشدين الاربعة. فما كان من السلطان الا ان يترجل هو ايضاً بعد ان تردد في ذلك واستخار القرآن الكريم فاذا به يلاحظ في الصفحة التي فتحها الآية الكريمة (فاخلع نعليك انك في الوادي المقدس طوى) . وتروى هذه الرواية عن السلطان مراد كذلك حينما زار النجف الأشرف .

بدء اتصال النجف بالغرب

وحينما تطورت الاحوال في اوربه بعد ذلك ، واتسع نطاق النهضة الحديثة فيها ، بتأثير الكثير من العوامل والمؤثرات المعروفة في التاريخ اتجهت الانظار الى الشرق وراح البحارة البرتغاليون والتجار البنادقة يمخرون عباب البحار ويطوحون في البراري والقفار للوصول الى الهند وما حولها من البلاد . ولم ينته القرن السادس عشر للميلاد حتى أخذ عدد غير يسير من الاوروبيين ، ولا سيما البنادقة ، يتجهون الى هذه الجهات بقصد المتاجر والتبشير ويمرون بالعراق باعتباره جسراً ارضياً يربط الشرق بالغرب . وكانوا في طريقهم هذا ينزلون في خانات بغداد او « بابل » ، ويمرون بالنجف ، او يتلبثون في الزبير . وكانت النجف بحكم موقعها الكائن على حدود البادية ، ومركزها الديني والإجتماعي الفريد في بابه، تقع في طريق الكثير من القوافل التي تأتي من الغرب عن طريق حلب وتستهوي الكثير من المسافرين في تلك الايام فيمرون بها او يتوقفون فيها مدة الزمن. ويبدو مما جاء في كتابات عدد من الرحالة الاوروبيين يومذاك ان القوافل التي كانت تسير بين حلب وإصفهان كان بوسعها ان تسلك خمسة طرق عامة معروفة ، غير الطريقين اللذين كانا يمران بالأناضول فيربطان بين استانبول (او ازمير) وإصفهان (١) .

(1) The Six Voyages of Tavernier Through Turkey into Asia.
رحلة جان بابتيست تافيرنييه ، التي ترجم ما يخص العراق منها الاستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس .

وقد كان اول هـــذه الطرق يبدأ بحلب ، ويقع الى يسار المتجه في الاتجاه الشمالي الشرقي ، لكنه يمر بـديار بكر وتبريز . وكان الطريق الثاني يتجه من حلب الى الشرق رأساً فيحاذي بلاد ما بين النهرين ، ويمر بالموصل فهمذان . اما الطريق الثالث فقد كان ينحرف اكثر من ذلك نحو الجنوب ، ويجتاز بـادية صغيرة ثم يمر بعانه والنجف وبغـداد والبصرة . وكان الطريق الرابع يقـع الى يمين الذاهب الى الجنوب الشرقي فيمر بالنجف وبغداد ايضاً، وكان هناك طريق خاص يخترق البادية الكبيرة بطولها نحو البصرة ، وكانت القوافل التي تسلكه تمر بالنجف احياناً ، لكنه لم يكن يسلك الا مرة واحدة في السنة اي حينما كان يقطعه تجار تركية ومصر لشراء الإبل .

ولا شك ان هذه الطرق هي التي كان يسلكها الرحالون الغربيون الذين أخذ توارد‌هم على هذه الجهات يكثر بحلول القرن السابع عشر ، ولا سيا بعد أن ثبّت البرتغاليون أقدامهم الاستعمارية في الخليج بأنشائهم قلعة هرمز العظيمة في ١٥٩٧

الرحالة تكسيرا في النجف

ومن أشهر الرحالة الذين زاروا النجف في تلك السنين الخوالي الرحالـة البرتغالي بيدرو تكسيرا الذي كتب رحلته بالبرتغالية في وصف الخليج والبصرة والنجف وكربلا وبغداد وعانه . وقد ترجمت هذه الرحلة الى الانكليزية (١) وطبعت في لندن سنة ١٩٠٢ .

وكان تكسيرا قد وصل الى البصرة من الخليج في يوم ٦ آب ١٦٠٤ ، وبعد أن أقام فيها مـدة تناهز الشهر غادرها متوجهاً الى بغداد مع قافلة من القوافل عن طريق البادية وبعد أن غادر البصرة بسبعة أيام وصل الى موقع في البادية

---

(1) The Travels of Pedro Teixeira — Tr. by W. F. Sinclair & Ferguson,, London 1902.

يسمى « عيون السيد » ، وهو يقول أنهم وجدوا في هذا الموقع آثار بلدة قديمة كبيرة مع عدد من النخيل وبعض الشجيرات . وبعد أن تركت قافلته (عيون السيد) وتابعت السير ثلاثة أيام أخرى بانت لهم من بعيد بحيرة واسعة الأرجاء متكونة من ميـاه الفرات في وسط البادية ، ولا يخفى انها « بحر النجف » على حد تعبير الناس في يومنا هذا .

وبعد مسيرة يومين مرت في اثنائها القافلة بأماكن تتوفر فيها المياه الغزيرة وتمتد من حولها حقول الشعير والقمح والقطن والخضراوات كما يقول تكسيرا ، بانت لهم مدينة النجف من بعيد وكأنها تطل من موقعها العالي على بحر النجف نفسه . ثم وصلت القافلة الى مكان في رأس البحيرة ونزلت في موقـع مناسب يقرب منه ، فاستضافها هناك رجل يقال له الشيخ عـلاوي ، وقد أصبح صديقاً حميماً لتكسيرا على ما يظهر لانه يسميه « صديقي العظيم » . وفي هـذه المرحـلة يصف بحر النجف بقوله انه يستمد ماءه من الفرات ، ولذلك يلاحظ ازدياد مقاديره في مواسم الطغيان ، وليس لهذه البحيرة شكل معين لكنها تمتد بطولها حتى يبلغ محيطها خمسة وثلاثين الى أربعين فرسخاً . وهناك فيما يقرب من منتصفها ممر ضحل تستطيع الحيوانات اجتيازه خوضاً في المواسم التي يقل فيها ماء البحر ، ويقول كذلك ان هذه البحيرة كانت شديدة الملوحة ، ولذلك كان يستخرج منها الملح الذي يباع في بغداد والمناطق المجاورة ، ومع ملوحتها هذه كان يكثر فيها السمك بجحومه وأنواعه المختلفة ، ولهذا يسميها الناس هناك بحيرة الرهيمة .

وقد وصلت قافلة تكسيرا الى النجف مساء السبت ١٨ أيلول (٢٣ ربيع الثاني ١٠١٣) فقصـدت خاناً من الخانات الكبيرة التي كانت تشبه في شكلها ومنظرها العام الصوامع الموجودة في البلاد الاوربية على حد قوله . وبعد ان يأتي في رحلته على الجوانب التاريخية المعروفة للمكان وكيفية دفن الامام عليه

السلام في هذه البقعة يأخذ بوصف الروضه المقدسة وبنائها وزخرفتها ، لكنه لا يشير الى القباب والمآذن بشيء وانما يـــذكر ان البلدة كلها كانت تبدو فيها إمارات الخراب والاهمال بوضوح . فبعد ان كانت تحتوي على ستة آلاف الى سبعة آلاف دار مبنية بأتقان في الغالب أصبحت حينما زارها لا يزيد عـــدد بيوتها على الست مئـــة فقط . وقد علم من بعض الناس ان أهمالها والمحطاط شأنها كان قد حصل بعد وفاة الشاه طهماسب الصفوي (توفي في ١٥٧٦ م أو ٩٨٤ هـ) الذي كان يرعاها ويعنى بشأنها عناية كبيرة .

ويقول أيضاً ان البلدة كانت محاطة بسور امتدت اليه يد الأهمال كذلك ، فاصبحت تلاحظ فيه الثغرات في عدة أمكنة ، وقد كانت البلدة تستقي ماءها من الآبار كما هو معروف ، لكنه لم يكن عذباً يستسيغه الشارب ، ولذلك كان على الذين يريدون الماء العذب الفرات ان يأتوا به من جدول خاص كان السلطان سليم قد حفره لايصال الماء من الفرات الى البلدة بواسطته ، لكنه لم يصل الا الى مسافـــة عنها بالنظر لارتفاع موقعها . على ان (تكسيرا) يقول انهم لم يستطيعوا استساغة هذا الماء ايضاً حينما وصلوا اليه لأنه كان كدراً متعفناً . ويقول كذلك ان البلدة كانت بها حاجة ماسة الى الكثير من الأشياء المهمة كالخشب والأغنام والدجاج والحنطة والشعير والفاكهة والخضراوات ، ولذلك كان يؤتى بها من الخارج على الدوام . وعلى هـــذا كان طعام السكان معظمهم ينحصر في التمر والحليب وخبز الحنطـــة والشعير . ومع ان بحيرة النجف يتيسر فيها السمك فان سكان البلدة لم يكونوا يستفيدون منه الا بمقـــدار قليل .

ومما يذكره عن النجف في تلك الأيام أيضاً ان اهاليها ذوو سحنة بيضاء في الغالب ، وأنهم يحرمون الاختلاط بالنصارى واليهود . ويقول كذلك ان آثار الأسواق العامرة المبنية بالطابوق كانت ما تزال شاخصة للعيان ، وان الروضة

الحيدرية كان فيها الكثير من النفائس الثمينة ومنها ثلاث ثريات من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة . وكان عدد من الأمراء المسلمين والملوك قد أهدوها الى الحضرة المطهرة . وليس من المستبعد ان تكون معالم العمران في الاسواق وغيرها ، التي يشير اليها هذا الرحالة ، ناشئة عما كانت عليه حالة النجف في ١٣٢٥ م حينما زارها الرحالة المغربي المشهور ابن بطوطة فوجدها مكتظة بالسكان وعلى أحسن ما يكون عمراناً وازدهاراً ، ووجد أسواقها جميلة نظيفة . فقد كان فيها من جهة باب الحضرة الخارجية أسواق للعطارين والطباخين والقصابين والخياطين ، فضلاً عن « القيصرية » وأسواق العطور والفواكه .

ثم يتطرق (تكسيرا) في رحلته الى ذكر الحكم في البلاد ويقول ان النجف كانت تخضع في تلك الأيام الى الأتراك الذين كان يدفع لهم أميرها العربي شيئاً من الأتاوى . ولعله يقصد بذلك ناصر المهنا أمير جشعم الذي يقول عنه أنه كان يقيم بالقرب من كربلاء . ويذكر كذلك ان النجف كانت فيها حامية عسكرية قوامها خمسون جندياً من الأتراك ، وأن هؤلاء لم يكونوا موجودين في البلدة يوم زارها هو لأنهم كانوا قد سحبوا الى بغداد بسبب الحرب التي كانت ناشبة مع الايرانيين ، ولذلك كان السكان أحراراً فيما يفعلون ، حتى ان قسماً منهم كان يرتكب الكثير من أعمال العنف والتعدي على الناس من دون خوف أو حياء . ويلاحظ ان المستر لونكريك (١) يتطرق في كتابه الى ذلك الشيء نفسه عن نوع الحكم هذا . فهو يقول « .. غير ان قوات البادية التي يهمنا أمرها أكثر من هذا كانت لا تخرج عن كونها حلفين بدويين يمر من مناطقهما المسافرون من الخليج الى حلب بعدة مراحل من طريقهم . فكان المير ناصر

---

(١) أربعة قرون الص ٣٧ من الترجمة العربية ، ط ٢٠ ، ويؤيد هذا كذلك ريتشارد كوك في كتابه (بغداد مدينة السلام) الص ١٩٤

المهنّا في ١٦٠٤ (١٠١٣ هـ) « ملك » القسم الجنوبي الممتـــد من النجف الى الفلوجة . وكانت بلدة النجف ، ذات العصبية الدينية الدائمة ، التي أفقـــدها انقطاع الخيرات عنها منذ موت الشاه طهماسب ، معترفة بسلطة حاكم البادية هذا . وكانت كربلاء ، وهي اوسع واكثر حركة وليست بأقـــل من اختها تعصباً، مركز ديرته الخاصة. وكان يلاقي المسافرين ـ من بغداد الى الفلوجة، على بضعة أميال من العاصمة ـ وكلاؤه الذين يقبضون « الخاوة » له . وقد اعترف ناصر بولائه للسلطان . ومن المحتمل ان شيئاً من الهدايا التي كانت تقدم الى الباشا في بغداد بين حين وآخر كانت تذكره بوجود مثل هذا « العبد الحقير ». غير ان أوتوقراطيته في البادية ، وجمعه للخاوة ، والشدائـــد التي كان يصادفها المسافرون المارّون بـــديرته ، وإرهابه للزوار كانت تقص لنا قصة أخرى ، وكانت الحاميات التركية الصغيرة ترابط كالعادة في العتبات المقدسة ، غير ان مكثهم فيها لم يكن الا بسماح من الشيخ نفسه . »

تعليق على اقوال تكسيرا

وتعليقاً على ما يذكره الرحالة تكسيرا عن مشكلة ماء النجف وصعوبة الحصول عليه في تلك الأيام ، وعن الخراب الذي أصابها بسبب ذلك ، لا أرى بدأ من الاشارة هنا الى ان المرحوم يعقوب سركيس كان قد نشر في العـــدد الثاني من مجلة الاعتدال النجفية للسنة ١٩٣٧ عريضة قديمة كان والي بغـــداد سنان باشا جيغالزاده قد رفعها في أوائل القرن السادس عشر للميلاد الى السلطان مراد الثالث يذكر فيها له ما يقاسيه سكان النجف من قلة الماء الصالح للشرب وشرائها الحمل منه بخمس او ست بارات ، ويخبره بأن الكثيرين من النجفيين يومذاك قد اضطروا الى الجلاء عن بلدتهم المقدسة لهذا السبب . ويذكر الوالي في العريضة قوله « .. وبعد ان كان في النجف ثلاثة آلاف دار عامرة لم يبق

منها الا عشرها وشربه الماء الأجاج وأكله خبز الشعير ، مفضلا هذه الحالة على الجلاء. فليس في النجف الا الخطيب، والامام، والفراش ، والخدام ، والموظفون وقليل غيرهم . ومن اسباب الهجرة ان هذه القصبة بعيدة عما هو معمور ، وان الاعراب المجاورين لها عتاة ، وان سورها قديم أكثره قد تهدم فأصبح كل أحد بوسعه دخولها من حيث أراد . فلا أمن من دخول الأعراب اليها على حين غرة ، ومن غارتهم على القناديل الذهب والفضة وغيرها من التحف والنفائس .. ». وقد ناشد سنان باشا السلطان بان ينقذ النجف من محنتها بحفر نهر خاص لها كما أنقذ السلطان سليمان القانوني مدينة كربلا بحفره جدول الحسينية من قبل . وقد ذكر له بهذه المناسبة ان الخبراء والمهندسين بينوا له ان النهر يمكن حفره بسهولة ، وانه سيروي عدداً كبيراً من المزارع والحقول التي يمكن ان تنتج في ثلاث سنوات محصولاً يفيض على النفقات .

على ان تشبثات الباشا المذكور لم تكن مثمرة على ما يظهر لان مشكلة ماء النجف بقيت مستعصية الى سنة ١٦٨٢ . ومن جملة المستندات التاريخية التي تشير الى ذلك الحجّة الشرعية التي نشرها يعقوب سركيس في المقال المشار اليه آنفاً ، وهي مؤرخة بتاريخ ١١ شعبان ١٠٩٣هـ (١٦٨٢) م . فقد ورد فيها ما يلي : «اما بعد ... فقد حضر مجلس الشرع الخطير شيوخ النهر الشهير المسمى النهر الشاهي الآخذ من مراد (أي الفرات في التعبير التركي) وحضر سكان قصبة الامام علي كرم الله وجهه بأسرهم فقالوا بدون جبر ولا إكراه :

« كانت أراضي هذا النهر قد غدت بمثابة الموات بمرور الأيام والسنين لعدم عناية الحكام السالفين وقلة رغبتهم في امور الخير ، ولتسلط أهل البوادي على رعايا هذا النهر فأشرف على الخراب وتضرر أهله وكانوا على أهبة الهجرة . فقام والي بغداد ابراهيم باشا بتطهيره وحفره من صدره إلى مدينة الكوفة

والمسافة بينهما اثنتا عشرة ساعة فجاء بأهاليه النازحة عنه وأسكنهم محالّهم وقطع دابر أهل التعدي . وقد أنفق على ذلك أثني عشر ألف غرش وخمسة وأربعين غرشاً فنجّى قصبة رابع الخلفاء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من محنة الظمأ العظيمة ، وذلك بتقريب الماء اليهم فكانوا في رفاهية . وسكان قصبة الامام علي هم مشغولون صباحاً ومساء بالدعاء للسكان . »

شهود الحال : السيد عبد الرسول افندي متولي قصبة الامام علي ، السيد منصور أفندي بن السيد حسين كمّونة ، خطيب الجامع ملاحسين ، الكليدار ملا محمود بن ملا طاهر ، الشيخ ابراهيم بن فرج‌الله ، الحاج ابراهيم بن خيرالله ، الخادم ملاحسين أفندي ، المؤذن ملا علي رضا ، محمد جلبي بن علي جلبي ، السيد محمد كمال الدين ، ملا .. بن ملا علي ، ملا علي بن ملا محمود ، الخادم الحاج حسن ، السيد ابراهيم بن كمال الدين ، وغيرهم » ولم يذكرهم .

النجف بين الصفويين والعثمانيين

وفي ١٦١٩ استأثر بالسلطة في بغداد بكر الصوباشي وطردوا اليها يوسف باشا ، ثم أخذ يساوم البادشاه في الباب العالي على تعيينه والياً فيها . واتصل بالشاه في ايران فساومه على الشيء نفسه ليفك عنه الحصار الذي ضربته على بغداد الجيوش التركية . وسرعان ما التقت جيوش الدولتين على أبوابها ، وبعد كثير من المناورات السياسية والعسكرية وعدد من الوقائع استطاع الصفويون الاستيلاء على بغداد في ليلة ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٦٢٣ ، فعاد احتلالهم للعراق ، ووضعت الحاميات الايرانية في النجف وكربلا وغيرهما، من مدن الفرات الأوسط .

وفي خلال حكم الايرانيين للعراق هذا مر بالنجف وكربلا ، قادماً من

البصرة الى بغداد ، الرحالة البرتغالي ديلافاله (١) . وهو يقول ان النجف كانت في أيدي (القزل باش) أي الأيرانيين بعـد ان كانت في ايدي الاتراك الذين يحكمون بغداد ، وهو لا يذكر شيئاً في رحلته يمكن ان يدون عن النجف وانما يشير الى بحر النجف فيسميه (البحيرة الكلدانية) ، ويذكر انه مر مما يقرب من النجف في ٢٦ حزيران ١٦٢٥ فلم يجد للكوفة وجوداً . ويشير كذلك الى سيطرة المير ناصر المهنا على المدنيتين المقـدستين ، ويذكر ابناً له يسمى أبا طالب .

ولم يثن ذلك الاحتلال من عزم العثمانيين، فقد كان طموح البلاط العثماني ملحاً في استعادة بغداد منذ اللحظة التي أضيعت منهم على حد قول المستر لونكريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) . وعهد بتحقيق ذلك الى حافظ أحمد باشا الذي كان قد أشغل الصدارة العظمى من قبل . وحينما سارت الجيوش العثمانية الى العراق من جديد في ١٦٢٥ كان اول اصطدام لها مـع جيش الصفويين في موسم من مواسم زيارة النجف ومما يكتبه لونكريك في هذا الشأن قوله « ..وقضى الوزير الرئيس الصيف في المعسكر ، حيث وردت أنباء تفيد ان جند حامية بغـداد الايرانية رخص لهم في زيارة النجف بمناسبة احدى الزيارات الكبرى ، فظلت بغداد مفتقرة الى معظم المدافعين عنها وبناء على هذه الأخبار أرسل الياس باشا ، بحكربكي الأناضول ، مـع قوة خفيفة ليقطع طريق بغداد — النجف ويمنع المدافعين عن الرجوع . ففشلت المحاولة ، غير انه ممـا لا شك فيه ان ذلك العمل أضاف الى ضعف ثبات الايرانيين فى الفرات وطرد حاميتهم منه مدة من الزمن . »

وقد أعقبت ذلك وقائع واشتباكات كثيرة اشترك في بعضها الشاه عباس

---

(1) Suite des Fameux Voyages de Pietro della Valle (Paris 1663, 4 Vols).

بنفسه فـآلت الى فشل الحملة التركية في مهمتها من جديد . وكانت قد تخللت ذلك كله اتصالات عدة بين الفريقين المتناحرين للوصول الى حل نهائي للنزاع المرير ، فكانت النجف من أهم مواضيع البحث والمناقشة في هذه المفاوضات . فيذكر لونكريك عن المفاوضات النهائية قوله « .. وبعد مضي اسبوعين اقترح الشاه عوداً على بدء الدخول في مفاوضات فبعث حافظ أحمد رئيس مرافقيه وجماعة من الضباط الآخرين الى المعسكر الايراني ، ثم عادوا مع سفير الشاه فجدد الايراني ادعاءه ببغداد ، وفي جلسة متأخرة جلسوها قبل إبقاء بغداد على الترك اذا ما أعطي النجف في مكانها . فكان جواب الوزير العثماني « **ان كل حجر من النجف يعادل عنده الف انسان ، وما بغداد الا حماها** » ولم يجد بحث التوافق نفعاً في تقريب وجهات النظر .. » وهكـذا بقيت بغداد ، والعتبات المقدسة ، بأيدي الايرانيين حتى تسنى للسلطان مراد الرابع ان يفتحها بنفسه ويتقبل خضوعها في يوم عيد الميلاد من سنة ١٦٣٨ على حد قول المستر (لونكريك)

الرحالة الفرنسي تافيرنييه في النجف

وبعد عشرين يوماً من هذا التاريـخ كان الرحالة الفرنسي الشهير المسيو جان بابتيست تافيرنييه (١) نازلاً في منزل من منازل السفر في البادية يبعد عن حلب بمسافة عشرين يوماً ، في طريقه الى البصرة . وهناك علم من ثلاثة أعراب نزلوا في المنزل نفسه انهم كانوا قد أرسلوا الى حلب وغيرها من المدن بأخبار استيـلاء السلطان مراد على بغداد . وقد مر هذا الرحالة في اثناء رحلته هـذه بالنجف الأشرف ، وكان آخر منزل له في البادية قبل وصوله اليها موقعاً يعتقد انه (خان

(1) Jean Babtiste Tavernier.

العطشان) الذي يصفه وصفاً تفصيلياً طريفاً يشير فيه الى انه يبعد عن الفرات بمسافة تزيد على العشرين فرسخاً ، وهو يقول ان قافلته واصلت السير من هناك في اتجاه شمالي شرقي لمدة خمسة ايام وصلت بعـــدها الى « بلدة صغيرة كانت تدعى سابقاً الكوفة والآن تعرف بمشهد علي » (١) ، ولا شك انه يخلط بقوله هـــذا بين النجف والكوفة . وهو يذكر شيئاً عن الضريح المطهر ويقول بانه كانت تشاهد من حوله أربعة شمعدانات مضاءة ، وقناديل مدلاة من السقف ، من دون ان يشير الى كونه استطاع الدخول الى الحضرة أم لا ، وفيما عـــدا القناديل والشمعدانات التي كانت تضاء في الليل والنهار ، كان هناك قارئان يتلوان القرآن الكريم على الدوام .

ثم يتطرق الى ماء الشرب في البلدة فيقول انه ماء غير عذب يستقية الناس من آبار أربع موجودة فيها ، ويشير كذلك الى وجود قناة جافة يظن ان الشاه عباس الصفوي كان قد مدها من الفرات الى النجف ، والأصح في كثير من المراجع ان القناة المذكورة كان الشاه اسماعيل الصفوي قد أمر بحفرها في بادىء الأمر غير ان الشاه عباس أمر بتطهيرها ، ويقول المسيو تافيرنييه ايضاً ان الطعام كان شحيحاً في البلدة ، وانه لم يجد فيها غير شيء قليل من التمر والعنب واللوز مما كان يباع بأسعار عالية . ومما يذكره كذلك ان الزوار حينما كان يكثر وجودهم في مواسم الزيارات كان الشيخ يوزع عليهم عنـــد الحاجة الرز المطبوخ بالماء والملح ، والمضاف اليه شيء قليل من السمن .

ويشير تافيرنييه الى موضوع يتطرق اليه عدد غير يسير من المؤرخين الأجانب والرحالة الآخرين ، وهو موضوع منـــع الزوار الايرانيين من زيارة النجف

---

(١) العراق في القرن السابع عشر — كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، وهو ترجمة يختص بالعراق من رحلة تافيرنييه .

وغيرها من العتبات المقدسة في العراق من قبل الشاه عباس الصفوي . لأن الزوار كان لا بد لهم من ان يمروا ببغداد قبل الوصول الى النجف ، وهناك كان يترتب على كل منهم ان يدفع رسماً قدره ثمانية قروش . وكان هذا الرسم في نظر الشاه تحدياً وإهانة لرعيته وحكومته ، ولذلك عمد الى تعمير ضريح الامام الرضا عليه السلام في مشهد خراسان ليكتفي الايرانيون بزيارته وينصرفوا عن زيارة العتبات الاخرى ، وقد اقتدى به ملوك ايران الذين جاءوا من بعده أيضاً في كثير من الظروف والأحيان

ويقول السر بيرسي سايكس في (تاريخ ايران) (١) ان عبقرية الشاه عباس وبراعته قد ظهرت في اضطلاعه بمهمة توحيد القبائل والأقوام المختلفة التي كانت تسكن ايران . وقد فعل ذلك في الغالب عن طريق تشجيع فكرة أن مشهد الأمام الرضا هو في الحقيقة المركز القومي الذي يجب ان يقصده الزوار الأيرانيون ، وانه فخر العالم الشيعي ومحط آماله . وليقرن القول بالعمل كان يكثر الزيارة هو نفسه لهذه العتبة المقدسة . وقد قطع في إحدى زياراته المسافة الطويلة الممتدة بين إصفهان والمشهد (٨٠٠ ميل) مشياً على الأقدام .وكان يقوم بمهمة إسراج آلاف الشموع التي كانت تضيء الروضة المقدسة وتنظيفها . ومن بين الهدايا التي قدمها الشاه عباس هذا للمرقد الشريف قوسه الذي يحمل اسمه ، وهو هدية لا يقدرها الأيرانيون حق قدرها على ما يقول سايكس . وقد كان يزور النجف أيضاً ويتولى كنس الحضرة المطهرة التي تعود لجده الأكبر .

ويورد تافيرنييه كذلك ، في معرض وصفه الحالة في بغداد ، قوله «.. وتجارة المدينة رائجة ، ولكنها ليست بما كانت عليه في أيام ملك إيران . لأنه عندما استولى عليها الترك اغتالوا كثيراً من أثرياء التجار ، ومع ذلك فان الناس ما

---

(١) الص ١٨١ ، ج ٢

زالوا يتوافدون على بغداد من كل حدبٍ وصوب . ولا أدري أكان ذلك للتجارة أم للعبادة ، فان شيعة علي يعتقدون ان علياً عاش في بغداد . ان كل من يرغب في الحج الى مكة براً عليه ان يمر ببغداد ، وعلى كل حاج ان يدفع الى باشا بغداد أربعة قروش . » (١)

في أواسط القرن السابع عشر

ومما تذكره بعض المراجع الأجنبية ان السلطان مراد حينما تم له فتح بغداد كتب أماناً لسكان النجف على يد أحد قواده باشارة من الشيخ مدلج ، لأن الفتح كانت قد أعقبته في بغداد وما جاورها فوضوية غير يسيرة قتل خلالها مئات عديدة من الناس . ومدلج هذا هو الذي ورد ذكره في رحلة الاب (ياسيفيك(٢) الكبوشي) الفرنسي (الص ٢٣٩) حينما غادر حلب متوجهاً الى بغداد في ٢٨ حزيران ١٦٢٨ (٢٤ شوال ١٠٣٧) ، ويسميه فيها ملك العرب والمعروف ان هذا الامير العربي هو ابن أبي ريشة أمير البادية الذي ظل مسيطراً على نواحي بغداد والموصل ردحاً طويلاً من الزمن في تلك الأيام . هذا وقد ورد في بعض المخطوطات التركية ان السلطان مراد نفسه رحل من بغـــداد يوم الاثنين ١٨ رمضان ٩٤١ هـ لزيارة الأمامين علي والحسين عليهما السلام وبصحبته السرعسكر والباشوات والأغوات جميعهم (٣) .

وهناك رحّالة آخرون مرّوا في هذا العهد بالنجف في أثناء رحلتهم من حلب الى بغداد فايران ، من دون أن يذكروا شيئاً مهماً عنها في رحلاتهم . ومن هؤلاء (بيترو ديلا فاله) الرحالة الأيطالي الذي تزوج امرأة مسيحية من بغداد

---

(١) العراق في القرن السابع عشر

(2) Relation du voyage de perse par le Père Pacifique & Provins - Paris 1631

(٣) الص ٣٣٨ يعقوب سركيس ـ مباحث عراقية

(أشير اليه من قبل) ، والأب الكرملي الفرنسي فيليب (١٦٢٩) والمسيو تيفنو الذي تتضمن رحلته وصف شاهد عيان لاستيلاء السلطان مراد على بغداد في ١٦٣٨ .

ويرد ذكر النجف بعد هذا فيما كتبه (لونكريك) أيضاً في اثناء وصفه (لخاصكي محمد باشا) الذي انتهت مدة ولايته ببغداد في منتصف صيف١٦٥٩ (١٠٧٠ هـ) ، ولبعض الولاة الآخرين . فهويذكره بقوله : .. « وكان خاصكي محمد ، وهو المتدين من الطراز القديم، قد بعث بالذهب الى المدينة لتزيين القبة ، ثم أضاف منارة الى مشهد النجف ، وقوبل بثناء أعظم عندما هـدم كنيسة نصارى ليشيد في موقعها جامعاً . » وهو يقصد بذلك جامع الخاصكي المعروف اليوم ببغداد . وفي خريف ١٦٦٧ (١٠٧٨ هـ) جرد والي بغداد (قره مصطفى باشا) حملة كبيرة على البصرة لتأديب حسين باشا أفراسياب وارجاعها الىحظيرة الحكم العثماني . فكان سيره بطريق الفرات ، وحينما وصل الى الحلة تأخر فيها عن الجيش وتوجه منها الى النجف الأشرف لزياره الأمام عليه السلام مع البعض من امرائه وقادة جيشه ، ثم تابـع سيره فلحق بالجيش الزاحف . وفي أواسط عام ١٦٧١ (١٠٨٢ هـ)قصد الوالي (حسين باشا) السلحدار النجف ، وكربلاء لأداء الزيارة والترويح عن النفس ، ثم عاد الى بغداد بعد أيام قلائل . وكذلك فعل الوالي قبلان مصطفى باشا سنة ١٦٧٧ (شعبان ١٠٨٨ هـ) ، وقد اشتهر بولعه في زيارة الأئمة والأولياء وبتشييده لجامع القبلانية المعروف ببغداد .

ويقول (لونكريك) كذلك ان الاشهر الاولى من القرن الثامن عشرظهرت فيها عناصر جديـــدة للفوضى في العراق بحدوث فيضانات عظيمة في الفرات الأوسط والجنوبي ، لأن ذلك أدى الى انعزال البلدان والمراكز المهمة ومنجملتها النجف الأشرف . فاستغلت القبائل هذا الوضع وهب رؤساؤها للأفادة مما حدث. وكان أهم هؤلاء سلمان بن عباس شيخ الخزاعل الذي استولى على الرماحية

وكبشه ، وحسكه ، ومنطقة نهر الشاه ، ثم استولى على النجف كذلك . والمعروف في المراجع الاخرى ان الحكومة لم تستطع الوقوف في وجهه وتخليص العتبة المقدسة من شره حتى حينما عمدت الى سد نهر ذياب عن القبائل المنضوية تحت لوائه .

النجف ومسلمو الهند

ان مما يمكن ان يذكر هنا من كتابات الغربيين مما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالنجف الأشرف ، وسائر العتبات المقدسة ، ما يتطرق اليه بالتفصيل الدكتور جون هوليستر مؤلف كتاب (شيعة الهند) من البحث عن ظهور مملكة (أوده) الشيعية في شمال الهند ، وتوالي حكامهم وملوكهم على الحكم في لكناو. فقد استقامت هذه المملكة من سنة ١٧٢٢ (١١٣٥ هـ) الى ١٨٥٦ (١٢٧٣ هـ) حين عمد الانكليز الى تنحيتهم عن الحكم ، فكانت حلقة الوصل ما بين الامبراطورية المغولية ووضع الشيعة في الهند والباكستان في يومنا هذا .

ويأتي المؤلف في بحثه هذا على الأعمال التي قام بها كل واحد من نوابي هذه المملكة الذين ظلوا يعترفون بالتابعية الى الامبراطور المغولي في دلهي حتى تولى النواب غازي الدين حيدر فتتوج ملكاً في مملكة (أوده) يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٨١٩. ومما جاء في هذا الكتاب عن ملوك ونوابي (أوده) جميعهم تعلقهم بالمذهب الشيعي وصرفهم الباذخ على الطقوس ومظاهر العبادة، وعلى إقامة الشعائر الدينية ومساعدة السادة والعلماء . ويذكر المؤلف عن عساف الدولة مثلا (١٧٧٥) أنه كان مبذراً تام التبذير ، وانه كان يصرف على الشعائر والمراسيم في شهر محرم من كل سنة خمسة أو ستة لكات (١) من الروبيات . وكان يصرف ما يكاد يساوي

---

(١) واحدها اللك وهو ١٠ ملايين على ما جرى عليه اصطلاح المولدين ، على ما جاء في (المنجد) ويذهب البعض الآخر الى ان اللك يساوي ١٠٠ ألف في الحساب .

ج. خ.

هذا المبلغ في كل سنة أيضاً على تعمير المساجد والحسينيات (إمام باره) وتجهيزها ويذكر عن باهو بكم زوجة شجاع الدولة أنها بعثت تجلب شيئاً كافياً من تراب كربلاء والنجف ليفرش في قبرها حينما تدفن فيه ، وقد تم ذلك بالفعل وصرف على بناء هذا القبر مبلغ يناهز ثلاثة ألكاك من الروبيات ، وظل ألف رجل من القراء يقرأون القرآن الكريم حوله خلال الليل كله لعدة أيام . ويتطرق المؤلف كذلك الى ذكر الحسينيات الثلاث المشهورة في لكناو فيقول انها كلها تستحق الزيارة والمشاهدة ، وان كل واحدة منها تختلف عن الاخرى وتسمى أحداها «شاه نجف» لأن الملك غازي الدين حيدر بناها بحيث يكون الضريح الموجود فيها مشابهاً لضريح الأمام عليه السلام في النجف . ويشير الدكتور (هوليستر) كذلك الى مجالس التعزية التي تقام في محرم الحرام وغيره ويقول ان إقامة هذه المجالس قد تتجاوز مدتها الايام العشرة الاولى من هذا الشهر ، وان البعض من ملوك (أوده) ، مثل ناصر الدين (١٨٢٧) كانوا يقيمون هذه المجالس لمدة أربعين يوماً من كل سنة .

على ان أهم ما يذكر في كتاب (شيعة الهند) مما يختص ببحثنا هذا منشأ وقف (أوده) الذي توزع وارداته في كل سنة على مستحقيه في النجف وكربلاء . فيقول المؤلف ان ملوك (أوده) كانوا قد وضعوا للاستثمار في قروض حكومية مبلغاً يقدر بثلاثة ملايين ونصف المليون باون استرليني ، ليصرف على أفراد أسرهم ومتعلقيهم . وظل نسل هؤلاء يتقاضون ربح ذلك المبلغ بالنسبة الأصلية بحيث يبلغ مجموعه في كل سنة شيئاً يزيد على اربعة عشر لكاً من الروبيات . وقد كان البعض من مستحقي هذا الوقف متعودين على توزيع بعض المبالغ في العتبات المقدسة الموجودة في مكة والمدينة وكربلاء والنجف الأشرف ، ونظراً لان قسماً منهم لم يخلف وريثاً أو وصية خاصة في هذا الشأن فقد ظل مايستحقونه يبعث كله الى العتبات المذكورة .

وتورد المس (غير ترودبيل) سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني ببغداد ، في

تقريرها (١) عن الادارة المدنية في العراق أيام الاحتلال البريطاني (١٩١٤ — ١٩٢٠) ، تفصيلات اخرى في هذا الموضوع . فهي تقول انهم قد تعرفوا بالنجف وكربلاء ومركز زعمائها الروحانيين قبل الحرب بمدة طويلة لان الحكومة الهندية في ١٨٤٩ كانت لها علاقة بهاتين المدينتين فيما يختص بوقف (أوده) فقد كان (غازي الدين حيدر) ملك أوده . قد أوقف مبلغاً قدره (١٢١,٠٠٠) روبية في السنة لتصرف صدقات الى مستحقيها في المدينتين المقدستين . فوجدت حكومة الهند ، التي ورثت مسؤوليات ، شركة الهند الشرقية ، نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف . وكان توزيع هذا المبلغ في كل سنة يثير عدة مشاكل ، لكنه انتظم في ١٩١٠ باجراء ترتيبات خاصة اصبح التوزيع فيها يجري عن طريق لجنتين خيريتين ، واحدة منها في كل من النجف وكربلاء ، وتتألف كل منها من مجتهدين وأناس محترمين آخرين ، بعد ان يحول المقيم البريطاني في بغداد المبلغ لها رأساً .

على ان السر أرنولد ويلسن يورد في كتابه (٢) (بين النهرين ١٩١٧ — ١٩٢٠) ، الذي ستأتي الاشارة اليه بالتفصيل في مواضيع قادمة ، عن هذا الموضوع رواية اخرى تختلف عن الروايتين المذكورتين في أعلاه . فهو يقول ان الانكليز ما ان دخلوا بغداد في آذار ١٩١٧ حتى لُفت نظر السر بيرسي كوكس من جهات ذات تأثير ونفوذ في النجف وكربلاء الى ان واردات وقف (أوده) لم توزع منذ ان أعلنت الحرب العامة ، وطُلب منه ان يتخذ الاجراءات العاجلة ليستأنف تحويل المبالغ التي كانت تحول في أثناء السلم عن طريق القنصل

---

(1) Review of the Civil Administration of Mesopotamia, 1920.

وهو محتوى الكتاب المترجم باسم (فصول من تاريخ العراق القريب) الذي نشره كاتب هذه السطور ، ١٩٤٩

(٢) الص ٨٩

العام البريطاني في بغداد . وكان منشأ هذا الوقف ان اللورد (أمهزست) ، حاكم الهند العام ، كان قد استقرض مبلغاً جسيماً من ملك (أوده) بمناسبة الضائقة المالية التي حصلت بنشوب الحرب في بورما سنة ١٨٢٥ . وكان القرض بقيمة عشرة ملايين روبية ، لكن ملك (أوده) قد اشترط بدلاً من تسديده اليه ان تقوم حكومة الهند بصرف الربح المستحق علية الى الأبد ، بنسبة ٥٪ على جهات خاصة منها بعض الناس والطبقات في النجف وكربلاء . وقدحصلت بعد ذلك تعقيدات كثيرة بسبب غموض الوقفية والشروط المدرجة فيها وخشي الاتراك من ان تتخذ مدفوعات هـذا الوقف لاغراض تخريبية تتجاوز حدود الوقفية .

ثم نشأت صعوبات اخرى في كيفية توزيع هذه المبالغ التي كانت تثير الضغائن والأحقاد في كثير من الاحيان . على ان واجب اتخاذ ترتيبات مناسبة وقع على عاتق النواب محمد حسين خان في الغالب ، فبرهن في هذا الشأن على كونه رجلاً حكيماً كثير التعاون مع الموظفين لاداريين المتعاقبين ، ودبّر توزيع هذه الهبات بأقل مايمكن من الاحتكاك والتصادم .

النجف بين نادر شاه والعثمانيين

وحينما ظهر اسم (نادر قلي خان) أو نادر شاه فيما بعد ، على مسرح الحوادث الجارية في العراق وإيران في أواسط القرن الثامن عشر ، صار اسم النجف الأشرف يتردد في كل فرصة أو مناسبة. فقد اصطدم مع الدولة العثمانية ما بين سنتي ١٧٣١ و ١٧٤٦ اصطدامات متكررة عنيفة ، وحاصر بغـــداد والموصل حصارات طويلة مخيفـــة ، ونازل الجيوش التركية على أسوار بغداد والموصل وفي ميادين القتال الأناضولية والعراقية الأخرى وكان يعقب تلك الاصطدامات والحروب كلها مفاوضات ومطاليب كانت تدور معظمها حول الحدود المشتركة بين البلدين

من جهة ، وحول الاستيلاء على النجف وكربلاء والاعتراف بالمذهب الجعفري مذهباً خامساً من جهة اخرى . وتوجد تفصيلات هـذه الحوادث في كتابي السر بيرسي سايكس عن تاريخ إيران ، والمستر لونكريك عن تاريخ العراق الحديث ، المار ذكرهما ، وكتاب الدكتور لوكهارت (١) عن حياة نادر شاه نفسه .

وأهم ما حدث من المطاليب والمفاوضات في هذا الشأن ما حـــدث على أثر انتصاره في معركة (بغاوند) بالقرب من قارص ، وقضائه على (عبـد الله باشا كوبريلي) وجيشه فيقول (لونكريك) في هذا الشأن .. «فتحرك الى ارضروم ، وسار السفراء فوق العادة بين الفريقين ، فاشتط نادر بمطاليبه وطلب الدية زيادة على معاهدة بغداد السابقة ، ولذلك لم يتوصل الطرفان الى نتيجة ما مدة أشهر عديدة ... وقد أوضح في الاحتفال الذي أجري لذلك اصلاحاته المهمة التي أشار اليها من قبل في كتاباته الى البلاط التركي . فأعلن تمسك الشيعة بالعقائد الدينية الأصلية وانضمامهم اليها باسم المذهب الخامس وهو المذهب الجعفري . وقد كان يرمي بذلك الى تسهيل معاملاته مع تركية وإيجاد أهمية لاسرته السنية ، ثم تم توحيد العناصر التركمانية والكردية والافغانية الـــتي في جيشه ليعادل بها العناصر الشيعية التي فيه وما زالت مقيمة على ميلها الى الصفويين . » وكان ذلك في سنة ١٧٣٦

وحينما عاد نادر شاه مرة أخرى الى العراق وحاصر الموصل في ١٧٤٣ لم يستطع الاستيلاء عليها بعد ان قصفها وحاصرها مدة تناهز الأربعين يوماً ولذلك اضطر لعقد الصلح مع واليها (الحاج حسين باشا الجليلي) بشروط خفيفة ، والى ان يعود الى بغداد فيديم محاصرته لها ، ثم توجه من هناك الى النجف الأشرف لأداء واجب الزيارة وطلب منها الى والي بغداد (أحمد باشا) الذي كان واقفاً

(1) Lokhart L. — Nadir Shah, London 1938

في وجهــه طوال هذه المدة ، أن يبعث اليه بوفد من العلماء السنة للبحث في قضية التوفيق بين الفريقين المسلمين . فندب اليه (الشيخ عبد الله السويدي) وذهب الى النجف وجرت فيها مناظرات ومناقشات في عـدة جلسات ترأسها الشاه نفسه . ويقول (لونكريك) (١) ان المناقشات الطويلة مع العلماء في النجف لم تثمر شيئاً . وفي الأخير اضطر الشاه وقد انتبه لاستفحال السخط والفتنة في بلاده وللاستعدادات التركية في الشمال ، الى عبور الحدود والرجوع من دون ان يضرب ضربة ما أو يوقـّع على شيء من العهود . وتقول بعض المراجع الاخرى ، ومنها الدكتور لوكهارت في كتابه عن نادر شاه ، ان محضر المناظرات قـد حفظت نسخة فارسية منه في خزانة الأمام عليه السلام في النجف .

ثم جرت حروب اخرى بين الشاه والاتراك في أرمينية وأذربايجان ، فأحرز انتصاراً جديداً عليهم في صيف ١٧٤٥ (١١٥٨ هـ) ويذكر (لونكريك) في هذا الشأن أنه أعقب هذا الانتصار بشروط صلح لا تطاق. فقد طلب الاعتراف بالمذهب الجعفري ، وتسليم (وان) وكردستان والعراق بأجمعه وفي ضمنه العتبات الأقدسة . ثم تنازل عن قسم من ذلك، لكنه أصرّ على المطالبة بالنجف وكربلاء.

وكان نادر شاه قد بعث في ١٧٤٠ (١١٥٣ هـ) بهدايا نفيسة الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء ، والى مرقد الامام الاعظم في بغـداد . وقد أمر بتذهيب القبة والأيوان ، والمآذن ، في النجف سنة ١٧٤٢ ، ولم ينته العمل فيها الا في ١٧٤٣ ، وهي السنة التي عقدت المناظرة فيهـا ــ المناظرة بين العلماء ــ ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان الترجمة الفرنسية (المطبوعة سنة ١٧٨٠) لرحلة الرحالة الالمـاني (نيبور) فيها حاشية تنص على انه ورد في (جهانكشاي نادري) لمحمد مهدي خان المنقول الى الالمانية بان الشاه أنفق

(١) الص ١٤٤ من الترجمة العربية ، ط ٢

مبالغ طائلة على تغليف القبة بالذهب . وان السورقد أمرت بترميمه الامبراطورة (كوهر شاه بكم) فأنفق عليه مبلغ يناهزالمئة الف نادري، أو ما يساوي حوالي ستين الف وست مئة « أيكو » ألماني . وأنها أهدت مبخرة مرصّعة بالاحجار الكريمة ، وإناءً من الذهب الخالص ليحرق فيه البخور في الروضة المقدسة(١) .

على انني لا بد لي من ان اذكر هنا إتماماً للبحث حقيقة موقف نادر شاه من جميع ما تفاوض به مع الاتراك عن النجف والمذهب الجعفري وما أشبه . إذ يظهر مما يذكره (سايكس) في كتابه عن تاريخ إيران ، والنبـذة الاخيرة المقتبسة من (لونكريك) في البحث ، ان نادر شاه لم يكن مخلصاً في إنفاقه على الروضة الحيدرية والعناية بها ، ولا في الدعوة الى اعتراف السنة بالمذهب الجعفري ، وإنما اتخذ ذلك وسيلة لتثبيت عرشه ومركزه في إيران الشيعية بعد ان اغتصبه من الصفويين . ويذهب سايكس (٢) الى أبعد من هذا فيقول انه حينما طلب اليه ان يقبل العرش الأيراني (بعد ان خلع آخر الملوك الصفوية)سنة ١٧٣٦ (١١٤٨ هـ) اشترط في قبوله إياه على القادة والوجوه ، بعد ان رفض الطلب عدة مرات ، ان تبادر الامة الايرانية الى نبذ العقيدة الشيعية التي أدخلها مؤسس الدولة الصفوية الى ايران وتعود الى العقيدة السنية . ويذكر كذلك ان المجتهد الاكبر الذي كان حاضراً في حفلة التتويج نهض محتجاً في الحال ، وأشار عليه بان يحصر جهوده في شؤون الحـكم وغيرها من الشؤون الدنيوية ، لكن موته المفاجيء أخرس المعارضة التي كان يمكن ان تصدر من زملائه . وي تلتج سايكس من ذلك ان التبديل المطلوب في العقيدة قد صودق عليـــه في ذلك الجمع الحافل بصورة رسمية فقط ولأجل ان يجعل نادر شاه هذا التبديل الجديد للعقيدة شيئاً مستساغاً أعلن عن عزمه على ان يضيف الى المذاهب السنية الأربعة

(١) الص ٣٣٢ ، مباحث عراقية ليعقوب سركيس – (٢) الص ٢٥٤ ، ج ٢

مذهباً خامساً هو المذهب الجعفري نفسه . وقد كان يؤمل من ذلك بطبيعة الحال أن ينسى الأيرانيون ما قامت به الاسرة الصفوية المالكة من اعمال . وربما كانت تداعب أطماعه كذلك أحلام السيطرة على العالم الاسلامي وتوحيده في امبراطورية إسلامية واحدة تضم في حظيرتها الممتلكات العثمانية كلها أيضاً .

يضاف الى ذلك ما نجده فيما كتبه سايكس في مناسبة اخرى (١) من ان نادر شاه وافق في المفاوضات التي اعقبت انتصاره على كوبريللي باشا في بغاوند على التخلي عن مطالبته بالاعتراف بالمذهب الجديد ، وعقد الصلح بالشروط التي كان قد تم الاتفاق عليها بين الدولتين في أيام السلطان مراد من قبل .

ويضيف الى ذلك كله ما يكاد يكون غريباً جد الغرابة . فهو يقول (٢) في أثناء تحليله لشخصية نادر بانه لما كان قد نشأ سنياً في عقيدته فقد أظهر عداء شديداً لرجال الدين الشيعة ، وصادر الأموال الطائلة التي كانت ترد اليهم . وقد حاول توحيد المسلمين بالغاء المذهب الجعفري لكنه فشل فشلاً ذريعاً في مسعاه. ثم راح يحلم بابتداع ديانة جديدة ، ومن أجل هذا أمر بأن يترجم له توراة اليهود وانجيل المسيحيين (العهد الجديد) .

وفي ربيع ١٧٦٤ تربع على دست الحكم في ولاية بغداد الوالي عمر باشا بعد ان اشترك في مؤامرة قتل فيها سلفه علي باشا الذي كان مملوكاً من أصل فارسي . وفي أيام هذا الباشا ساءت العلاقة مع ايران التي كان على رأسها الوصي كريم خان زند ، وازدادت التعرضات بالزوار الأيرانيون وفرضت الرسوم الفادحة عليهم ، حتى انقطع سيل الزوار على النجف وغيرها من العتبات . وفي هذا الشأن يقول (لونكريك) (٣) « .. غير ان أسباب الاحتكاك والتصادم كانت تعمل طي الخفاء . فقد أثارت منذ سنين خلت حفيظة الأيرانيين المعاملات القاسية

---

(١) الص ٢٦٩ – (٢) الص ٢٦٩ - (٣) الص ١٦٧ ، ط ٢

التي كان يعامل بها زوار العتبات المقدسة في الفرات .. وكانت العتبات نفسها قد وصلت أخطار السفر فيها آلى الأوج بالتعديات المزعجة والتكاليف الجشعة التي كانت تفرض على الزوار . » فكانت هذه من أهم الأسباب التي أدت الى التصادم بين البلدين المتجاورين ، لأن كريم خان جرد في الأخير حملة قوية على البصرة في ١٧٧٥ بقيادة أخيه صادق خان بعد ان بعث يهدد عمر باشا باحتلال العراق ويطالب برأسه ثمناً لتعدياته المتكررة على زوار النجف وسائر العتبات على حد قول السر بيرسي .

مشاهدات الرحالة نيبور في النجف

على أن أهم ما يرد ذكر النجف فيه من كتابات الغربيين خلال تلك السنين ما كتبه الرحالة الالماني الشهير كارستن نيبور في رحلته (١) التي كتبها على أثر تجواله في البلاد العربية وسائر انحاء الامبراطورية العثمانية آنذاك . فقد جاء الى العراق عن طريق الخليج سنة ١٧٦٥ ، بمناسبة اشتراكه في بعثة استكشافية علمية جهزها فردريك ملك الدانيمارك وبعث بها الى هذه الجهات . وقد وصل البصرة في خريف تلك السنة ، وتوجه منها الى الحلة في احدى السفن الصغيرة بالطريق النهرية . غير انه ما وصل (لملوم) ، التي كان يقيم فيها شيخ الخزاعل حتى ارتأى ان يترك السفينة ويسلك الطريق التي تذهب من لملوم الى النجف الاشرف مارة (بالرماحية) وبعد مسيرة سبع ساعات ونصف على ظهور الخيل وصل (نيبور) وجماعته الى (الرماحية) التي يقول عنها انها بلدة تحتل رقعة كبيرة من الارض ، وتضم في داخل أسوارها العالية المبنية باللبن ما يقرب من اربع مئة بيت . وقد شاهد فيها جامعاً يؤمه الناس للصلوة ، وحماماً عاماً بحال

(1) C. Neibur — Voyage en Arabie et en d'autres pays circonvoisins (Amesterdam 1776)

جيدة جداً، وللبرهنة على ازدهار الحالة الاقتصادية فيها يشير الى ان شيخ الخزاعل كان يتقاضى رسوماً كمركية طفيفة على البضائع التي كانت ترد اليها .

وقد توجه من الرماحية الى النجف ، التي يطلق اسم « مشهد علي » عليها لا غيره في يوم ٢٢ كانون الأول فوصل اليه مع خادمه وأحد (الملالي) بعد مسيرة سبع ساعات على ظهور الخيـــل ، خلال حقول ومزارع معمورة . ويذكر في رحلته أنه صادف في طريقه ما بين الرماحية والنجف أربع جنائز تنقل للدفن في وادي السلام ، وهو يورد بالمناسبة احصاء عن عدد الجنائز التي كانت تصل اليها من مختلف الأنحاء ، فيقول إنه كان يتجاوز الألفين في السنة أي بمعدل سبع جنائز في اليوم الواحـد . ويضيف الى ذلك قوله ان الذين كانوا يريدون الدفن بالقرب من الروضة المقدسة كان عليهم أن يدفعوا مبالغ كبيرة من المال ، وان الذين يدفعون مبالغ معتدلة كان يسمح لهم بالدفن في داخل أسوار البلدة . أما الذين كانوا يدفعون مبالغ زهيدة فقد كانوا يدفنون موتاهم في خارج السور ، وهؤلاء كان يتراوح مـــا يدفعونه عن الجنازة الواحدة بين أربعة وثمانيـــة «ستوفرات». وكانت ستون ستوفر تعادل «تالير» ألماني واحد ، والتالير يساوي ثلاثة ماركات .

وبعد أن يأتي (نيبور) على ذكر الروضة والجامع وتعلق الشيعة المنتشرين في البلاد الاسلامية كلها بهذه البقعة المقدسة ، يقول انها تقع في منطقة مجدبـة لا يتيسر فيها الماء بسهولة . ثم يشير الى ان الماء الذي كان الناس يحتاجونـــه للطبخ والاغتسال كانوا يستقونه من قنوات خاصة تمتد في باطن الأرض ، لكن الماء الصالح للشرب كان يؤتى به محملاً على ظهور الحمير من مسافة ثلاث ساعات. ومما يذكره عن عمران البلدة ان جهة من جهاتها يكثر فيها الكلس ، الذي كان يحرق للحصول على مادة البناء منه ، وان الخشب كان يندر وجوده ويرتفع ثمنه

فيها . ولذلك كانت البيوت تشيد كلها بالطابوق والجص وتعقد سقوفها على شكل قبب وعقود ، فتكون متينة البنيان عادة . ويشير كذلك الى وجود منطقة منخفضة متسعة الأرجاء في خارج البلدة ، يكسوها الملح ، كان يسميها الناس « بحر النجف » وهو الاسم الحالي نفسه بطبيعة الحال .

ومما يتطرق اليه نيبور عن طبقات السكان قوله ان بعض سكانها كانوا من أهل السنّة ، وإن العلاقة بين أهل السنة والشيعة في النجف وكربلا كانت علاقة حسنة الى حد غير يسير . على انه يقول من جهة أخرى ان الشيعة كان لا بد لهم من ان يلتزموا جانب الهدوء لئلا يغضب عليهم الباشا في بغداد فيعمد الى منع الزوار الإيرانيين من زيارة العتبات المقدسة ، أو يفرض أتاوى باهظة عليهم . ويقدر (نيبور) عدد الزوار الذين كانوا يقصدون العتبتين المقدستين في المشهدين يومذاك بحوالي خمسة آلاف زائر في السنة . ومع ان العدد يبدو قليلاً للقارىء في يومنا هذا ، فانه غير بعيد عن الحقيقة بالنسبة لظروف السفر الشاقة وغيرها في تلك الأيام الخالية . ومما يذكره (نيبور) في هذا الشأن كذلك ان الزيارة ليس لها أيام معيّنة كما هي الحالة في الحج الى مكة المكرمة ، ومع هذا فان الشيعة يعتقدون بأن دعاءهم تزداد الاستجابة له في أوقات وايام خاصة . ولذلك فهم يؤدون الزيارة في أيام رمضان المبارك ، والعاشر من محرم الحرام ، والسابع والعشرين من رجب ، وغير ذلك .

ولم يفت (نيبور) ، وهو الرجل العالم المدقق ، ان يرسم مخططاً خاصاً لمشهد علي كما يسميه يشير فيه الى معالم البلدة المهمة وشكلها العام فهو يشير قبل كل شيء الى أنها كانت في تلك الأيام محاطة بسور غير عامر يمكن الدخول الى البلدة من عدة فجوات فيه ، وان هذا السور كان فيه بابان كبيران هما « باب المشهد » و « باب النهر » وباب ثالث يسمى « باب الشام » لكنه يقول ان الباب الأخير كانت قد سدت فتحته بجدار خاص من دون ان يذكر السبب في ذلك . ويضيف

الى هذا قوله ان الشكل الخارجي للبلدة يشبه شكل مدينة القدس ، وان سمتها تقارب سمة القدس أيضاً .

ويقول كذلك ان النجف كان فيها، عدا الجامع الكبير المشيد حول الضريح المطهر ، ثلاثة جوامع صغيرة أخرى . وقد عمد (نيبور) الى تخطيط رسم خارجي عام للجامع الكبير ، كما يسميه ، وهو يذكر ان سقفه قد صرفت مبالغ طائلة على تزيينه وطليه بالذهب بحيث لا يمكن ان يوجد مبنى آخر في العالم أجمع يضاهيه بكلفة تسقيفه الباهظة . ولا شك انه يقصد بذلك القبة العظمى المذهبة التي يقول ان نادرشاه الطاغية قد أنفق تلك المبالغ عليها ليكفر بها عن الأعمال الشريرة التي ارتكبها في إيران . فقد بلغت كلفة لوحة النحاس المربعة بالذهب مبلغاً يزيد تومان ذهب واحد (عشر تاليرات ألمانية) . وهو يشيد كذلك بالمنظر الأخاذ الذي يبين للناظر الى القبة المذهبة ، ولا سيا حينما تسقط أشعة الشمس عليها، او حينما تبين للرائي من بعد ستة أميال ألمانية على حد قوله . ومما يذكره بالمناسبة ان القبة كان يعلو قمتها « كف علي » بدلاً من الهلال الذي كان يشاهد فوق القباب الموجودة في الجوامع التركية عادة .

ويستمر في وصف المظاهر الخارجية فيقول ان الجامع الكبير هذا كان محاطاً بساحة واسعة يقام فيها السوق كل يوم . وكان هناك بين يدي الباب الكبرى شمعدان كبير جداً يحمل عدداً كبيراً من الأضواء . وقد كانت تطل على هذه الساحة من جميع الجهات بيوت السادة والخدم التابعين للحضرة المطهرة ، الذين كان يتجاوز عددهم المئة على ما قيل له .

اما بالنسبة لداخلية الحضرة وزينة جدرانها وسقوفها فهو يقول انه لم يستطع التقرب كثيراً من الجامع والدنو منه بحيث يشاهد شيئاً منها بنفسه . لأنه كان

يخشى ان يجبر ، لو فعل ذلك ، على اعتناق الاسلام جرياً على العادة التي كانت متبعة مع غير المسلمين في هذا الشأن ، ولم يكن يرغب ان يكلفه حب الاستطلاع مثل هذا الثمن الغالي على حد قوله . على انه يذكران (الملاّ) رفيقه في السفر ، وعدداً من شيعة النجف ، قد أكدوا له ان الحضرة كان فيها أشياء ثمينة جـــداً ينبهر بها الناظرون . فقد كان هناك عدا القبة المذهبة والآيات القرآنية المطعمة بالميناء وكتابات كثيرة مكتوبة بحروف من ذهب ، وعدد غـــير قليل من (الشمعدانات) الفضية والشمعدانات الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة . ويشير ما خاصة إلى بصورة قيل له عن خنجر من الطراز الهندي كان معلقاً في شبـــاك الضريح المطهر ،فأنه كان مرصعاً بأحجار كريمة نادرة لاتقدر بثمن .وقد قيل له ان أحد أسلاف (أورنكزيب) أمبراطور المغول في الهند كان قد أهداه على سبيل التبرك قبل بضع مئات من السنين .لكن الملاحظ في التاريخ ان أورنك زيب (وهو شاه جهان) نفسه تولى الحكم في ١٦٥٩ وتوفي في ١٧٠٧ ،وان امبراطورية المغول قد أسسها (بابر شاه) في الهند سنة ١٥٢٩ . ولم يغفل نيبور عـن الأشارة في رحلته الى انه كان من المعتاد في كل سنة ان يوفد والي بغداد رجلاً من كبار ضباطه الى النجف الأشرف للتحقق من وجود هذه الأعلاق النفيسة والتحف الثمينة التي كان يؤتمن عليها الكليدار ، ويسأل عنها الباشا الوالي كذلك .

نيبور في الكوفة

ويظهر من رحلة نيبور انه كان قد قصد الكوفة أيضاً وزار معالمهـــا خلال مدة وجوده في النجف . فانه يشير الى أهمية الكوفة القديمة في تاريخ الاسلام ، ويقول انها كانت خالية من السكان تقريباً حينما زارها . وقد شاهد في طريقه اليها مجرى كري سعده الجاف ، الذي يعتقد انه (اليالاكوباس) الذي حفره سكان العراق الأقدمون . لكن الذي لفت نظره بطبيعة الحال مسجد الكوفة لذي قتل فيه الأمام عليه السلام . وهو يقول ان هذا الجامع الكبير لم يبق منه

شيء يذكر سوى الجدران ، وبعض المعالم المشهورة ، وقد عمد الى رسم مخطط خاص له نشره في الرحلة وأشار فيه الى الاسماء كما استقاها من الدليل النجفي الذي كان بصحبته .

ومن المواقع التي يشير اليها في الجامع باب الفيل ، والسفينة ، (والسقاخانه) والموقع الذي كان الأمامان الحسن والحسين عليهما السلام يصليان فيه ، والمحراب الذي كان يصلي أزاءه الأمام موسى الكاظم عليه السلام . كما يشير الى الاعمدة الدالة على مقامات الأنبيـــاء عيسى وموسى وابراهيم الخليل ، والموضع الذي من عادة الأمام السجاد عليه السلام ان يصلي فيه ، والمـــكان الذي شيد فيه نوح أول بيت له بعد مغادرته السفينة على ما يُعتقد ، ومقـــام الأمام الصادق عليه السلام ، وضريحي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة . وقـــد علم نيبور من الكتابة التي كانت منقوشة على البناء المشيد فوق قبري مسلم بن عقيل وهاني ان (محمداً بن محمود الرازي) و (أبا المحاسن بن أحمد التبريزي) همـــا اللذان شيداه سنة ٦٨١ للهجرة .

ومما يذكره أيضاً ان السيدة عادلة خاتون بنت أحمد باشا الحـــاج حسن باشا ، وزوجة الوالي سليمان باشا أبي ليلة ، وكانت قـــد توفيت قبل وصول (نيبور) ببضع سنوات فقط ، هي التي شيدت جدران مسجد الكوفة من ناحية الشمال الغربي ، وهي التي أنشأت على حسابهـــا الخاص بناية صغيرة ذات قبة قرب الجامع تخليداً لذكرى النبي نوح عليه السلام . وقدزار (نيبور) جامع السهلة أيضاً ؛ وهو يقول ان الدليل قص عليه قصة تختص بالجامـــع لم يفهم شيئاً منها .

وقد غادر (نيبور) النجف في يوم ٢٥ كانون الأول ١٧٦٥ متوجهـــاً الى الكفل بعدان بقي فيها ثلاثة أيام . وآخر مايذكره في هذا الشأن ان (مشهد علي) لم

يصل اليه أي أوربي قبله هو . ولا شك انه مخطىء في قوله هذا لأن الرحلات المطبوعة تشير الى ان عدداً من الرحالين الأوربيين قد زاروا النجف قبله أومرّوا بها ، وأهمهم تكسيرا البرتغالي ٦ آب (١٦٠٤) و (بيترو ديلافاله) الأيطالي (١٦١٩) وتافيرنييه الفرنسي (١٦٣٩) . لكنه في الحقيقة كان أحسن من كتب عنها ، وان المعلومات التي أوردها كانت أوسع مما كتبه غيره كما يلاحظ مما أوردناه في هذا البحث .

هجمات الوهابيين

وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر انتشرت الدعوة الوهابية في نجد وما جاورها من الأصقاع المتاخمة للعراق ، وصار الوهابيون بما عرف عنهم من عنف وتعصب يهاجمون المناطق المطلة على البادية من هذه البلاد بين حين وآخر خلال مدة طويلة من الزمن . وكان نصيب النجف وكربلاء ، بحكم موقعهما القريب من البادية وصبغتها الدينية المعروفة وما فيها من قبب ونفائس ، شيئاً غير يسير من هجماتهم المدمرة وغزواتهم الصاعقة العنيفة .

وكان أعنف ماشنه الوهابيون من غزوات على العراق الغزوة التي هاجموا فيها مدينة كربلا في يوم الغدير من سنه ١٢١٦ للهجرة ، المصادف لليوم الثاني من نيسان ١٠٨١ حينما كان معظم سكانها يؤدون الزيارة في النجف . ويقول المستر (لونكريك) في هذا الشأن ان وصول الكهية المتأخر الى كربلا لم يجدها نفعاً ولكنه قصد النجف بعد ذلك ونقل ما كان في خزينتها من نفائس وتحف الى بغداد خوفاً من ان يعود الوهابيون اليها فينهبوها كما فعلوا في غزوتهم لكربلا ، والكهية المقصود في هذه الرواية هو علي باشا كهية والي بغداد المملوك سليمان باشا الكبير . وتقول مراجع أخرى ان الوالي أمر بنقل النفائس التي كانت موجودة في خزانة النجف الى خزانة الامام موسى الكاظم عليه السلام ، وعهد

بذلك الى الحاج محمد سعيد بك الدفتري . وأمر كذلك بتعزيز حامية النجف فأبقيت فيها ثلة من عسكر الموصل وشرذمة من المقيليين .

وبعد هذا الحادث بسنتين أي في ١٨٠٣ م (١٢١٨ هـ) ، هاجم الوهابيون النجف ، وشنوا عليها غزوة عنيفة . ويقول المستر لونكريك في هذا الشأن ان الغزو الوهابي للنجف في الأيام الأخيرة من تلك السنة كان بقوة أشد من القوى الاعتيادية ، وان قبة علي بن أبي طالب بقيت ثابتة الأركان في داخل سورها المنيع . وحينما خفت اليها قوات علي باشا الكهية عاد الغزاة من حيث أتوا واختفوا عن الانظار . والمعروف في المراجع النجفية الموثوقه ان الوهابيين حينما وصلوا الى البلدة وجدوا أبواب السور مغلقة ، ومن بقي فيها من السكان قد تهيأوا للدفاع عنها حتى النفس الاخير . وقد تولى هذا الدفاع والاشراف عليه سماحة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١) بنفسه ، واشترك فيه عدد من العلماء والاعلام وغيرهم .


سور النجف القديم

وفي ربيع ١٨٠٦ هاجم الوهابيون العراق من عدة جهات من جملتها النجف كذلك . ومما يذكر لونكريك بهذه المناسبة ان جماعاتهم الغازية ظلت تغزو قرى الحدود من الطف ولكن من غير ان تنال نجاحاً في غزواتهم . وكان سكان البلدان من الزبير الى السماوة مع حلفائهم من القبائل يصدون هجماتهم بسهولة . وقد أوشكوا ان ينجحوا في غارتهم المفاجئة على النجف الاشرف لولا أن عاجلهم النجفيون من السور فكسروهم شر كسرة (٢). ويؤيد ذلك ما جاء في (تاريخ العراق بين احتلالين) من ان سعوداً سار بجيشه الى المشهد وأحاط بها ثم أمر رجاله بتسوّر السور

---

(١) الص ٣٢٧ ماضي النجف وحاضرها ، ط ٢

(٢) الص ٢١٨ من الترجمة العربية ، ط ٢

ومهاجمة البلد . لكن وجود الخندق العميق حوله حال دون نجاحهم في ذلك . وقد جرت مناوشات عنيفة وقتال بين الطرفين ورمي الوهابيون من السور وأبراجه فقتل عدد غير يسير منهم فردوا على أعقابهم (١) .

وقد كانت الهجمات الوهابية المتكررة على النجف هذه واستدامة الخطر

(١) ومما ورد على ألسنة الشيوخ وتداولته الألسن : انه حينما ضيق الوهابيون الحصار على النجف وانقطع بذلك طريق تموين البلدة بالطعام واقتصر شرب الماء على الابار المالحة وضاق بالناس الحال أفتى العلماء هناك بالجهاد ، ودعوا الناس الى الاجتماع في الصحن الشريف وهناك تليت عليهم فتوى الجهاد التي توجب على كل مسلم مستطيع ان يقوم بقسطه من الدفاع عن المدينة المقدسة وساكنيها خصوصاً بعد أن يئس الناس من وصول الجيوش العثمانية لنجدة المدينة ، وقد صنف المجاهدون الى أصناف،صنف يتقدم الجموع المهاجمة وهم حملة البنادق والذين يجيدون رمي الحجارة بالمقاليع، وصنف يتولى محافظة هؤلاء المهاجمين بنفس السلاح،وصنف يناط به حفظ أسوار المدينة وأبوابها وتسهيل عودة المهاجمين اذا ما اقتضى انهزامهم، وصنف عليه تموين المحاربين بالحجارة الصالحة، ولم تكن البنادق يومذاك معروفة الا نادراً والحرب كانت حرب سيوف ورماح في الغالب وكانت في النجف بندقية هي بين المدفع والبندقية وصفاً ، وكانوا قد نصبوها فوق نقطة معينة من السور وكانوا يحشونها بالبارود والخرق وكرات الحديد والحصى ثم يولعون الفتيل بطريق قدح الزناد فتقذف هذه البندقية بمقذوفاتها في مسافة ربما لا تتجاوز المائتي متر وتسبب سخرية الوهابيين وضحكهم أكثر مما تسبب خوفهم .

وبعد ان تم تصنيف المجاهدين من قبل الزعماء من اولي الخبرة بالحرب تقرر ان يفتحوا باب المدينة بعد منتصف الليل من الليلة التالية وعلى غفلة من الوهابيين الرابضين فيحملون عليهم حملة رجل واحد في جنح الظلام وهكذا كان،وكانت الليلة من الليالي الحالكة وكانت مفاجأة غير منتظرة اشاعت الذعر في الابل البارکة فهبت من مراحها لا تدري اين تولي وجهها ، وتساقط الرصاص والحجار كالمطر على البدو النائمين المطمئنين فاذا ببعضهم يضرب بعضاً واذا بعدد كبير من الوهابيين يسقط قتيلاً وجريحاً . وحين عاد المهاجمون عادوا ومع الكثير منهم أشياء من الأواني والأعمدة والرماح والسيوف ، لقد عادوا وأغلقوا أبواب المدينة من جديد خلفهم ، وحين طلع النهار رأى الوهابيون ان الحصار لم يعد نافعاً خصوصاً وقد مرت عليهم أيام طوال عادت عليهم بكثير من خسارة النفوس سواء في أثناء محاولتهم تسلق السور أو من هذا الهجوم المفاجيء الذي تجاوز حدود القتلى والجرحى فيه الحد المعقول على ما روى الرواة وهذا العدد الكبير من الاصابات الواقعة على الجمال فارتحلوا عن البلدة في صباح تلك الليلة ، ومنذ ذلك اليوم والنجف تعنى عناية خاصة بتدريب أبنائها على رمي الحجارة بالمقاليع ولم تمح هذه الرياضة الا مؤخراً .

ج. خ.

الناجم عنها ، سبباً مهماً من الاسباب التي أدت الى انتظام سكانهـا في جماعات وأحزاب تستهدف تنظيم الدفاع عن البلدة والعمل على صد الخطر الوهابي عنها . وكانت اهم هذه الجماعات جماعتي الزكرت والشمرت المعروفتين . وقد تطورت الاحوال بين هاتين الجماعتين بمرور الزمن واشتد النزاع بينهما زمناً طويلاً . والى ذلك يشير (لونكريك) أشارة مختصرة يفهم منها ان هذا النزاع العريق في القدم قد اشتد في أيام الوالي سعيد باشا (١٨١٥) حتى انقلب الى عراك علني. وتطور الى أكثر من هذا بعد ذلك حتى تحدى فيه عباس الحداد رئيس الزكرت الحكومة ، وظلم الناس واعتدى عليهم ، فاضطر داود باشا في السنة الثانية من حكمه (١٨١٨ أو ١٢٣٤) الى تجريد قوة خاصة لتأديبه . ويقول صاحب دوحة الوزراء (١) ان صالح أغا الاندروني انتدب لهذا العمل وكلف بأن يأتي بعباس الحداد حياً ، غير انه تعذر عليه ذلك فقتله في معركة جرت بينه وبين الجيش التركي وقتل صاحبه (دبيس) معه ، ثم جيء برأسيهما الى بغداد فانتهت الفتنة بين الزكرت والشمرت . ويؤيد ذلك في مذكراته التي كتبها بالفرنسية تاجر أرمني من أهالي استانبول كان مقيماً ببغداد آنذاك يدعى أوانيس مراديان (٢) .

النجف في ١٨٢٤ — ١٨٥٢

وفي سنة ١٨٢٤ (١٢٤٠ هـ) مر المسيو فونتانييه (٣) ، نائب القنصل الفرنسي في البصرة يومذاك ، ببغداد وزار واليها داود باشا . وقد كتب في وصفها ما يشير به الى النجف كذلك ؛ فهو يقول « .. إن بغداد وقد مررت بها في ١٨٢٤ لم تكن بغداد الموصوفة في الف ليلة وليلة وإنما لها طابعها الشرقي ، فانها اصبحت مجمعاً للمسلمين نظراً لوجود ضريح الأمام علي على مسافة منها ، ولا شك ان وجوده

(١) الص ٢٨٩ من الترجمة العربية عن التركية .

(٢) ذكر نص اليوميات يعقوب سر كيس في « مباحث عراقية » ج ٢ .

(3) V. Fontanier - Voyage dans L'Inde et le Golfe Persique.

يدعو شيعته الى زيارته والقدوم اليه .. ويقال ان مئة الف اجنبي يمرون سنوياً بمدينته (أي ببغداد) للذهاب الى زيارة ضريح الامام علي . وهـذا الازدحام يجعل من أية نقطة في البر وسطاً تجارياً كبيراً » ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة هنا الى السائح الفرنسي أدريين دوبريه كان قد مر ببغداد أيضاً في ١٨٠٧ وأقام فيها مدة من الزمن فوصف أشياء كثيرة فيها بالتفصيل . وكان من جملة ما أشار اليه قوله ان عدد الزوار الذين كانوا يمرون ببغداد سنوياً في طريقهم الى الزيارة في النجف وكربلاء كان يتراوح بين خمسة عشر الف وعشرين الف نسمة ، وكان مرورهم من بغداد بهذا الشكل يؤثر على تجارتها ومصنوعاتها بطبيعة الحال (١) . غير ان هذه الاحوال لا بد من أن تكون قد تبدلت حينما داهم بغداد والعراق الأوسط والجنوبي بأجمعه الطاعون الكبير في ١٨٣١ ، فدمرها وقضى على معالم الحياة فيها. فتسنى لعلي رضا باشا على أثره القضاء على داود باشا وتنحية المماليك عن الحـكم الى الابد . وقد زار بغداد هذه الفترة الرهيبة ، أي في ١٨٣٤ ، الرحالة الانكليزي المستر بيلي فريزر فشهد آثار الخراب فيها ووصف في رحلته الطاعون وما خلفه في أرجائها وصفاً مخيفاً (٢) . ومما يقوله فريزر في الرحلة عن زوار العتبات المقدسة ان الطرق ما بين بغداد وبينها قد سدت في وجوههم ، وانهم صاروا يتعرضون للسلب والنهب بكثرة وبصورة مؤسفة . وهو يقول كذلك ان الكثيرين منهم كانوا يجازفون بالسفر اليها فيعودون الى بغداد بعد أيام معدودة وقـد سلبوا الى حد العري ، ومن دون ان يتسنى لهم الوصول الى العتبات . ويشير إشارة عابرة الى انقطاع حبل الامن في النجف نفسها في أيام داود باشا واضطراره الى سوق الجيش عليها . ولا شك أنه يقصد بذلك عصيان عباس الحداد وقتله مما أتينا على ذكره قبيل هذا .

(1) Adrien Dupré - Voyage en Perse Fait dans les années 1807 - 9 en traversant la Natolie et le Mesopotamie (Paris 1819). الص ١٧٤ ج ١

(2) J. B. Fraser - Travels in Koordistan & Mesopotamia, (London 1840)
وقد ترجم كاتب هذه السطور الى العربية بعنوان (رحلة فريزر) .

وحينما تولى الحكم في بغداد نجيب باشا (١٨٤٢) كانت الخطة التي انتهجها في تصريف شؤون البلاد تستهدف القضاء على العشائر من دون رحمة وتفكيك كيانها بقدر المستطاع ؛ ولذلك عرفت أيامه بالحملات العشائرية المتتالية ، وقد سار في احدى حملاته هذه الى النجف كذلك فقمع اضطرابا كان ناشباً فيها على حد قول المستر (لونكريك) ، وكان ذلك في عام ١٨٤٥ . على اننا لاحظنا ان بعض المراجع العربية عن مثل (ماضي النجف وحاضرها) تجعل سير نجيب باشا لقمع الأضطرابات في النجف سنة ١٢٥٨ هـ (٨٤٢) ، أي بعد ان انتهى من تنكيله بكربلاء وسكانها . لكن (لونكريك) يعود فيذكر حادثة مماثلة في النجف يومذاك لم تكن أحسن مما كانت في كربلاء ، لان فريقيها المتخاصمين ، وهما الزكرت والشمرت ، لم يعبأ بالباشا ولا بالسلطان ، وكان كل شيء في المدينة يتم بموجب فتاوى المجتهدين النافذة ورغبات الرؤساء وقد أدى نزاع اعتيادي في البلدة سنة ١٨٥٢ الى ثورة فخفت القوات التركية اليها ؛ وبعد عراك شديد في الشوارع دام يوماً واحداً تمكن الاتراك من انزال العقاب بالبلدة . ووقع مثل هذا الحادث في ١٨٥٤ كذلك ، حينما بعث الوالي نامق باشا ضابطا من قبله فدخل البلدة بالرغم من قوة الفريقين الموحدة .

النجف في رحلة لوفتس

وفي ١٨٥٣ زار النجف رحالة انكليزي يدعى لوفتس ، وقد كان عضواً من أعضاء لجنة الحدود التي تجولت في منطقة الحدود العراقية الأيرانية في ١٨٤٩ فعملت على تثبيتها . وفي سفرة ثانية الى العراق لأغراض علمية آثارية تجول في البلاد فكتب رحلته (١) المعروفة في وصف الموصل فبغداد فالفرات الأوسط فالبصرة فعربستان . وقد جاء الى النجف الأشرف في صيف ١٨٥٣ من الحلة وفي

(1) Loftus, W. K. - Travels & Researches in Chaldeae & Susiaua, London 1857 الفصل السادس ، الص ٤٦

معيته درويش باشا متصرف الحلة وطاهر بك الحاكم العسكري فيها ، مع ثلة من الجنود الاتراك . ولذلك نراه يذكر شيئاً عن الكوفة التي وصل اليها من الكفل قبل وصوله الى النجف بطبيعة الحال . فيورد عدداً من الروايات عنها ، منها ، أن موقع الكوفة كان هو الموضع الذي نزل فيه جبرائيل الى الأرض فصلى لله عز وجل ، ومنه انبثقت مياه الطوفان الطاغية على عهدنوح عليه السلام فاستقل فلكه هرباً منها . ويزعم العرب بالأضافة الى ذلك ان الحيّة حينما أغوت حواء نفيت الى هذا المكان عقوبة لها ؛ ومن هذا نشأت فكرة اتصاف أهالي الكوفة بالمكر والخداع . وبعد ذلك يأتي على ذكر الكوفة في أيام العرب ، وأهمية الخط الكوفي ، ومقتل الأمام عليه السلام فيها من قبل الخوارج ؛ ثم يشير الى أنها لم يبق منها في وقت زيارته لها (أي في ١٨٥٣) سوى عدد من التلول وبقايا جدار من جدرانها مع أنها كانت تمتد على ما يقال الى ما يقرب من كربلاء (مسافة ٤٥ ميلاً) .

وحينما ينتقل الى ذكر النجف يقول انها أسست على أنقاض مدينة الحيرة القديمة ، التي نشأت الأسر العربية المالكة المعروفة فيها ، ولا شك أنه يشير بذلك الى المناذرة . وكانت الحيرة على حد قوله قد التجأ اليها خلال القرن الثالث للميلاد كثيرون من النصارى اليعاقبة هرباً من الاضطهاد والفوضى التي انتابت أحوال الكنيسة . وبهذه الوسيلة اعتنق ملك الحيرة ورعاياه الديانة المسيحية قبيل مولد النبي محمد (ص) . ويتطرق الى فتح خالد بن الوليد للحيرة ويقول انها فتحت بسهولة بعد قتل ملكها في المعركة ، وبذلك فرضت عليها الجزية التي كان مقدارها (٧٠٠٠) قطعة ذهب في السنة . وتعد الحيرة أول بلد فتحه المسلمون خارج الجزيرة العربية ؛ كما تعد الجزية التي فرضت عليها أول جزية فرضوها على أي بلد من البلاد الأجنبية .

ويصف لوفتس موقع النجف الجيولوجي وشكلها العام كذلك فيقول انها تقع فوق هضبة من الحجر الرملي الميال الى اللون الاحمر ، وترتفع الى أربعين قدماً

فوق السهول المحيطة بها . وقد وجد أسوارها عامرة ممتازة ، يحيط بها خندق عميق خال من الماء . ثم يتطرق الى بحر النجف فيقول انه يمتد نحو الجنوب الشرقي الى مسافة أربعين ميلا ، وينشأ من نهايته السفلى نهران يقال لهما : شط الخفيف (Khufif) وشط العطشان . وحينما يطغى الفرات طغيانه السنوي المألوف يفيض الى بحر النجف فتصبح المسافة الممتدة بينه وبين السماوة كلها قطعة واحدة من المياه ، يطلق عليها « خورالله » أما ماء هذا البحر فيكون عذباً صالحاً للشرب حينما تصب فيه مياه الفرات ، ويصبح ملحاً أجاجاً حينما تنقطع عنه ، وعندذلك يضطر الاهالي الى جلب الماء من الكوفة .

ويبدو مما كتبه لوفتس انه دخل الصحن الشريف بمعية درويش باشا وطاهر بك ؛ وبحراسة من الجنود الاتراك المدججين بالسلاح . وهو يقول في هذا الشأن انه كان من النادر ان تسنح لاي مسيحي الفرصة للدخول الى أماكن عبادة المسلمين ولا سيما في مكان مقدس مثل مشهد الامام علي . وحينما أبدى فكرة الدخول الى طاهر بك وجد تشجيعاً منه على ذلك . ولما مرت جماعتهم بالسوق المؤدي الى الصحن كان الناس على عادتهم الشرقية ينهضون للتحية ؛ فيردونها لدرويش و طاهر لكنهم كانوا ينظرون شزراً الى (الأفرنج) . وقد تجمع حشد من الناس وراءهم ، وحينما قاربوا باب الصحن كانت النظرات التهديدية والهمسات الخافتة تدل على انهم كانوا أناساً غير مرغوب فيهم . لكن الجند اصطف في مدخل الصحن فاجتازوا من بينهم دون تردد .

ويقول لوفتس انه لا يمكن ان يصف الشعور الذي يخالج الناظر الى جميع ما كان في داخل الجامع من زينة في البناء وتناسق في الالوان ، لان ما يراه كان لا بد من ان يولد انطباعاً خالداً في نفسه . ويصف شكل الصحن الشريف والضريح المطهر الموجود في وسطه ، مشيراً الى زينة القاشاني المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور والأوراق النباتية والكتابات المذهبة . ثم يذكر ان أركاناً ثلاثة من اركان

الصحن كانت تقوم فوقها مآذن ثلاث كسيت الاثنتان الأماميتان منها بالآجر المغلف بالذهب الذي يكلف تذهيب الواحدة منه مبلغ تومان واحد ، أو مايعادل باونين استرلينيين . وهذه مع القبة كانت تؤلف منظراً فخماً يعجز عنه الوصف. وكانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب وهي تتوهج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكأنها تل من الذهب يقوم من الدراري الممتدة من حوله . كما كانت توجد بين يدي الضريح المطهر بركة من النحاس تزيد في جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللماع الذي يكاد يحاكي سطح القبة نفسه في بهائه وتلألؤه .

ولم يدخل لوفتس الى الحضرة ، لكنه يذكر ان داخليتها كانت على النمط نفسه من البهاء والرونق الاخاذ . لأنه علم ان أرضيتها كانت مبلطة بقطع منتظمة من الأبريز المصفى ، وان عدداً غير يسير من الأعلاق الفنية المهـــداة من المسلمين المؤمنين كانت تزين الداخل كله .

ويذكر كذلك ان الصحن كانت تباع فيه أشياء وحاجات كثيرة ، فيقارن ذلك بالمعبد في بيت المقدس الذي دخل اليه المسيح قبل ثمانية عشر قرناً فوجد الناس يبيعون فيه الثيران والأغنام ، والصرافين يتاجرون بالعملة . وقــد لفتت نظره على الأخص طيور الحمام الكثيرة كذلك .

ويقول لوفتس انه حينما خرج مع جماعته بعد مدة غير طويلة لاحظ في السوق ان الوجوه كانت مكفهرة والجو مكهرباً ، فأدرك السبب الذي حدا بطاهر بك الى أن يأتي بالجند المسلح معه .

ولقدسية النجف هذه كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الانحاء على حــد قوله ، وعلى هؤلاء كانت تعيش البلدة بأجمعها . وهو يقدر معدل عــدد الزوار الذين كانوا يفدون عليها في كل سنة بمقدار (٨٠،٠٠٠) شخص ، كما يقدر عدد الجنائز التي كان يؤتى بها للدفن بشيء يتراوح بين (٥٠٠٠) و (٨٠٠٠) جنازة

في السنة وكانت الجثث تنقل من بعيد على ما يقول بصناديق مغلفة باللباد الخشن، وتحمل على ظهور البغال، ولذلك كانت كل قافلة تصل الى بغداد من ايران على الأخص لا بد من ان يكون من بين أحمالها عدد من هـذه الصناديق التي كان منظرها مألوفاً في الطرق المؤدية الى النجف .

وكانت الأجور التي تفرض على دفن الجنائز تتراوح ما بين عشرة توامين ومئتي تومان (خمسة الى مئة باون استرليني) ، واكثر من ذلـك أحياناً . وكثيراً ما كانت الجنائز تتكدس خارج السور مدة من الزمن حتى يتم الانفاق على الأجرة التي يتحتم على الاقارب دفعها .

ثم يذكر ان توارد الزوار على النجف بكثرة قد أغناها غناء غير يسير في تلك الأيام ، كما يستدل من التوسع التي طرأ عليها في تلك السنين والسور الجديد الذي أنشيء لها . وكذلك يشير الى انه وجد أن نهراً كان يحفر لايصال الماء الى البلدة من الفرات ، وحل مشكلته ، والى فضول أهالي النجف وتجمهم حول الأجانب القادمين من الخارج الى حد أن البعض منهم كان يأتي بأهله ونسائه للتفرج عليهم .

في أواسط القرن التاسع عشر

ومما يذكره ريتشارد كوك (١) صاحب كتاب (بغداد مدينة السلام) عن النجف في هذه الحقبة من السنين ان الحكومة التركية مدت شبكة التلغراف اليها فربطتها وكربلاء بخط الفرات التلغرافي . وكانت قد تعاقدت في ١٨٥٧ مـــع الحكومة البريطانية على قيـــام المهندسين الانكليز بانشاء خط تلغرافي على نفقة الحكومة التركية . وبعد أربع سنوات ربطت بغداد بالعالم الخارجي بواسطة الخطوط التلغرافية ، ثم أضيفت خطوط اخرى في السنوات التي أعقبت تلك

---

(١) الص ٢٧٤ Richard Coke - Baghdad the City of Peace, London 1935

المدة ما بين بغداد والخليج عن طريق الفاو ، وما بينها وبين خانقين . وكان الفاو يمر بطريق الفرات ، فمُد فرع منه الى النجف وكربلاء

وقد زار بغداد في ١٨٥٥ ، أي في عهد الوالي كوزلكلي رشيد باشا ، سائح الماني مشهور ومستشرق يجيد العربية وقواعدها ، يدعى (بيترمان) (١) فأقام فيها مدة تناهز الخمسة أشهر ، وكتب كثيراً عما شاهده فيها فضمنه رحلته التي طبعها بالالمانية في لايبزيغ سنة ١٨٦٤ . وهو يذكر فيها ان زوار النجف وغيرها من العتبات المقدسة كانوا يتواردون من إيران الى بغداد باستمرار ، وقد بلغ عددهم في تلك السنة حوالي ستين ألف زائر كما يستنتج من عدد التذاكر التي أصدرتها السلطات التي كانت مسؤولة عن الحجر الصحي يومذاك في خانقين .

وفي ١٨٦٩ (١٢٨٦ هـ) تعين في ولاية بغداد الوالي المصلح مدحت باشا ، فعمل على تجديد الولاية وحكومتها وادخال الحياة العصرية الى البلاد . غير أنه اصطدم بأشياء كثيرة كانت تحول دون اقتران الكثير من أعماله بالنجاح الذي يعود بالمنفعة على البلاد ، فقد كانت العقبة الكبرى في طريقه هذا عدم تيسر المال اللازم لمشاريعه ، ولذلك فكر في جمعه بطرق ووسائل شتى . فكان من جملة ما فكر به في هذا الشأن ان يبيع التحف والنفائس الموجودة في خزانة النجف وغيرها من العتبات المقدسة ، غير انه لم يستطع تحقيق ذلك بطبيعة الحال . ويقول المستر لونكريك (٢) في هذا المقام انه لم يكن قادراً على تحقيق مشروع كان عزيزاً عليه ، وهو بيع خزائن النجف وإنفاق مبالغها على الأشغال العامة . ويمكن ان نذكر بالمناسبة ما ورد في المراجع العربية عن

---

(١) H. Petermann

(٢) الص ٢٨٥ من الترجمة العربية ، ط ٢

بعض محاولاته المماثلة في الاصلاح . فقد أعلنت (١) الحكومة التركية على عهده في أوائل محرم الحرام سنة ١٢٨٧ اعلاناً يمنع فيه اخراج موا كب العزاء الحسينية المعتادة ويحدّد نطاقها . وحينما قدم الى بغداد ناصر الدين شاه في طريقه لزيارة النجف وسائر العتبات سنة ١٨٧٠ (٢٨ شعبان ١٢٨٧) مكث في العراق حوالي ثلاثة أشهر، وقد جرت خلال هذه المدة مفاوضات بينه وبين مدحت باشا حول الكثير من المسائل التي كانت معلقة بين البلدين . فكانت من جملة النقاط التي تم الاتفاق عليها قضية نقل الجثث من مسافات بعيدة ودفنها في النجف الأشرف. فقد اشتُرط في ذلك ، دفعاً للمحاذير الصحية ، ان لا يسمح بنقل الجثث للدفن الا بعد ان تكون قد قبرت في مواطنها أولاً ومرت عليها هناك سنة واحدة على الأقل (٢) .

وبمناسبة ذكر الجنائز والزوار أرى من المناسب ان أثبت هنـــا ما ذكرته الرحالة الفرنسية المعروفة مدام (ديو لا فوا) في رحلتها، وكانت قد جاءت الى العراق في ولاية تقي الدين باشا الثانيـــة على العراق سنة ١٨٨١ (١٢٩٩ هـ) مع زوجها عالم الآثار الفرنسي المسيو (مارسيل ديو لافوا .) فهي تقول عن الجنائز «.. وفي حوالي الغروب ظهرت من بعيد بناية كبيرة من الآجر هي خان كبير شيده المحسنون بجهودهم وما لهم ، وفيه بضع حجر واسعة معدة لاستراحة زوار العتبات المقدسة ... ولما كان الجو بارداً لم نرَ بداً من اختيار إحدى تلك الحجر للـــنزول فيها ، ولكننا ما كدنا نترجل من جيادنا حتى علت الى أنوفنا عفونة أوشكت ان تزكمها ، ولفتت نظري أشياء مركومة بعضها فوق بعض فتقدمت منها أتفحصها ، وما كدت أمد يدي حتى ارتددت إليّ وكأنها قد مسها تيار كهربائي واضطربت أشد الاضطراب ، فقـد كانت هذه الأشياء المحترمة

---

(١) جريدة الزوراء ٤ محرم ١٢٨٦

(٢) الص ٢٤٣ تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧

المركومة جثث موتى بعضها قد لفت في بساط أو سجاد وحزمت بحبال وبعضها في توابيت خشب يبدو من بين شقوقها اللحم الناشف المسود لهؤلاء الموتى، وعلى أثر هذا خرجنا سريعاً تاركين هذا الخان الغريب ونزلنا في محل يبعد عنه كثيراً لنقضي فيه ليلتنا .. وعلى رغم ابتعادنا عن الخان بمسافة ليست قليلة كانت رائحة العفونة تضايقنا كلما هب النسيم من جانبه .. والواقع ان دفن الموتى في النجف وسائر المراقد المقدسة أصبح عادة لفريق من المسلمين منذ أوائل عهد الأسلام .. » (١)

وتقول عن الزوار أنهم كانوا يتواردون من إيران على بغداد في طريقهم إلى الكاظمية والنجف ، وكانوا عند دخولهم اليها من بابها الشرقي يتعرضون الى الكثير من عبث الأطفال وهرجهم ، والى الرمي بالحجارة في أغلب الأحيان . ومع جميع الأذى الذي كان يصيبهم من ذلك كانوا لا يفكرون في يوم من الأيام بتقديم الشكوى الى السلطات التركية أو اقامة أية دعوى في المحاكم ، لأنهم كانوا ... انهم لا يحصلون على نتيجة ملموسة يتجنبون المصاعب بها . فالمسؤولون الأتراك كانوا يشجعون هذه الأعمال على حد قولها، وكانت كل شكوى تقدم من الزوار اليهم تقابل بالهزء والسخرية .

جون بيترز في النجف

على ان أهم من كتب عن النجف من الغربيين في تلك السنين الاستاذ الأمريكي (جون بيترز) (٢) رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة في نفّر (منطقة عفج) ، الذي زارها في سنة ١٨٩٠ . فقد جاء الى النجف من السماوة

---

(١) الص ١٢٨ من الترجمة العربية عن الفارسية (بغداد ١٩٥٨)
Madame J. Dieulafoy - La perse, La Chaldée, et la Susiane (Paris 1887)

(2) Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates 1888-1890, London & New York 1897, Vol. II

بعد أن كتب منها الى (شاؤول) الصراف اليهودي في الحلة بتدبير شؤونه المالية وموافاته فيها. وهو يروى قبل أن يذهب الى النجف حادثاً يتعلق بوضع الزوار في الطرق العامة في تلك الأيام . فبينما كان المستر بيترز يزور قائمقام السماوة خليل بك في دائرته الرسمية إذ دخل عليهما رجل من زوار الهنود وهو نصف عاري ، وأخذ يشكو بتوسل وخضوع ما فعل به رجال الأمن « الضابطية » ، فقد مسكوه في قارعة الطريق وسلبوا منه جميع ما كان عنده من مال ومعظم ألبسته وحاجاته .

ونظراً لمخاطر الطريق البري ما بين السماوة والنجف قرر المستر (بيترز) أن يسلك الطريق النهري برغم ما فيه من متاعب وصعوبات . فاستأجر طرادة من السماوة واستقلها مع خدمه وجماعته ، وبعد أن سارت بهم في الفرات بضع ساعات سلكوا طريق شط العطشان حتى وصلوا الى الشنافية. ومن هناك دخلوا بحر النجف ، وبعد ساعات عشر وصلوا الى جزرة صغيرة في وسطه يقال لها « أم الرغلات » وفيها شاهدوا عدداً من الزوارق كانت تقل الكثيرين من الزوار الايرانيين الذين نزلوا للمبيت . ثم أقلعوا منها قاصدين ساحل البحر المذكور حيث كانت توجد مزرعة صديقه الحاج (طرفه) شيخ مشايخ (عفج) ومن هناك دخلوا جدول المشرب ، ثم نزلوا بعد ساعات في أبي صخير .

وحينما ركبوا الدواب وتوجهوا الى النجف مروا في طريقهم بخرائب مدينتين كان اسم إحداهما « طعيرزات » ، وهي على ما يعتقد موقع الحيرة القديمة. ويفهم من كتابات بيترز ان النجف كانت تسد أبوابها عند الغروب ، ولذلك أجهدوا أنفسهم في السير لئلا يتأخروا في الوصول اليها فتوصد أبوابها في وجوههم . لكن المكاري طمّنهم من هذه الناحية لأنهم كان بوسعهم أن يدخلوا الى النجف من

ثلمة يعرفها في السور فيما لو تأخروا في الوصول على أنهم لم يضطروا الى ذلك في الأخير ، لأنهم وجدوا عند وصولهم ان الأبواب كانت ما تزال مفتحة وعلموا من شاؤول الصراف، الذي كان ينتظرهم عند الباب ، بأنه كان قد عرف بوصولهم الى أبي صخير ورجا القائمقام بأن يوعز بابقاء الأبواب مفتحة حتى يتم وصولهم الى النجف .

وأول ما يدوّنه بيترز عنها انه كان يتوقع ان يلاقي صعوبة في الدخول اليها والتجول في انحائها ، بالنظر لما قرأه عنها وعن تعصب أهلها في رحلة لوفتس (المار ذكرها) . لكنه وجد ان الأمر بعكس ما كان ينتظر ، لانه استطاع التجول في البلدة بكل حرية وتمكن من تصوير مناظر عدة من بينها منظر الجامع الكبير نفسه .

وكان في معيته شخصان أرمنيان يدعيان : (آرتين) و (نوريان) ، وقد استطاع خدامه العرب إدخالهما معهم الى داخل الصحن والحضرة المطهرة كذلك، أحدهما بصفة زائر ايراني والآخر بصفة تركي من استانبول . ثم قص عليه (نوريان) جميع ما شاهده في الداخل . إذ قال له انه اجبر على تقبيل السلسلة الكبيرة وجانبي الباب الكبير . وحينما دخل الى الصحن المحاط بالاروقة ألفى الجدران مزينة بالقاشاني ، والمرايا المنزلة بالفضة . ووجد أن مئذنتين كانتا مكسوتين بالذهب من علو قامة واحدة الى القمة ، كما وجد الضريح في الداخل تعلوه القبة الكبرى المذهبة بذهب يأخذ بالابصار . وبعد ان خلع هو ومن كان معه أحذيتهم دخلوا الى الحضرة المطهرة يصحبهم عدد من الجنود ، ويتقدمهم سيد بعمامة خضراء. ثم يصف الزينة الفاخرة والقاشاني والفضة والمرايا التي كانت تدل كلها على فخامة بربرية على حد تعبيره . وتأتي كذلك كيفية اداء الزيارة وراء المزوّر ومسك الشباك ، لكنه يقول انه كان على درجة متناهية من الاضطراب

والخوف من افتضاح أمره . ولذلك لم يستطع ملاحظة جميع ما كان يريد ان يلاحظه بالتمام ، وكذلك كان الآخرون ومن أجل هذا عزم على الدخول الى الزيارة في اليوم الثاني ، لكنه صادف في السوق رجلا من تجار بغداد يعرفه تمام المعرفة فخشي من ان يشي به فلم يفعل .

ويقول (بيترز) أنه وجد النجف مدينة مزدهرة ، يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين والثلاثين ألف نسمة وقد ألفاها محاطة بسورمتداع ، مشرف على السقوط . وكانت البيوت ، مثل السور ، مبنية بالطابوق المستمد من خرائب الكوفة ، ولذلك كانت الحمير تشاهد وهي تنقل هذا الطابوق يومياً من الكوفة الى النجف . وكان ماء النجف أحسن ماء شربه (بيترز) في هذه البلاد ! وقد كان يؤتى به اليها بقناة تمر من تحت الأرض . على انه يقول ان طعم الماء المستقى من الآبار كان يغلب فيه طعم الكلس .

وبعد ان يشير الى المساحة الكبيرة التي كانت تحتلها القبور فوق الهضبة الرملية في خارج السور ، يأتي على ذكر الجنائز ايضاً ونقلها من مسافات بعيدة فيقول ان النجفيين مع كثرة ما يرد الى بلدتهم من الجنائز على الدوام فانهم لا تتسرب اليهم عدوى الامراض ، كالوحظ بالفعل في أثناءانتشارالهيضة فيالعراق سنة ١٨٧٩ . ويعلل ذلك بحصول نوعمنالمناعة عندهم مستنداً في ذلك علىأقوال الاطباء . وهذا قول غير صحيح من الناحية العلمية بطبيعةالحال ، لكن(بيترز) معذور فيه لان نظرية العدوى والميكروباتالعلمية لم تكن قد اكتشفت في تلك الفترة من الزمن .

ولما كان (بيترز) عالماً من علماءالآثار القديمة فانه يعتقد بان العرب فيالمنطقة الجنوبية يعيشون عيشة تشبه عيشة البابليين قبل أربعة آلاف سنة في كثير من الاشياء . ويقارن بين الطقوس الدينية القديمة والحالية، وبين ما يلاحظ فيالوقت

الحاضر من نقل الموتى ودفن جثثهم في الاماكن المقدسة ، ومن وجود (الاكشاك) في أبواب الصحن لبيع الكثير من الحاجات واللوازم ، وما كان يحصل في أبواب معبد (بيل) في (نُفـّر) من قبل .

وقد زار (بيترز) الكوفة أيضاً . وهو يقول ان الرحالة الذين جاءوا اليها في بداية القرن التاسع عشر يشيرون الى وجود الكثير من آثار البلدة العربية القديمة فيها لكنها لم يبق منها حينما زارها هو سوى بعض التلول والاساسات لان طابوقها قد نقل كله للاستفادة منه في بناء أبنية النجف نفسها . ويذكر في كتابه ان هناك في غربي الكوفة نهراً مندرساً كبيراً يسمى « كري سعده » . ويروي الخرافة التي تروى عن تسميته بهذا الاسم ، وهي ان تاجراً غنياً من تجار البصرة كان قد أحب امرأة جميلة اسمها «سعده» من أهالي المنطقة الكائنة مابين هيت وعانه في شمال البلاد . وكانت هذه المرأة تهوى ضفاف الانهر المظللة ، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها ان تنقل الى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالاماكن التي يظللها الظل . فما كان منه إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الاشجار على ضفافه . ويعتقد بيترز ان « كري سعده » هو الجدول الكبير الذي حفره (نبوخذ نصر) فمده من موقع يقرب من هيت الى الخليج ليحيي به مساحات شاسعة من الارض الموات .

وقد توجه بعد ذلك الى كربلاء ، بعد ان دفع أجور الخان وقيمة أكواز الماء التي شرب فيها لانها قد تنجست بعدان استعملها فاقتضى كسرها والاستغناء عنها . وفي خان الحماد الذي نزل ليستريح فيه وجد رجلاً من أهالي النجف يصطحب عدداً من الزوار الأيرانيين معه . فعلم منه ان خزائن النجف التي لا تقدر بثمن كانت تتألف في الحقيقة من خمس خزائن : واحدة للجواهر الثمينة والأعلاق النفيسة ، واخرى للأموال ، وثالثة للسجاد والطنافس ، ورابعة للاسلحة الفاخرة ، وخامسة لأنواع « البهارات » .

في أوائل القرن العشرين

وفي اوائل القرن العشرين جاءت الى هذه البلاد سائحة انكليزية تدعى المسز (رولاند ويلكنس) فلفت نظرها حينما كانت في طريقها من بغداد الى الحلة لزيارة أطلال بابل سفر الزوار الايرانيين بجماعات وقوافل خاصة . فهي تقول في كتابها (١) عن الرحلة الى هذه الجماعات انها مرت في طريقها الى بابل بجماعات الزوار الايرانيين الذين كانوا في طريقهم لزيارة الامام الحسين في كربلاء ، والامام علي في النجف . وكان الكثيرون منهم يأتون من بلادهم مشياً على الاقدام ، لكن بعضهم كان يركب البغال ويحمل معه فوق ظهورها حاجاته القليلة في اخراج سفرية خاصة . وتقول كذلك ان هؤلاء الزوار كانوا يأتون معهم بالجنائز مشدودة بصورة مستعرضة فوق أظهر الحمير ؛ لان أمنية المؤمن الحق هناك لا يقتصر في أيام حياته على زيارة الأئمة فقط بل يطمح أيضاً في ايام حياته على زيارة الأئمة فقط بل يطمح ايضاً في ان تقبر رفاته بسلام بعد الموت في الارض المقدسة التي استشهد فيها الحسين وأبوه عليهما السلام .

وفي تقرير(٢) عسكري مكتوم، أعدته رئاسة الاركان البريطانية العامة في ١٩١١ ، عن المنطقة الممتدة من بغداد الى الخليج ، يرد ذكر النجف بتفصيلات تفيد الاغراض العسكرية عنها. فقد ورد فيه ان النجف، أو مشهد علي، بلدة يبلغ عدد نفوسها زهاء (١٢٠٠٠) نسمة منهم عدد من الهنود المسلمين . وتصل اليها حوالي ستة آلاف جثة في السنة لتدفن في مقابرها نظراً لقدسية المكان ويرد في التقرير كذلك انها تقع على مسافة ثلاثين ميلا عن الحلة ، وتقوم على هضبة

---

(1) Louisa Gebb (Mrs Roland Wilkins) - by Desert Ways to Baghdad, London 1908.

(2) Military Report on the Region between Baghdad and the Persian Gulf - Prepared by the General Staff, 1911 (A 1551). الص ٣٠ و ٨٠

من الحجر الرملي ترتفع عن السهول المحيطة بها بحوالي مئة وخمسين قدماً (؟) وهي محاطة بأسوار يبلغ ارتفاعها خمسة وعشرين قدماً ، وسمكها خمسة الى ستة أقدام ، من دون ان يحيط بها أي خندق ، ويكوّن محيط الاسوار كله شكلا مربعاً تقريباً ، يضم في داخله كتلة كبيرة من البيوت المتحاشكة . وماؤها قليل يؤتى بالعذب منه بقرب من الجلد من فرع الهندية (الفرات) الكائن على بعد أربعة أميال عن البلدة ، ويعتبر ماء الآبار ماء أجاجاً . وتعتمد البلدة في حاصلاتها على قبائل بني حسن (؟) . وتوجد فيها حامية عسكرية تتكون من فوج واحد .

أمـــا طريق بغداد – النجف فقد كانت الأزواد وفيرة فيه على ما يرد في هذا التقرير ويبلغ عدد الزوار الذين يمرون فيه ما يزيد على الالفي زائر في اليوم خلال موسم الزيارة الذي يمتد لاربعة أشهر في السنة على ما يقول . وفي التقرير بعض التفصيلات عن الطريق الممتد ما بين النجف وكربلاء، ولا سيما عن الخانات المعروفة فهناك منزل خـــان النخيلة الذي يقول انه يتألف من ثلاثة خانات وستة مقاهي ، وآبار عذبة للماء ، وعدد من الاكواخ البسيطة من دون ان تكون فيه بيوت . وكان منزل خان الحماد يتألف من عشرة خانات ومئة بيت وعدد من الآبار التي يصلح ماؤها للشرب . أما منزل خان المصلى فكانت فيه ثلاثة خانات وستة مقاهي من دون بيوت .

وفي اليوم السادس من اذار ١٩١١ كانت المس (غيرترود بيل) تتجـول في البادية على مقربة من النحف في طريقها الى بغداد . وكانت المس (بيل) هذه ، التي أصبحت فيما بعد سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد وتحكمت بمقادير العراق مدة من الزمن ، قد تجولت كثيراً في نجد وسوريا وبادية الشام والعراق فكتبت كثيراً عن جولاتها هذه ومما جاء في رسائلها (١) المعروفة عن جولتها

(1) The Letters of Gertrude Bell - Selected & Edited by Lady Bell, Lodnon.

في هذه الجهة أنها بينما كانت في طريقها الى النجف في هذا التاريخ خطر ببالها ان تستقصي آثار اللخميين في تلك الجهات وتشاهد الكهوف الغريبة التي قيل لها انها موجودة في الاجراف المحيطة ببحر النجف من بعض الجهات ، فاصطحبت معها الى هناك الشيخ سلمان (١) أحد شيوخ بني حسن . لكنها لاتذكر شيئاً عما عثرت عليه في هذا الشأن .

وفي يوم ٧ مارت ١٩١١ وصلت الى النجف بعد ان مرت في قسم من طريقها بقـــاع بحر النجف الجاف . وهي تصف في رسالتها المؤرخة ١٠ / ٣ / ١٩١١ البلدة بكونها بلدة مسورة تقوم على حافة الجرف المرتفع بجنب البحر الجاف ، وتشير الى القبة والمآذن والمقابر وقدسية البلد من دون أن تذكر شيئاً يستحق التدوين. لكنها تقول انها نصبت خيامها خارج البلدة في الجهة الخالية منالقبور، وذهبت لزيارة القائمقام التركي الذي أمر مدير الشرطة بان يرافقها للتجول فيها . وحينما عادت الى خيمتها زارها عدد من المعممين (٢) والرجال الرسميين على حد قولها . ولاجل المحافظة على مخيمها في الليل وضع ثلاثون جندياً لحراستها غير انها لم يرقها ذلك فاحتجت بشدة وانسحب الجند . وهي تـذكر في هذا الشأن ان الحراسة كان لابد منها نظراً للحوادث الكثيرة التي كانت تحدث خلال الليل في منطقة القبور . لأن بعض الناس ، ومنهم أفراد القبائـل ، كانوا يأتون بالجنائز ويحاولون دفنها تحت جنح الظلام تهرباً من الليرات العشر التى كانت تفرضها سلطات البلد رسوماً للدفينة وكانت الدورية تطلق عليهم النار

(١) يغلب على الظن انه الشيخ سلمان آل زجري

(٢) اكثر الظن ان هؤلاء المعممين هم من تلك الفئة التي تستغل زيارة الاشخاص البارزين للنجف فتقصدهم على سبيل الاستجداء مندرعة بالشعر او المسكنة فيسخون عليهم بالعطاء ظناًمنهم انهم من حملة العلم ومن رجال الدين .

بسبب ذلك فيردون عليها بالمثل . وقد سمعت هي وجماعتهـــا إطلاق النار في تلك الليلة مع ما صحبها من صراخ النساء وعويلهن عن بعد . ثم خرجت في اليوم الثاني مع رجل من « الضابطية » لمشاهدة خرائب الخورنق فلم تجـد فيها على ما تقول سوى بعض التلول ، لكنها سرها ان تشاهد الموقع وما يحيط به . وقد مرت المس بيل بالنجف مرة أخرى يوم ٢٣ آذار ١٩١٤ ، حينما كانت عائدة من نجد في طريقها الى بغداد . ولا تذكر شيئاً هنا عن النجف لكنها تقول انها حينما خرجت من حائل كان بودها ان تسلك طريق الحج القديم اليها غير أنهـــا علمت أنه لم يكن طريقاً آمنا فعدلت عن رأيها فسلكت الطريق الآخر وهو الطريق الغربي .

وفي صبيحة ٢٧ نيسان ١٩١٢ زار النجف الأشرف الاستاذ النمساوي ألواموسيل (١) لدراسة الأحوال الطبوغرافية في المنطقة كلهـــا ، فكتب شيئاً عن البلدة وماشاهده فيها . وقد دخلها من الباب الشمالية فألفى فيها سوقاً كبيرة تمتد في اتجاه جنوبي حتى تصل الى الجامع الكبير ، وهو يقول ان المنطقة الواقعة في غرب السوق كانت تعود الى الشمرت والمنطقة الواقعة الى الشرق منها كانت لفريق الزكرت . وعلم في البلدة ان أبرز رجل وأقوى شخصية فيها كان كليدار الحضرة المطهرة السيد جواد . ومما يذكره كذلك أن الاتراك كانوا قد شيدوا في النجف ثكنتين عسكريتين واحدة منها في البلدة نفسهـا وأخرى في الضاحية الجنوبية الشرقية التي تسمى (الحويش) على حد تعبيره . وكان في الثكنتين مماً حينما زارها المسيو (موسيل) حوالي (٢٥٠) جندياً راجلا وبغالاً من قوات الدرك (الجندرمة) . اما البلدية فقد بنيت بنايتها فيما يقرب من الباب الشمالي الغربي . وحينما استقل « الترامواي » وذهب الى الكوفة شاهد المدافـن على

(1) Alois Musil - The Middle Euprates, New York 1927

جهتي الخط ، وهو يقول بالمناسبة ان المجلس البلدي في النجف هو الذي بنى خط الترامواي على حساب البلدية نفسها في سنة ١٩٠٩ (١) .

وقد كتب المقيم البريطاني في بغداد سنة ١٩١٢ عن انتعاش الروح الوطنية في العراق بين مختلف الطبقات، وانتشار فكرة القومية العربية في بغداد والنجف وغيرهما فهو يقول ان الذي يلفت النظر هو الحرية المتزايدة التي أخذ يعرب عن نفسه فيها الشعور المعادي للأتحاد والترقي وللأتراك هنا ، حيث كان هذا يعد خيانة عظمى من قبل . ويذكر كذلك ان الأبن الأكبر للكليدار في النجف (٢) وعبد الرحمن الباجه‌جي كانا يرحبان بتشكيل حزب جديد يدافع عن مصالح العرب . ويقول المستر (فيليب آيرلاند) كذلك في كتابه عن العراق (الذي سنشير اليه كثيراً بعد هذا) ان مؤتمراً عربياً عقد في المحمرة خلال شهر مارت ١٩١٣ ، فحضره شيخ المحمرة نفسه ، وشيخ الكويت ، والسيد طالب النقيب ، وموظف تركي كبير . فدار البحث فيه حول مستقبل العراق والحكومة الموجودة فيه ، فتم الاتفاق على قيام الرؤوساء المذكورين ببذل الجهود لتحقيق مطاليب العراق في الاستقلال . ثم أوفد الرسل الى النجف وكربلا لاستمداد التأييد منهما وتهيئة الناس للحركة ، كما أخبر القوميون العرب في بغداد واستانبول وسورية ومصر وغيرها بقرارات هذا المؤتمر .

النجف في أيام الحرب العالمية الأولى

وفي خلال ١٩١٤ تطورت الأحوال في العالم تطوراً جذرياً واعلنت الحرب العامة الأولى ما بين الحلفاء والدول المركزية . فانحازت الدولة العثمانية التي

---

(١) والمعروف ان الخط الحديدي قد اقامته شركة اهلية

(٢) وهو يقصد به السيد محمد حسن الرفيعي الكليدار

كان العراق بولاياته الثلاث ينضوي تحت لوائها ، الى جانب الدول المركزية وعلى هذا الأساس أعلنت بريطانية العظمى الحرب عليها في ٢٩ تشرين الأول ١٩١٤ ، وفي اليوم السادس من تشرين الثاني نزلت القوات البريطانية التي كانت محتشدة في البحرين الى البر في مصب شط العرب وتقدمت لاحتلال البصرة فدخلت اليها في الثاني والعشرين منه .

وتلت ذلك عدة معارك محلية بين الجيشين العثماني والبريطاني ، وكان أهم هذه المعارك ما جرى في موقعة الشعيبة التي وقعت في يوم ١٢ نيسان ١٩١٥ . وكانت قد اشتركت مع الجيش العثماني في القتال قوات المجاهدين الذين هبوا للجهاد من النجف وغيرها بقيادة المغفور له محمد سعيد الحبوبي بعد ان أفتى هو وغيره من العلماء الاعلام به انتصاراً للاسلام وعلى اثر هذه المعركة التي اندحرت فيها القوات العثمانية اندحاراً شنيعاً انتحر بسببه قائدها سليمان عسكري باشا، حدثت تطورات مهمة في أنحاء العراق كافة ومن جملتها النجف . وقد شرحت هذا الموضوع باسهاب ، تتطرق فيه الى ما وقع في النجف أيضاً ، المس (غيرترودبيل)في تقرير رسمي مفصل رفع الى الحكومة (١) البريطانية عن الوضع العام في العراق خلال سني الاحتلال البريطاني التي انتهت ببداية عهد الانتداب على العراق في صيف ١٩٢٠ .

فهي تقول (٢) ان الحكومة العثمانية كانت قبل دستور ١٩٠٨ تعترف بأن المدن المقدسة تختلف اختلافاً بيناً عن سائر ممتلكاتها ، ولذلك فقد منحتها

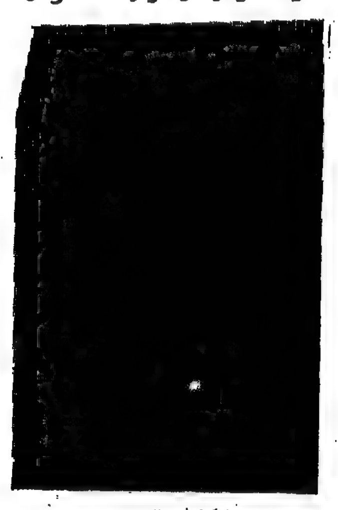
---

(1) Review of Civil Administration of Mesopotamia (CMD 1916) - Prepared by Gertrude L. Bell C. B. E.

وهذا التقرير هو محتوى الكتاب الذي نشره كاتب هذه السطور لعنوان (فصول من تاريخ العراق القريب) ١٩٤٩ .

(٢) الص ٢٨ من الترجمة العربية.

بعض الامتيازات التي كان أهمها إعفاء سكانهـــا من الخدمة العسكرية . وبعد موقعة الشعيبة التجأ عدد من الفارين من الخدمة العسكرية الى النجف الاشرف ، فأعلن الأتراك عن عزمهم على إعادة الفارين الى الخدمة وهددوا بفرض التجنيد على السكان الأصليين فيها كذلك . وقد علم بالأضافة الى هذا ان الاتراك كانوا قد قرروا مصادرة محتويات « الخزائن » الموجودة في العتبة المقدسة للانفـاق على شؤون الجهاد منها . وراحوا يجبرون الشبان على الخدمة في الجيش ، ومن أجل هذا فتشوا البيوت خلال الليل ،وتعرضوا بالنساء بحجة ان الرجال كانوا يتخفون بزي النساء للتهرب من الجندية . ثم فرضوا « بدلات » باهظة للأعفاء منهـــا ، فهب الناس واستحكموا في الشوارع والدور ، ثم وضعوا القوات المدافعة في صحن العتبة المقدسة . فوجه الأتراك مدافعهم نحـــو الثوار وأنزلوا أضراراً بالمآذن سهواً او على سبيل التقصد . وعند ذاك طير السيد كاظم اليزدي برقية احتجاج الى استانبول ، فكان جوابها اليه انه يجب ان ينصرف الى مهنته كـــدرويش متعبد وان لا يتعرض لشؤون الحكومة . وقد تلا ذلك قتال دام ثلاثة أيام استسلم بعدهـــا الجنود الأتراك للأهلين الثائرين فجردهم الرعاع من سلاحهم . ثم نهبت بنايات الحكومة وأحرقت ، وهـــدم بيت القائمقام التركي وطرد هو نفسه .



السيد كاظم اليزدي

وتعود المس بيل فتذكر ان النجف صار يحكمها بعد حوداث نيسان هذه الشيوخ الأربعة : سيد مهدي السيد سلمان (الحويش) ، والحاج عطية أبو كلل (العمارة) وكاظم صبيّ (البراق) ، والحـاج سعد الحاج راضي (المشراق) ، بأنفسهم وبمشورة السيد كاظم اليزدى الذي كان يمثله عندهم ابنه السيد


الحاج عطية أبو كلل

محمد (١) . ولذلك تأزم الوضع على الاتراك في الفرات بحيث عمدت السلطات التركية الى تغيير سياستها والالتجاء الى المسالمة والصلح . فتألفت لجنة من الوجهاء لتسوية الأمور ، وتم الاتفاق على ان يعود القائمقام الى وظيفته في النجف مع حرس هزيل للحماية . على ان السطوة في البلد بقيت في أيدي الثوار ، لأن القائمقام أصبح ألعوبة في أيدي الشيوخ المذكورين ولأن الناس أخذوا يهزأون بحراسه علناً في الشوارع .

غير ان التهدئة هذه لم تكن إلا نصراً أجوف للأتراك على حد تعبير (المس بيل) لأنها ما لبثت قليلاً حتى أخذ الحاج عطية ، بمؤازرة السيد كاظم اليزدي ، يتصل بسر أو رئيس الحكام السياسيين المرتبط بقوات الاحتلال (٢) . وقد عرض عليه استعداد النجف والقبائل المحيطة بها للانضمام الى الأنكليز لقاء احترامهم للعتبة المقدسة وعدم التعرض بها . وكان رد رئيس الحكام السياسيين على ذلك أنه أشار عليهم بالاطلاع على البيانات التي كانت السلطات البريطانية قد أذاعتها على الملأ عند أول نشوب الحرب وادعت فيها بأنها لم تكن في خصام مع العرب ولا مع المسلمين . وذكرهم كذلك بالمعاملة الحسنة التي لقيها من الأنكليز رجال الدين الذين وقعوا في أيديهم .

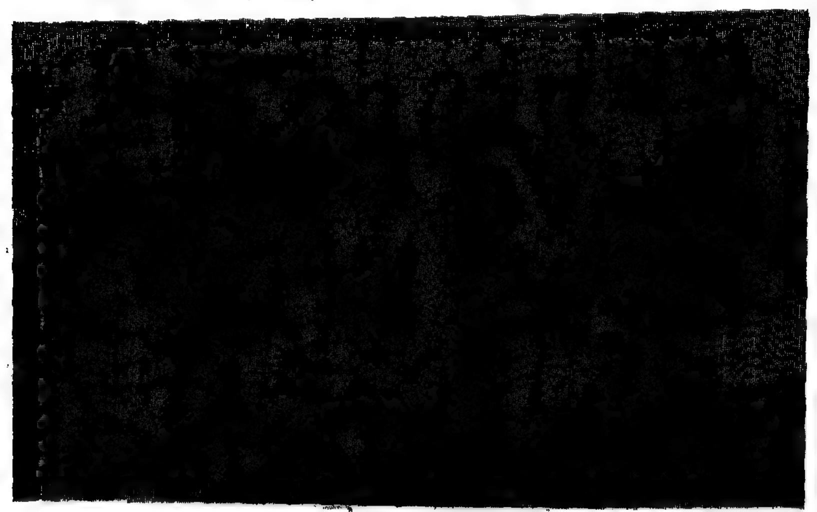
---

(١) لم يكن للسيد كاظم اليزدي في هذا المكان ولا في غيره اكثر من كونه مرجعاً دينياً ، ولم يعرف انه تدخل في شؤون الادارة .
ج . خ .

(٢) والشيء الثابت او الذي اخذ على السيد كاظم اليزدي هو سلبيته وعدم تدخله في السياسة وليست قضية المشروطة التي أبى أن يزج نفسه بها بعيدة عن الاذهان .

ج . خ .

وبعد ذلك تسنى للأنكليز ان يثأروا لأنفسهم عن الاندحار الشنيع الذي أصابهم على يد خليل باشا في سلمان باك ، وحصار الكوت الذي استسلم فيه



بعض الشيوخ الذين حكموا النجف برهة من الزمن
ويرى كاظم صبي الأول من اليمين (الجالسين)

الجنرال (طاونزند) مع قواته المحاصرة في ٢٩ نيسان ١٩١٦ ، فاسترد الجنرال مود الكوت في نهاية ١٩١٦ وتم له احتلال بغداد في ١١ آب ١٩١٧ . وعلى أثر ذلك بعث علماء النجف وكربلاء ، على ما ترويه المس بيل في تقريرها هذا ، برقية تهنئة الى صاحب الجلالة البريطانية فأجابهم عليها معترفاً بتسلمها ومبدياً ان رغبته الخالصة هي انتعاش العراق وسكانه والمحافظة على عتباته المقدسة واستعادته الى رخائه القديم . ولاشك أنها تعني بذلك بعض المعممين الذين كان يسيئهم تصرّف الأتراك وموظفيهم المتعجرفين ، او الذين كانوا يمالئون الانكليز فصاروا يعرفون بعد ذلك بعلماء « الحفيز » (١) .

---

(١) علماء الحفيز والحفيز بمعنى الاوفيس هو (المكتب) وهم اربعة اشخاص مالئوا السلطات المحتلة ومشوا في ركبهم فنعتوهم بعلماء الحفيز (الاوفيس) تمييزاً لهم عن رجال الدين

ج . خ .

ثم تشير الى ان مكتب رئيس الحكام السياسيين في بغداد قد ازدحم في الايام القلائل الاولى من أيام الاحتلال بالزوار من جميع الطبقات بدون ان يستثنى منهم حتى أبناء الاسر المسلمة البارزة . وفي اثر وجهاء بغداد جاء شيوخ القبائل الصغيرة المجاورة لزيارته متعجبين من انهيار العهد القديم المفاجىء ومستبعدين دوام العهد الجديد . وكان من بين الاوائل الذين قدموا من الاماكن البعيدة (محمد علي كمونة) من كربلاء والحاج (عطية أبو كلل) من النجف ، وأعقبها بعد ذلك بقليل شيوخ بلدة النجف الآخرون . فعينت لهم المخصصات، ورجعوا الى أهلهم مخولين بالمحافظة على الأمن حتى يكون بامكان السلطة المحتلة معالجة شؤون المدينتين المقدستين بصورة مباشرة .

زيارة السر رونالد ستورز للنجف

وبينما كان الوضع الحكومي في النجف على مثل هذا زار بغداد رجل من رجال الانكليز الذين كان يتألف منهم « المكتب العربي » في القاهرة ، المشرف على شؤون الاستخبارات البريطانية الخاصة بالبلاد العربية جمعاء ، وهو (السر رونالد ستورز) الذي تعين فيما بعد حاكماً في القدس بمعية (هربرت صموئيل) المندوب السامي الصهيوني في فلسطين بعد احتلال الانكليز لها . وأصبح بعد ذلك حاكماً عاماً في قبرص حينما نفي اليها الملك حسين على أثر ابعاده عن الحجاز ، وفي روديسيا الشمالية كذلك . وكان الجنرال ستورز ، وهو ملم بالعربية تمام الالمام ، قد زار النجف في ١٩ مايس ١٩١٧ قادماً من كربلا فاتصل ببعض وجوهها وعلمائها ، ودوّن في كتابه (١) المعروف أشياء مهمة عنها في هذا الدور .

فهو يبدأ بوصف الطريق ما بين كربلا والنجف ويقول انه كان طريقاً سهلاً،

(1) Sir Ronald Storrs - Orientations, London, 1945

وبعد ان تجاوز منتصفه مع صحبه بانت له من بعيد القبة المذهبة وهي تتوهج بلمعانها في نور الشمس . وحينما وصل اليها بعد الظهر خرج الألوف لاستقباله على ما يزعم ، لا سيما وقد كانت الاسواق مغلقة بمناسبة حلول يوم المبعث (١) . وقد مر بعد ذلك في السوق المؤدية الى العتبة المقدسة ، ومن هناك توجه الى دار السيد عباس الكليدار . ويأتي على وصف البيت فيخص بالذكر منه السرداب الكبير الذي تنخفض الحرارة فيه بمقدار عشر درجات عن الخارج . وحينما صعد وقت الغروب الى سطح الدار القريبة من الحضرة المطهرة شاهد منه القبة والمآذن وبرج الساعة في الصحن عن قرب ، وصوّر مناظر عدة من هناك على ضوء الشمس الغاربة ، ثم استراح حتى دقت الساعة مشيرة الى الثانية عشرة غروبية . وقد تذكر حينذاك ساعة كيمبرج او « بيك بين » المشهورة . وبعد ان مل من مقابلة اعضاء المجلس البلدي وكبار الشيوخ على حد تعبيره ذهب الى الفراش في التاسعة والنصف .

وقداستدعى اليه في صباح اليوم الثاني(٢٠أيار)تجار الحرير والسجاد،ثم احضر فتاح الفتال الذي نفحه بعشر روبيات برغم عدم براعته في مهنته . وتحدث مدة من الزمن مع الشيخ هادي(٢) أحد شيوخ الجعارة فأنبه على ما كان يسمع عنه من تهريبه الطعام والأرزاق بواسطة عشائره الى ابن رشيد حليف الأتراك في نجد ، وهو يقول أنه فاتح شيوخ العشائر الآخرين بالموضوع نفسه وهددهم . وقد توجه الى الكوفة على أثر هذا فقصد مع جماعته دارعلوان الحاج سعدون شيخ بني حسن الذي يسيطر على الطريق الممتد من النجف الى المسيب على حد تعبيره . وقدحرضه خلال حديثه معه هناك على مهاجمة ابن رشيدونهب العشرة آلاف جمل التي يملكها فتعهد هو ومن كان معه من الشيوخ الآخرين على تنفيذ ذلك .. ؟

(١) أغلب الظن ان يوم وروده كان يوم ذكرى وفاة النبي أو أحد الائمة وإلا فلم تجر العادة في اغلاق الدكاكين في الأعياد . – (٢) المقصود به السيد هادي زوين ج. خ.

وبعد تناول الغداء مروا بجامع الكوفة وشاهدوا ما فيه من آثار ومواقع مهمة ، وفي معيتهم السيد عباس الكليدار ، ثم عادوا الى النجف ليرتاحوا في السرداب البارد . وفي الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم توجه السر (رونالد ستورز) مع رفيقه المستر (غاريوت) ، لزيارة العلامة الاكبر السيد كاظم اليزدي الذي يمتد نفوذه من العراق الى إصفهان . ويذكر ستورز في هذا الشأن ان الانكليز لم يكونوا مطمئنين من موقف السيد تجاههم ، وانه كان قد رفض مبلغ المئتي باون الذي قدم اليه على سبيل الهدية من قبل . وكان المستر غاريوت الذي رافقه في السفرة من بغداد قد طلب اليه في هذه المرة ايضاً ان يتحايل على السيد اليزدي فيقدم له رزمة بألف باون هدية من الحكومة . فاستثقل هذه المهمة الصعبة ، وكلف السر (رونالد ستورز) نفسه بان يتولى المهمة عنه ، فقبل بتحفظ . ودس الرزمة في جيبه ثم توجها الى دار السيد ، وهناك انتظر برهة من الزمن في خارج حجرته ريثما يخبر بحضورهما . فخرج لهما ، واذا به رجلا متقدماً في السن يلبس « زبوناً » أبيض ويعتمر بعمة سوداء وقد تخضبت لحيته وأظافره بحنة حمراء لـــاعة . فحياهما من بعيد وأجلسهما على الحصيرة بجنبه خارج الحجرة . ويقول (ستورز) بعد ان تبحر في وجه السيد انه أدرك في الحال السر في شهرته ونفوذه . فهناك قوة في سيمائه الواضحة وعينيه الرماديتين المتعبتين ، وسلطان في وجوده وحديثه الخافت مما لم يجد له مثيلاً في أي مكان آخر من بلاد المسلمين .

ويذكر كذلك أنه بعد أن أثنى عليه وعلى مواقفه المشرفة ، أخذ يسأله عما إذا كان هناك أي شيء يريدان ان يفعله الأنكليز له فبادره بقوله « حافظوا على العتبات الشريفة ، حافظوا على العتبات الشريفة » . فاعتبر (ستورز) أنه يقصد بذلك المحافظة على العتبات ومن فيها من جماعة العلماء والمجتهدين بوجه عام . ثم عاجله السيد بجملة اخرى طلب اليه فيها ان لا يعينوا في المدن الشيعية إلا الموظفين من أبنـــاء الشيعة ، وان يطلقوا سراح بعض الشيعة الذين كانوا معتقلين ومنهم

الدكتور مظفر بك، وان يعينوا المرزا محمد (وهو المحامي محمد أحمد الموجود حالياً في البصرة) قائمقاماً في النجف(١). وفي هذه المرحلة بدا السيداليزدي للسر (رونالد) وكأنه قد نزل من علياته بعض الشيء، لأنه أنعم عليه كما يقول بجملة ثناء أعقبها بكلمة فارسية خاطب بها عالماً آخر كان موجوداً في مجلسه، وقد علم بعد ذلك أنه قال له ان الاتراك لو كانوا يسلكون مثل هذا السلوك لما أضاعوا تعلق العرب بهم مطلقاً. فما كان من السر رونالد الا ان يعده بنقل توجيهاته ومشورته هذه الى السر بيرسي كوكس في بغداد. وبعد تردد وإحجام طلب الى السيد ان يختلي به وحده لمـدة ثلاث دقائق فقط، ثم ذكره بوجود عدد لا يحصى من الفقراء الذين كانوا ينظرون اليه في اعاشتهم على الدوام، واسترحم منه بأن يمد يد المساعدة للأنكليز في هذا الشأن. وحينما مد (ستورز) يده لتقديم رزمة الباونات الى السيد في هذه الاثناء دفع السيد الرزمة برفق مقرون بالعزم الاكيد وهو يعتذر عن قبولها. فلم يجد (ستورز) من اللياقة الألحاح على تقديمها، وعمد الى فتح موضوع الشريف معه. وهو يقول ان السيد كان من المعجبين (بالشريف) والمؤيدين له. وبعـد ساعة انقضت على هذا المنوال عزم السر (رونالد) على توديع السيد والعودة الى المنزل، غير انه قبل ان يفعل ذلك حاول تقديم الألف باون مرة ثانية اليه، لكنه رفضها من جديد بكل مجاملة وأدب. وهو يعتقد ان الشيء المهم الذي كان يعبأ به السيد هو الأنفة والأباء لا المال، وأنه لا بد ان يخضع في الأخير بطريقة مناسبة حينما يكون الدافع لذلك شيئاً لا مطعن فيه. وهذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة على حد تعبيره.

---

(١) كان المرزا محمد قد اشتغل مع الانكليز قبل الحرب في منطقة الخليج، وجاء مع الحملة الى العراق فعين معاوناً للحاكم السياسي في كربلاء.

وحينما عاد ستورز بعد ذلك الى منزل مضيفه السيد عباس الكليدار طلب اليه ان يشاركه في تناول العشاء ويضحي بآداب المجاملة التي تدعوه الى الوقوف في خدمة الضيف في أثناء تناول الطعام وهو يذكر باعجاب ان السيد عباس وقف بعد ذلك للعناية بتقديم العشاء للسواق أيضاً على المائدة نفسها . ثم آوى الى فراشه بعد مدة وقضى ليلة خالية من النسيم تماماً فوق السطح ، وقد تسنى له خلالها ان يعجب بالهدوء التام والصمت الغريب الذي كان يلف النجف ما بين الساعة الثانية والرابعة بعد منتصف الليل وقبيل الفجر كذلك .

وقد غادر السر (رونالد) النجف صباح اليوم الثاني (٢١ أيار ١٩١٧) بعد أن وزع حوالي مئة وخمسين روبية على الخدم فيها . فمر عند خروجه منها الى طريق كربلاء بالمقابر التي يدفع فيها الناس ستين باوناً لقاء السماح لهم بدفن موتاهم وهو يقول انه سر تمام السرور لانه ابتعد عن ضيق البيوت التي كانت تحتشد بالخمسين الف نسمة من سكانها المحصورين بين جدرانها الضيقة من دون ان تتهيأ الفرصة لأن يقع نظرهم على أي نبات أخضر أو تشم أنوفهم الماء الذي .

النجف في أيام الاحتلال البريطاني

لقد كان قدوم السر رونالد ستورز الى النجف في وقت لم يكن قد تشكل فيها أي نوع من أنواع الحكومة الجديدة بعد احتلال بغداد سوى التخويل الذي خولت به سلطات الاحتلال شيوخ البلد من أمثال الحاج عطية أبي كلل وجماعته بالمحافظة على الامن والسكينة ، كما تشير اليه المس بيل في تقريرها المذكور آنفاً . وقد بقي الوضع على هذا المنوال حتى تعين حميد خان وكيلاً حكومياً لأدارة النجف في حزيران(١) ١٩١٧ ، أي في نفس الوقت الذي عين فيه للكوفة

....

(١) لكن آرنولد ويلسن ، وكيل الحاكم الملكي العام ؛ يقول في كتابه «بين النهرين» ج ٢» « أن حميد خان وصل الى النجف في تموز ممثلاً عن سلطات الاحتلال العسكرية .

رجل مسيحي من أهالي بغداد ذو خبرة إدارية يدعى سركيس أفندي (١) . وتقول المس بيل ايضاً ان النقص في المواد الغذائية التي كانت متيسرة في النجف قد أدى في تشرين الاول ١٩١٧ الى حدوث اصطدام محلي فان أحد شيوخ عنزة الرحل ، حلفاء الانكليز في بادية الشام ، جاء يحمل كتاباً من الحاكم السياسي المسؤول عن حدود البادية الكولونيل (ليجمن) الى (حميد خان) يوصيه فيه بمساعدة الشيخ العنزي على اكتيال مقدار غير يسير من الحبوب . فسمح للشيخ بشراء ما يحتاجه ، لكن الخبر ما كاد يشيع في البلدة حتى قفزت الاسعار وارتفع مستواها في السوق ومن سوء الحظ ان (فهد بك بن هذال) شيخ مشايخ عنزة الشرقية بعث في اليوم الثاني الفاً ومئتي بعير ليبتاع اصحابها الحبوب من أسواق النجف ايضاً برخص موقّعة منه . فكان هذا اكثر مما كان بوسع البلدة ان تجهزه للبادية ، فهب الأهالي مجتمعين صاخبين . واخذوا يتصيدون من كان داخل البلدة من افراد عنزة ، وفي ١ - ٢ تشرين الثاني نظموا مظاهرة صاخبة حول مخيمهم . وهناك وقع شجار تبودلت فيه بعض العيارات النارية بين الفريقين ، وقتل بعير من الأباعر ، ثم نهبت ثلاث بندقيات وحاجات كثيرة اخرى. ولم يستطع (حميد خان) المسؤول، الذي لم تكن تدعم سلطته الحكومية اية قوة ، معالجة الموقف أو منع الاصطدام (٢) .

حميد خان

(١) لتعيين حميد خان وكيلا للحاكم السياسي في النجف وامتناعه عن قبول هذه الوظيفة حكاية يراجع بشأنها كتاب (هكذا عرفتهم) .

(٢) الص ٦ من الترجمة العربية (فصول من تاريخ العراق القريب) .

وقـــد ورد في كتاب (بين النهرين – أنواع الولاء) (١) الذي كتبه السر (أرنولد ويلسن) وكيل الحاكم الملكي العام في تلك الأيام عن نتيجة هذا الحادث ان حميد خان لم تكن تحت تصرفه أية قوة تمكنه من توطيد الأمن والسيطرة على الموقف ، ولذلك طلب من الحاكم الملكي العـام قبول استقالته . فما كان من الحاكم العام (وهو السر بيرسي كوكس) الا أن يقترح على القائد العام للقوات المحتلة يومذاك تعيين ضابط بريطاني في تلك المنطقة . ويؤيد ذلك ما كتبه السر بيرسي نفسه في الخلاصة (٢) التي كتبها عن المس بيل ونشرت في رسائلهـــا المشهورة . فهو يقول « ومع أن كربلا لم تسبب لنا مشكلة خطيرة فان النجف التي كانت فريسة في أيدي شيوخ البلد المحليين ، قد بقيت شوكة في جانبنا مدة من الزمن .. » ولذلك قمت بجـولة في المنطقة خلال كانون الأول ١٩١٧ لأكون في وضـــع يؤهلني لتقديم المشورة الى القائد العام للقوات المحتلة بالنسبة لمختلف النقاط الادارية التي تجعل من مرابطة مفرزات خاصة من الجيش فيها شيئاً ناجحاً. وكان من غير المرغوب فيه بطبيعة الحال ، ومما لا يأتلف مع بياناتنا السابقة ، أن نبادر الى وضع قطعات من الجيش في الأماكن المقدسة نفسها . وهذا الوضع بالذات هـو الذي جعل من الصعب علينا أن نسيطر سيطرة تامة على النجف التي كانت العناصر الخارجة على النظام والقانون فيهـا خاضعة لتأثير الدعاية التركية الالمانية واستثارتها المستمرة . وقد وجدت الدلائل الواضحة على هذه الاستثارة ما بين أوراق العدو التي وقعت في أيدي قواتنا في الرمادي وهيت بعيد ذلك .

وعلى هذا فقد تعين الكابتن (بلفور) الذي كان يتقن العربية لاشتغاله السابق في السودان ، حاكماً سياسياً في المنطقة للاطلاع على الأوضاع فيها ، فمر بالنجف

(1) Sir Arnold T. Wilson - Loyalties, Mesopotamia, Vol I, 1914 - 1917 London 1936

(2) Historical Summary - Major - General Sir Percy Cox, GC MG etc.

من دون أن يكون معه أحد لحراسته سوى البعض من شيوخ المنطقة نفسها . وهناك اتخذ الترتيبات اللازمة لحل مشكلة النزاع الذي حدث مع عنزة بعد فرض الدية والتعويضات على شيوخ البلد في النجف. ثم غادرها لاستئناف جولته في تلك الأنحاء بعد أن أبقى حميد خان في منصبه بصفة معاون له . وحينما عاد الكابتن بلفور بعد يومين الى النجف وجد ان الشروط المتفق عليها لم تنفذ .

ومما جاء في تقرير (المس بيل) في هذا الشأن ان الكابتن بلفور حينما عاد الى النجف بعد أيام قلائل لم يحضر لمقابلته الا اثنان من شيوخ البلد فقط ، وهما الحاج عطية وكاظم صبتي ، فأدت المحاولة للضغط على هذين الشيخين الى وقوع شغب في البلدة أثاره الحاج عطية نفسه بصورة سرية . فصمد بلفور لما حدث وظل في مكانه حتى عندما هوجمت الدائرة الحكومية التي كان فيها ثلاث مرات متواليات من المتجمهرين ، لكنه قبل بعد ذلك أن يترك الدائرة بحماية الكليدار الى بيت الكليدار نفسه الواقع على مسافة من دوائر الحكومة . ولم يتوقف الشغب حتى بعد أن نهبت الدائرة المذكورة نفسها . وفي أواخر النهار وقعت اضطرابات مماثلة في الكوفة ، حيث دعا الوكيل الحكومي هناك الشيوخ المحليين فسيطر على الموقف بسرعة ، ووقعت مثلها في أبي صخير أيضاً ، فنهبت الدائرة فيها وجردت من كل شيء . ومع هذا كله فقد بقي (الكابتن) من دون قوة عسكرية تؤازره أو تحميه ، فالتجأ الى المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي طالباً المعونة . فدعي الحاج عطية وكاظم صبي بإشارة منه ، وصدر الأمر بالعفو عنهما فعادت البلدة الى أحوالها الاعتيادية .

ثورة النجف

أما ما حدث بعد ذلك في النجف فان السر (أرنولد ويلسن) و (المس غيرترود بيل) يتفقان تمام الاتفاق فيما يذكرانه ، في كتابيهما المشار اليهما ، عنه

من ناحية التفصيلات والأشخاص وغير ذلك . فقد جعل (الكابتن بلفور) محل إقامته في الكوفة ، غير أن العناية الكبرى التي كانت تتطلبها الشؤون الزراعية في المنطقة ، وضرورة حسم الامور بالقوة في كثير من الأحيان ، جعلت من غير الممكن إبقاء بلفور معتمداً فقط على حسن نيـــة الشيوخ ، والسادة الملاكين تجاهه في الوقت الذي كان يتعرض فيـــه الى موقف (عطية أبي كلل) العدائي تجاهه على حد تعبير (أرنولد ويلسن) ولذلك زار الحاكم الملكي العام (السر بيرسي كوكس) منطقة الفرات كلها في أوائل كانون الأول ١٩١٧ ، وبإشارة منـــه وضعت مفرزات عسكرية صغيرة في مختلف النقاط الكائنة على النهر وليس في النجف نفسها . لأن هذه البلدة بنفوسها البالغة (٤٠،٠٠٠) نسمة كانت تستدعي وضع عدد كبير فيها من الجنود ، وقد تكهن من يعنيهم الامر بأن وجود قوة مختلطة في الكوفة التي تبعد بمسافة سبعة أميال عنها سيكون له التأثير المهدىء المطلوب بصورة غير مباشرة على ما تقوله (المس بيل) وقد قابل (السر بيرسي كوكس) خلال جولته شيوخ النجف في الكوفة، عدا الحاج عطية الذي تجنب الحضور خوفاً من الإيقاع به . على أنه تشبث بمقابلته حينما قام بزيارة قصيرة الى النجف ، لكنـــه أفهم في هذه المرة أنه يجب أن يأتي الى بغداد من أجل ذلك .

وبينما كانت الخيـــالة الهندية التي وضعت في الكوفة تقوم بإجراء تمرينات عسكرية في السهل الواقع خارج النجف ، يوم ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ ، أطلقت النار عليها عصابة تتألف من مئة وخمسين رجـلاً من أتباع عطية من سور البلدة فقتلت خيالاً واحداً وجرحت آخر . ثم أطلقت النار مدة من الزمن على طائرة بريطانية كانت محلقة في جو النجف ، ونهبت دوائر الحكومة فيها فاضطر حميد خان وموظفوه الذين كانوا كلهم من العراقيين الى أن يفروا الى الكوفة. فزحفت الخيالة من دون أن تطلق الرصاص على المدينة المقدسة فطوقتها ، وعندذاك

أرسل الضابط قائد هـــذه القوة ، الذي صادف أن كان موجوداً في النجف حينذاك ، سالماً الى خارج باب السور بواسطة شيخ محلة المشراق الحاج سعد . ثم قام الحاج سعد هذا والسيد مهدي السيد سلمان وهو أوقر شيوخ البلد على الاطلاق على ما تقول (المس بيل) ، وآخرون أقل أهمية منهما ، بزيارة الكابتن بلفور في الكوفـة يوم ١٤ كانون الثاني فأعيد الجميع الى النجف بعد أن طُلب اليهم أن يعملوا على المحافظة عـلى الأمن والسكينة . وفي اليوم التالي أذعن كاظم صبّي لأمر حضوره بين يدي الحاكم السياسي في الكوفة ، فوجد الحاج عطية نفسه وحيداً في الميدان ففر الى الشيخ عجمي السعدون الذي كان قد بقي على ولائـه للأتراك وقد لازم استيطان البادية . وبعد هذا فرضت غرامة خمس مئة بندقية وخمسين ألف روبية بالنقد عـلى النجف ، فدفع المبلغ وسلمت البنادق في اليوم الأول من شباط وهو اليوم المعين لها . وفي اليوم ذاته أشغل (الكابتن مارشال) معاون الحاكم السياسي الجديد مع شرذمة قليلة من الحرس الخان الذي كان الحاج عطية أبو كلل قد بناه ليقيم فيه هو نفسه في خارج الباب الشرقي للنجف مبـــاشرة .

وكان الكابتن مارشال قد نقل الى النجف من الكاظمية التي أبدى فيهـــا موجودية خلال الأشهر العشرة التي اشتغل فيها ، كما كان له إلمام غير يسير باللغة الفارسية وشؤون العتبات المقدسة على حد تعبير (أرنولد ويلسن) وتقول (المس بيل) عن هذه الفترة من تاريخ النجف ان أول تدبير وأهمـه كان من الضروري ان يتخذ لتأمين الحالة في البلدة هو إعادة تشكيل الشرطة فيها . لأن قوة الشرطة التي جندت الى هـــذا التاريخ في النجف كان أفرادها من أهالي البلدة نفسها ، وكانوا يمالئون شيوخها في كثير من الأحيان . ولذلك أرسل من بغداد والكوت عدد من أفراد الشرطة الشيعة ليعملوا فيها ، وجند عـــدد آخر من خارج النجف . ثم قطعت المخصصات التي كانت تمنح الى شيوخ البلدة حينما كانوا

موكلين عن سلطات الاحتلال فيها ، وكان ذلك باشارة من الكابتن (مارشال) نفسه . وتقول (المس بيل) كذلك : ان جباية رسوم البلدية ، التي كانت غير منتظمة للغاية لعدة سنين خلت ، قد وضعت في هذه الفترة على أسس قويمة . وشُرع بتنظيف البلدة التي كانت بحالة صحية مزرية . وما انتهى كانون الثاني ١٩١٨ حتى كان الكابتن مارشال منهمكاً في حل مشكلة الماء العذب وتوفيره للبلدة بمقادير كافية .

لكن النجف على ما يبدو كانت تغلي في تلك الأثناء ، بعد ما ترامى الى أهلها من عجرفة رجال الاحتلال البريطاني وتصرفاتهم البعيدة عن العدل والإنصاف . وكانت تتهيأ فيها يوماً بعد يوم عوامل الثورة العارمة ووسائلها الدافعة ، وتنتشر بين شبانها روحية الاستقلال في الحكم والشعور القومي الذي بدأت تباشيره تغزو هذه الجهات . غير ان (المس بيل) ، التي يؤيدها في رأيها (أرنولد ويلسن) بطبيعة الحال ، تحلل هذا الوضع على غير حقيقته وتحاول حصر الحركة في نطاقها المحلي الضيق .

فهي تقول ان الحكومة الصالحة التي جاءت بالكثير من المنافع الى البلدة لم تكن مقبولة عند الجميع . فان رعاع البلدة من العشائر ، وحتى بعض السادة من صغار الشأن الذين وجدوا انتفاعاً من التصيّد في الماء العكر، كانوا يحملون شعوراً عدائياً متستراً تجاهنا . لكن التجار وطبقة الرأي العام الفقيرة ، وسماحة السيد كاظم اليزدي وأتباعه ، ارتاحوا ارتياحاً صريحاً بكسر النير الذي كان قد وضعه في رقابهم شيوخ البلدة من قبل وبالعودة الى الحالة الاعتيادية الرتيبة . ثم تحاول المس بيل وضع ما سيحدث بعيد هذه الفترة بقالب آخر ، وتعزوه الى أسباب غير الأسباب الحقيقية. ولذلك نجدها تشير الى أن التسوية النهائية لوضع النجف المضطرب قد صادفت تأخراً آخر ، لأن الدسائس التركية في المنطقة

نشطت الى العمل أكثر من نشاطها السابق . فعندما استولت الفرقة الخامسة عشرة البريطانية على (هيت) وغزت(عانة) وقع في أيدي رجالها ضابط ارتباط ألماني كانت في حوزته أوراق ومستندات كثيرة . وقد دلت هذه المستندات على أنه كانت توجد في النجف لجنة خاصة لإشعال ثورة إسلامية فيها ، وجعلها مركزاً لخلق الاضطرابات والقلاقل بين العشائر . وكان مئة أو أكثر من رجال الدين مشتركين فيها ، لكنها لم تكن تضم أناساً ذوي أهمية من الدرجة الاولى . وتروي كذلك ان رئيس هذه اللجنة كان شخصاً من اسرة بحر العلوم العلوية(١)، وكان هذا نشطاً في الدعوة الى الجهاد ضد الانكليز الى أن سقطت بغداد بأيديهم . وقد عرفت الخطة تمام المعرفة ، لأنها كانت ترمي الى استغلال التدابير الفعالة التي يمكن أن تتخذها الحكومة البريطانية ضد البلدة المقدسة واتخاذها مادة صالحة للدعاية التركية الألمانية في المستقبل .

ثم تستمر في هذا التحليل فتقول ان شيوخ البلدة : الذين جردوا من الامتيازات التي ساءوا إستعمالها ، كانوا بطبيعة الحال حقلاً خصباً لتلك الدعاية. وهناك ما يحمل على الاعتقاد بأن مؤامرة خاصة كانت قد حيكت لقتل الحكام السياسيين الذين كانوا يعملون في الفرات الأوسط . أما مقدار اشتراك ضابط الاستخبارات الألماني في هذا العمل، الذي تسميه جريمة، فقد كان شيئاً غير أكيد.

وهي ترى ان الانفجار الذي وقع في النجف كان من المحتمل أن يكون قد حصل قبل أوانه ، أي قبل أن توضع الخطة وضعاً تاماً له . فكانت النتيجة ان الأدارة البريطانية قد خسرت حاكماً سياسياً واحداً فقط في هذه الجهات. فقد قتل (الكابتن مارشال) معاون الحاكم السياسي في داره الواقعة خارج البلدة على يد عصابة متكونة من اثني عشر قاتلاً في فجر يوم ١٧ مارت . وتقول

---

(١) هو السيد محمد علي بحر العلوم .

(المس بيل) ان اثنين من القتلة كانا من أولاد الحاج سعد ، وثلاثة من الشرطة المسرحين ، وكان الرئيس « شقياً » مأجوراً . ثم تذكر ان المحركين الأساسيين للمؤامرة كانا الحاج سعد وكاظم صبي .

على ان المراجع المحلية ، التي يؤيدها (السر أرنولد ويلسن) في روايته للحادث من دون ذكر الأسماء ، تقول ان العصبة التي تطوعت لقتل الكابتن مارشال وإعلان الثورة كانت برآسة الحاج نجم البقال . والمعروف إنه كان رجلاً من الأخيار حفزه الى الإقدام على هذا العمل الخطير تدينه وشعوره الوطني. وقد لبس هو وجماعته لباس « الشبانة » في ليلة الحادث وانسلوا من كوة في سور البلدة تقع في محلة المشراق . ثم كمنوا في المقبرة حتى الفجر ، وبعد ذلك دخلوا البناية التي كان الكابتن يسكن فيها وهي (خان عطية) بخدعة وقتلوه كما قتلوا طبيباً ارلندياً كان معه . وقتل من المهاجمين رجل واحد وجرح آخر فحملا بعد انتهاء المعركة . ومما يقوله (ويلسن) ان (الكابتن بلفور) وصل على أثر ذلك من الكوفة الى النجف ، ومع انه جوبه بنيران حامية من ثوار البلدة فقد استطاع أن يدخلها فيخرج معه بعد ذلك نصف قوة الشرطة التي كانت مرابطة في الداخل بعد أن قتل اثنان من المجموع والتجأ الباقون الى دار السيد مهدي السيد سلمان .

وتزعم (المس بيل) ان الرأي العام في بغداد وكربلا والحلة والكاظمية قد أجمع على استنكار ما قام به أولئك الثوار في النجف . وبقيت العشائر كلها محافظة على الهدوء عدا شيخين صغيرين معروفين بتمردهما على القوانين (١) كانا مشتركين بالمؤامرة كما ظهر فيما بعد . غير أنه ليس هناك شك بأن العشائر كانت

(١) المقصود بالشيخين هما رئيسا قبيلة الحواتم سلمان الفاضل ودرويش

كلها ترمق النجف باهتمام، وان أي تدابير فعالة كانت ستتخذ ضد المدينة المقدسة كانت ستثير شيئاً لا يستهان به من النقمة والغضب . لكن الخطر الرئيسي في رأي (المس بيل) كان ينطوي في عكس ذلك ، لأن التقصير في الاقتصاص من قتلة ضابط بريطاني كان سيضع أرواح جميع زملائه تحت رحمة أناس مثل الحاج سعد الحاج راضي الذين كان يحرضهم الذهب التركي . ولا أدري كيف توفق (المس بيل) بين قولها هذا وبين اعتماد الإنكليز على الحاج سعد وزملائه في تمشية أمور البلد عند انسحاب الترك منها .

فبادر القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق، الجنرال (مارشال)، الى العمل السريع الحاسم على حد تعبير ويلسن فقد سيق الى النجف في الحال لواء كامل من الجيش البريطاني فحاصرها بقيادة الجنرال (ساندرز) حصاراً تاماً. ثم أعلنت على الملأ الشروط المؤدية الى رفع الحصار عنها. وكانت الشروط كالآتي :

(١) تسليم المحرضين على مهاجمة الكابتن مارشال والمشتركين في قتله من دون قيد أو شرط .

(٢) دفع غرامة عينية من السلاح قدرها ألف بندقية

(٣) دفع غرامة نقدية قدرها خمسون ألف روبية .

(٤) نفي مائة شخص الى الهند واعتبارهم أسرى حرب

(٥) والى أن تنفذ هذه الشروط بحذافيرها تحاصر البلدة حصاراً تاماً ، ويقطع الماء والطعام عنها .

ويضيف (أرنولد ويلسن) الى هذا القول ان العلماء الشيعة في ايران والعراق كله قد اتصلوا بأقرب الموظفين البريطانيين اليهم وأبدوا لهم تخوفهم من النقمة والسخط العام على هذه التدابير . وعبرت الحكومة الإيرانية نفسها للوزير

البريطاني المفوض لديها عن مخاوفها من أن تؤدي أخبار هـــذه الحركة الى قيام رجال الدين في بلادها بما يتكون من نتيجة وضع مخطر في البلاد . ثم وصلت الى القائد العام برقيات ، من حكومة الهند في كلكتا ووزارة الهند في لندن ، تدل على التخوف الذي كان يساور المسؤولين مما قد تؤدي اليه مثل هـــذه التدابير الحاسمـــة .

وفي اليوم السابع من نيسان احتل الجيش أكوام التراب المجاورة لمحلة الحويش ، لأنها كانت تسيطر على البلدة سيطرة تامة ، وأخلي من بقي من الموظفين في داخل البلدة عنهـا . وفي خلال الأيام القلائل التالية استولى الجنود على جميع الحصون التي كانت موجودة في السور . وفي أثناء سير هذه الحركات لم تطلق إطلاقة واحدة على البلدة نفسها كما يؤكد السر (أرنولد ويلسن) و (المس بيل) في كتابيهما ، وحوفظ على علاقات ودية مستديمة مع المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي .

وفي العاشر من نيسان ١٩١٨ بدأ استسلام القتلة (كما يزعم) والرجال الذين ادخلت اسماؤهم في قائمة المشتبه بهم . ولم يحل اليوم الاول من مايس حتى كان (١٠٢) من مجموع (١١٠) اشخاص في قبضة الجيش المحاصر وهوجم الحاج عطية من قبل عنزة الموالين للانكليز فسلم نفسه في السماوة قبـل نهاية نيسان ، وفي ٤ مايس رفع الحصار عن النجف . ثم عـين ضباط ثلاثة من ذوي الكفاية والاهلية لمحاكمة القتلة ، وجرت المحاكمة باللغة العربيـــة كما تزعم (المس بيل) فحكم على ثلاثة عشر شخصاً بالاعدام (١) ، وأبدل القائد العام الحكم على احدهم الى السجن المؤبد . كما حكم على خمسة بالسجن المؤبد كذلك ، وعلى اثنين بالسجن

(١) ويعتبر عباس الخليلي الثائر الوحيد الذي نجـا من الاعدام وقد نجا بأعجوبة ، إذ فر متستراً في ألبسة نسوية وعبر حدود العراق الى ايران ولا يزال لليوم هناك . وقد كان سكرتير حزب (النهضة الاسلامية) السري الذي قام بهذه الثورة .

ج خ

لمدة أقصر، يضاف الى ذلك ان مائة شخص مشتبه بهم سفروا الى الهند كأسرى حرب . وتم تنفيذ حكم الاعدام بحق المحكوم عليهم في الكوفة في اليوم الثلاثين من مايس .

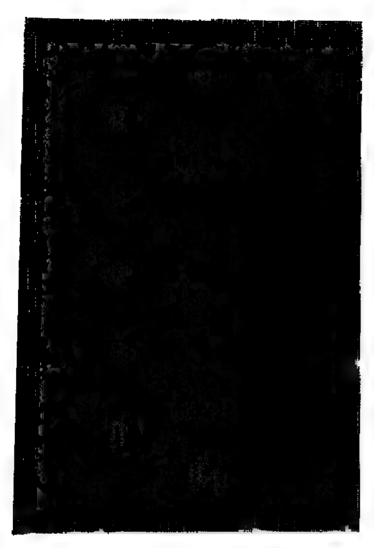
ومما تذكره المس بيل ان اجتماعاً قد عقد بعد ظهر اليوم نفسه في دار كليدار النجف ، قدمت فيه الى الحاكم السياسي الكابتن بلفور جماعة وقالت انها تمثل رجال الدين والأهالي وشيوخ المحلات « سيف شرف » على سبيل الهديه (١) . وبعـــد عشرة أيام قام القائد العام بزيارة رسمية للبلدة فذبحت له الذبائح عنـد دخوله من بابها بصورة لم يسبق لها مثيل منذ زيارة ناصر الدين شاه ملك ايران ، ثم جرت حفلة استقبال في بيت الكليدار حضرها العلماء والوجوه والشيوخ على ما تزعم (المس بيل) وفي الخطاب الذي ألقاه القائد العام بهذه المنـاسبة أوعز الحاكم السياسي بتأسيس دائرة « بلدية » تتولى شؤون البـلد وتنظيمه ، ووعد بالعمل على تحسين مياه الشرب . وقد حضر هذه الحفلة السر (ارنولد ويلسن) نفسه كذلك . وهو يقول في كتابه ان الكليدار تكلم فيها مبديـــاً ارتياحه وارتياح النـــاس المتناهي لأنقاذهم من ايدي « الأشرار » . وحينما قدم السيف للكابتن بلفور الحاكم السياسي ناشده ان يدافع به عن حرية البلدة وسكانهـا في المستقبل كما فعل في السابق . ويذكر ويلسن كذلك ان الكليدار قـــدم له هو ايضاً خاتماً فخماً من الذهب ومفتاحاً من الفضة .

والمعروف بين المطلعين من الناس ، وفي بعض المراجع المحلية ، ان الذين تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم هم : كريم ، وأحمد ، ومحسن ، اولاد الحاج سعد الحاج راضي ، ورابعهم عبدهم سعيد ، وعباس علي الرماحي ، وعلوان علي الرماحي،

---

(١) ورجال الدين هؤلاء هم الذين سماهم الناس بعلماء الحفيز (الاوفيس) تمييزاً عن رجـــال الدين الاخرين كما مرت الاشارة اليه قبلا

وكاظم صبي ، وجودي تاجي ، ومجيد بن مهدي الحاج دعيبل ، والحاج نجم ، ومحسن ابو غنيم . اما المنفيون من أهل النجف فقد كان من بينهم الشيخ محمدجواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم ، وسعد الحاج راضي والحاج عطية ابو كلل وأولاده وأقاربه . وقد تدخل الشيخ خزعل شيخ المحمرة بأمر الشيخ الجزائري والسيد بحر العلوم فأعفيا من النفي وأقاما في المحمرة برعايته .



عباس الخليلي في اول معركة من معارك الاستقلال (ثورة النجف الاولى) وهو الوحيد الذي نجا من حبل المشنقة وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً

ولا شك ان معظم العراقيين ، والنجفيين خاصة ، يعتقدون ان ثورة النجف هذه كانت حركة وطنية مهدت الأمر لاندلاع نيران الثورة العراقية المعروفة في ١٩٢٠ ، التي استحصلت للعراق استقلاله وحكمه الوطني. وهذا كما لا يخفى مغاير لبعض ما يفهم من لهجة (المس بيل) و (أرنولد ويلسن) ، وغيرهما بطبيعة الحال . وتكاد المس بيل تعترف فيما كتبته بان هذه الثورة كانت مقدمة لثورة العشرين المعروفة، ولكن بلهجتها المعهودة. فهي تقول بعد سرد الحوادث المذكورة أن كربلا والنجف بقيتا تكوّنان قنبلة مزدوجة للفوران السياسي الذي كانت تسهل اثارته برد الفعل للحوادث التي تقع في ايران او بما يحدث من الأحداث في العراق نفسه. ثم تضيف الى ذلك قولها : ولم تعر القبائل المجاورة التي كانت مشغولة بزراعتها التفاتاً لما وقع ، برغم أنه في شتاء ١٩١٨ — ١٩١٩ دبر المجتهدون المتحركون اثارة بعضها كما سيذكر فيما بعد . بالاضافة الى قولها الذي

اشرنا اليه من قبل واعترافها بكون هده الثورة ربما كانت تكون ذات قيمة لو جاءت في وقتها المناسب اذ تقول عن ثورة النجف « .. ان الانفجار الذي وقع في النجف كان من المحتمل ان يكون قد حصل قبل أوانه – أي قبل ان توضع الخطة وضعاً تاماً له – » .

التفكير بتأسيس حكم وطني في البلاد

وبعد هذه الحوادث المثيرة التي برهنت فيها النجف للانكليز على صلابة عودها وقوة شكيمتها ، حدثت تطورات خطيرة في احوال العراق والسياسة العالمية . فقد انتهت الحرب ما بين بريطانية العظمى والامبراطورية العثمانية . وأعلنت الهدنة بينها في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ . وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ أعلن في العراق التصريح الانكليزي – الفرنسي الذي وعد فيه الانكليز والفرنسيون بتأسيس « حكومات وادارات وطنية حرة تلتخب وفق رغائب الأمة وتستمد سلطتها منها » للاقوام والبلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية وحكمها الجائر . وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ سمحت السلطات المحتلة بأن تنشر في العراق بنود الرئيس ويلسن الأربعة عشر ، التي كانت الدول الحليفة والمركزية قد اتفقت على اتخاذها أسساً لعقد الصلح فيما بين الفريقين المتحاربين . فما كان من الجنرال (مارشال) القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق بعد أن اعلنت الهدنة إلا أن يدعو على عجل وجهاء بغداد ورجالها المعروفين فيلقي عليهم خطابا طبعت نسخ كثيرة منه بالعربية والانكليزية ، ووزعت في جميع انحاء المناطق المحتلة . وقد اشار الجنرال (مارشال) في خطابه هذا الى بيان سلفه الجنرال (مود) الذي اذاع فيه بعد احتلال بغداد بأن الانكليز قد جاءوا « محررين لا فاتحين » . ثم أعلن على الملأ رفع القيود الكثيرة التي كانت تقتضيها ظروف الحرب والقضاء على العدو . ومن جملة ما رفعت عنه القيود بمقتضى هذا

الخطاب نقل الجنائز من مختلف الجهات ودفنها في مدافن النجف وكربلا بشروط مناسبة على حد قول (أرنولد ويلسن (١) وفتح الطرق للزوار الذين يقصدون العتبات المقدسة في ايام الزيارات المعتادة .

وقد أدت هذه التطورات الخطيرة ، والوعود الرسمية المهمة ، الى حدوث نشاط سياسي فعال في اندية بغداد ومحافلها السياسية فتأثرت به جهات البلاد الاخرى ، ولا سيا النجف والفرات الاوسط كله ، الى درجة لا يستهان بها ، وتقول (المس بيل) في تقريرها المشار اليه ان التصريح الانكليزي الفرنسي الذي صدر بعد الهدنة كان له وقع مهم بين العراقيين . فان بعضهم كان يعتبره دالاً على عدم تأكد مذيعيه من المستقبل ، وذهب البعض الآخر الى نقيض ذلك وأخذ يفسر الرغبة التي اعرب عنها الحلفاء بتصريحهم في تأسيس حكومة وطنية في العراق بأنه اعتراف بقدرة العرب على الاضطلاع بمسؤولية الادارة الوطنية من دون مساعدة او سيطرة . وما مر اسبوع على نشر التصريح في بغداد ، حيث تكون الاطماع السياسية على درجة كبيرة من التطور بالنسبة لجهات العراق الاخرى ، حتى كانت فكرة تنصيب امير عربي في العراق موضع بحث في كل مكان وقد صادفت قبولاً عاماً في الاوساط المسلمة .

وقد وصلت الى الجهات المسؤولة ببغداد في هذه الاثناء (٣٠ تشرين الثاني) تعليمات من لندن يطلب فيها ان تقوم السلطات المحتلة باجراء استفتاء عام في العراق ، لأن الحكومة البريطانية كانت تتجه نيتها الى « قضية تأسيس أحسن شكل للحكومة فيه (١) » . وطلب ان يكون الاستفتاء على النقاط التالية :

١ – هل يفضل العراقيون تأسيس دولة عربية واحدة تستهدي بارشادات بريطانية ، وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج ؟

١ – ص ١٠٢ من كتاب ويلسن ، ج ٢ .

٢ – وفي هذه الحالة ، هـــل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها امير عربي ؟

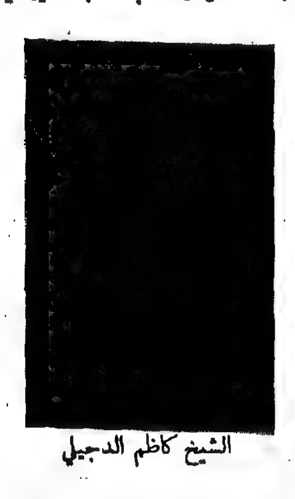
٣ – واذا كان الامر كذلك ، من هو الذي يفضلون نصبه رئيساً للدولة ؟

وحينما صرح السر (ارنولد ويلسن) وكيل الحاكم الملكي العـام ، بالأمر واتخذ مـــا يلزم لاجراء الاستفتاء في البلاد اصدر تعليمات خاصة الى الحكام السياسيين في الالوية بأن يتأكدوا من الحصول على نتائج تكون مطابقة لمقترحاته التي كانت تعارض في تشكيل حكم وطني في البلاد ، كما كان يريد البعض من رجال الإنكليز . ولذلك اتخـــذت السلطات الإنكليزية جميع التدابير والاحتياطات للتأثير على النتائج الحقيقية في جميع المناطق . فكان لهـا ما أرادت في مناطق كثيرة ، لكنها لم تستطع الحصول على ما كانت تريده بسهولة من النجف وكربلا والكاظمية وبغـــداد . ويقول الدكتور فيليب (آيرلاند) (١) الأميريكي في كتابه (العراق – دراسة في تطوره السياسي) في هذا الشأن ان سير الاستفتاء في المدن المقدسة مثل النجف وكربلا والكاظمية ، وفي بغداد ، لم يكن سهلاً كما ان نتائجه لم تكن على الوجه المطلوب . فقد مر في النجف بمراحل ثلاث بالنسبة لموظفي الحكومة المسؤولين عن سيره . إذ استبان لأول وهـــلة بأنه سوف لا يجابه صعوبة كبيرة ، ولما كان وكيل الحاكم الملكي العام يدرك أهمية النجف الستراتيجية ، فقد واجه بنفسه الأشراف الذين كانوا يمثلون جمال الدين وشيوخ العشائر وأوضح لهم ان المطلوب منهم الإجابة على أسئلة ثلاثة لا غير . فكانت النتيجة الاعتراف بتفضيل الحمـــاية البريطانية على البلاد الممتدة من الموصل الى

(1) Philip Willard Ireland - Iraq, A study in political Development.
وهو الكتاب الذي ترجمه كاتب هذه السطور باسم (العراق ـ دراسة في تطوره السياسي) ونشر في ١٩٤٩

الخليج من دون تعيين أمير . ثم يقول آيرلاند انه بعد مرور يومين على هذا الاجتماع وصل الى النجف من بغداد رجل شيعي ذو شهرة محلية وحرض الوجهاء على عدم إرسال العريضة الأصلية . وعندما علمت السلطات بالأمـــر اتصلت بالوجهاء البارزين ومنهم (السيد كاظم اليزدي) ، وبمساعدته توصلت الى «نتائج ناجحة» ونظمت سلسلة تتألف من أربع عشرة مضبطة استحصلت من بعض الأشخاص والجماعات . وقـــد طولب في بعضها بالحماية البريطانية وبتعيين أمير على رأس الدولة عندما تكون البلاد مستعدة لذلك . على انه طولب بعدة مضابط أخرى بحكومة عربية يرأسها أمير من دون أن يذكر شيء عن بريطانية العظمى مطلقاً (انتهى قول آيرلاند) .

وتقول (المس بيل) في مذكرة (١) قدمتها الى الجهة المختصة عن « الحكم الذاتي » في العراق في شباط ١٩١٩ (يوجـــد نصه في ملحقات الجزء الثاني من كتاب ويلسن) ، « .. ان أحد الشبان الشيعة في بغداد زار النجف بعد يومين بحجـــة الأشغال الخاصة ، وشرع بتنفيذ خطة موضوعة لإقناع أهالي النجف والشامية بالعدول عن التوقيع على المضبطة المتفق عليها . وكان مثير هذه الفتنة رجلاً ذا شهرة غير قليلة ككاتب وأديب ، كما كان مستخدماً عندنا في دائرة الشرطة فأخرج منها بسبب خشونته قبـل ما يقارب السنة (٢) . ولما كان هو نفسه قد وقع بعد ذلك على إحدى مضابط بغداد التي تفضل


الشيخ كاظم الدجيلي

(1) Self-Determination in Mesopotamia - Memorandum by Miss G. Bell, February 1919.

(٢) المعروف انه يقصد الشيخ كاظم الدجيلي ج . خ

استمرار السيطرة البريطانية فان توقيعه مع الجهة المقابلة لا قيمة له . وعند وصوله الى النجف ادعى بأنه « وكيل سري » ، من وكلاء الحكومة فحكم عليه حاكم الشامية السياسي من أجل هذا بالحبس لمدة اسبوعين أعيد بعدهما الى بغداد. وبنتيجة النشاط الذي أبداه لم ترسل المضبطة الأصلية من النجف والشامية ، وإنما أرسلت بدلاً عنها سلسلة من المضابط تختلف عملياً عن المضبطة الأولى.» (١)

ويبدو من هذا كله ان الإنكليز لم يستطيعوا الحصول على النتيجة التي كانوا يريدونها من النجف ، وإنما استحصلوا تواقيع الخائفين والمهالئين لهم بأساليبهم المعهودة . ويؤيد هذا ما تذكره (المس بيل) من ان النجف ومنطقة الشامية ، التي تعد النجف تبعاً لها في الادارة يومذاك ، كان الرأي العام فيها له عدة أوجه لكنه كان من الممكن أن يستنتج من كل ذلك ان النـاس هناك كانت تفضل تنصيب أمير مسلم يستظل بالحماية البريطانية . وقد ذكرت أسرة شريف مكة بهذه المناسبة . ويعترف الكابتن بلفور الحاكم السياسي لمنطقة الشامية في تقريره الأداري المقدم الى الجهات المختصة في ١٩١٩ بأنه قد وجد من الضروري أن يضغط رسمياً على(النجف) قبل أن تستحصل من وجهائها المضابط المرغوب فيها.

وحدة الصف الوطني

والظاهر ان إجراء الاستفتاء العـام في هذه المنطقة ، ومحاولة الإنكليز الحصول على نتائج مصطنعة تتفق وأغراضهم الاستعمارية ، كان نقطة الانطلاق التي بدأت منها الحركة الوطنية في بغداد والنجف ، وغيرهما من معاقل النضال ضد الاحتلال البريطاني الغاشم ، بالانتشار والتوسع. وكانت أولى ثمار هذه الحركة اتفـاق الكلمة بين السنّة والشيعة في جميع أنحاء العراق على العمل المشترك ضد

---

(١) من المؤكد الذي لا لبس فيه ان ما ذكرته المس بيل هنا عن الشيخ كاظم الدجيلي غير صحيح ج. خ.

السلطات المحتلة، والسعي للحصول على الاستقلال التام للبلاد وتكوين حكومة وطنية فيها ومما يرويه المستر (فيليب آيرلاند) في كتابه المشار اليه ان هـذا « التحالف قـد ظهرت أولى بوادره في صيف ١٩١٩ حينما حضر رجال السنّة الحفلتين التأبينيتين اللتين أقيمتا بمناسبة وفاة المجتهد الشيعي الأكبر « السيد محمد كاظم اليزدي . » ويذكر كذلك ان « الهوة » التي كانت تفصل بين الطائفتين قد ملئت بفضل الجهود الحثيثة التي بذلها الزعماء الوطنيون، ومن أبرزهم الزعيمان الشيعيان السيد محمد الصدر ، وجعفر أبو التمن . ثم ينتهي الى القول بأن التوافق الذي حصل بين الطائفتين قد وسع مجال العمل للحركة الوطنية وزاد في قوتها ، فأدى ذلك الى أن تنطوي تحت لوائها العشائر الشيعية والجماهير التي تقطن المدن والأرياف التي كان تعصبها يتعالى ويخمد بمشيئة رجـــال الدين التي تكاد تكون غير محدودة عليهم .. وقد وجد الوطنيون في المدن المقدسة وبغداد ان المناطق التي تقطنها قبائل الفرات الأوسط والأسفل ، وهي شيعية في الغالب ، كانت أخصب تربة يبذرون فيها بذور دعايتهم السياسية ـ الدينية ، بالإضافة إلى الدعاية التي كانت تبث بين قبائل بني تميم والعزة والقبائل المحيطة ببغداد وبعقوبة (١).

وهكذا تقدم سير الحركة الوطنية في البلاد ، وتعاظمت شعلتها المتوسعة ، حتى تهيأ الجو لاندلاع نيران الثورة العراقية المعروفة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . وقد كان للنجف القدح المعلى في تهيئة الظروف للثورة بطبيعة الحال ، بالنظر للنفوذ الديني والاجتماعي الذي كانت تتمتع به ما بين القبائل الفراتية التي قدحت في زنادها ، ولما كان يتوفر فيها من نخبة ممتازة من الشباب المثقف الذي كان يدرك معنى الوطنية الحقة والاستقلال التام تمام الادراك ونظراً لأن العلماء الاعلام كانوا في مقدمة المكافحين من أجل الاستقلال التام للبلاد ، والمناضلين ضد التسلط الأجنبي الغاشم ، فاننا نجد في كتابات عدد غير يسير من الانكليز وغيرهم أنهم

---

(١) الص ١٨٩ ، آيرلاند الترجمة العربية ١٩٤٩

يحاولون الحط من قيمة الثورة وجعلها مدفوعة بدوافع ليس فيها غير التعصب الديني الضيق . غير أني لاحظت ان المستر (فيليب آيرلاند) (الأميركي) يعلل هذه النقطة تعليلاً بارعاً ويجلوها بأحسن وجه. فهو يقول انه ليس من المستغرب أن نرى في بلاد توجد فيها الاختلافات الدينية والطائفية بجانب الاختلافات العنصرية والقومية ، ويطغى فيها التعصب الديني ، ويفتقر وضعها العام إلى إحلال الولاء للدولة في محل الإنقياد للسلطة الدينية ، بأن تكتسب الوطنية ، التي نشأت كحركة سياسية يؤازرها الناس من مختلف الطبقات ، صبغة دينية فتحظى بتعضيد الطبقة الروحانية ورجال الدين . فقد تذكر رجال الدين بأن الأمجاد العربية الغابرة في دمشق ومصر وشمالي أفريقية وفي مدينة العباسيين العتيدة قد بلغت أوجها في الأيام التي كان يسود فيها الإسلام ، وعندما كان الخليفة رئيساً للدولة وحامياً للمسلمين . ولذلك فان الوطنية كانت تعني في عرفهم ، ولا سيا في عرف علماء الشيعة ، تأسيس دولة إسلامية من جديد يكون للطبقة الروحانية فيها مركز شرعي مسيطر . ويعني ذلك بلا ريب وجود دولة متحررة من رق التأثيرات الغربية الملوثة ، ومطهرة من رجس الميول والاتجاهات العلمانية . والواقع ان تقارب الاستقلال السياسي والديني ، وتعاون السياسيين مع زعماء الدين ، كانا يشبهان التوافق الذي جرى بعد الحرب بين الطائفتين السنيّة والشيعيّة . ومعنى هذا بوجه عام توحيد النواحي السياسية والدينية من الحركة الوطنية في عمل واحد .

أما أرنولد ويلسن ، وكيل الحاكم الملكي العام الذي يعتبر المسؤول الأول عن التصرفات الشائنة التي أدت الى الثورة ، فيعاكس ذلك ويقول ان رجال الدين في النجف وكربلا والكاظمية كانوا باستثناء البعض منهم يقاومون علناً

---

(١) الص ١٨٨ من المرجع السابق

تشكيل حكومة دنيوية منظمة من أي نوع كان على الرغم من ازدياد وارداتهم ازدياداً كبيراً بعودة الزوار الى التوارد على العتبات المقدسة من جميع أنحـــاء العراق وإيران بمقياس لم يسبق له مثيل من قبل . ففد بلغ عدد الزوار الذين زاروا النجف وكربلا في يوم العيد الأضحى (١٩٢٠) حوالي الخمسين ألف (١) ولا شك ان مـــا يقصده ويلسن بالحكومة الدنيوية الحكومة التي يريد تشكيلها هو بإشرافه وإشراف زملائه تأميناً لمصالح بريطانية الاستعمارية في البلاد . هذا وهو يستبعد على العلماء الأعلام الإهتمام بشؤون البلاد وسكانها ، والتمسك بالروح الوطنية التي يقف منهـــا الدين الحنيف موقفاً مشجعاً ، وكأن كل ما يجب أن يهتموا به في نظره هو ازدياد الواردات وجمـع الثروة والنظر الى الأمور بالمنظار المادي وحده .

نذر الثورة

ان جميع المراجع المذكورة تشير الى أن زعماء الحركة الوطنية في النجف الأشرف والفرات الأوسط كانوا على اتصال بأقطاب الحركة « الشريفية » التي نشطت للعمل بعد تنصيب الملك فيصل على رأس الدولة العربية في سورية وقد كان معظم هؤلاء من الضباط العراقيين الدين حاربوا في صفوف الجيش العربي الذي تشكل في الحجاز بعد إعلان الثورة العربية في ٩ شعبان ١٩١٦ . فيقول (المستر آيرلاند) ان سلسلة من الرسائل مؤرخة في ٢٣ رجب (١٢ نيسان ١٩٢٠) ومعنونة الى ملك سورية (فيصل) وملك العراق (عبدالله) وقعت في أيدي السلطات البريطانية يومذاك . وكانت تنطوي على تهنئة للأميرين على انتخابهما ، وترحيب (بعبدالله) من رعاياه الموالين . وقد كان الموقعون عليهـــا شيوخ وسادة الشامية والسماوة والرميثة (بني حجيم) وقبائل المنتفك ، ووجهاء

(١) الص ٢٥٣ من كتاب ويلسن ج ٢

وسادة النجف والكوفة والحـــلة . ثم ينهي الموضوع بقوله ان كل واحد من الموقعين ، إلا اثنين منهم ، كان ممن قاموا بدور رئيسي في ثورة ١٩٢٠ (١) . ولا يخفى ان ذكر (عبدالله ملك العراق) يشير الى قيـام الضباط العراقيين ، الذين اشتركوا في حملة فيصل بن الحسين على سورية ، بإعلان عبدالله في الشام ملكاً على العراق بعد أن نودي بأخيه فيصل ملكاً في سورية .

اما المس بيل فتقول في هذا الشأن ان اول تأثير للدعاية الشريفية المنبثة من سورية وبغداد قد ظهر في منطقة الشامية ، حيث يكون تـــأثير المدن المقدسة الديني على أشده ... وان الشعور بعدم الاستقرار هناك قـــد ادى الى استقالة اعضاء المجلس المحلي الذي تشكل حديثاً . ثم تقول ان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة كان منهمكاً في حبك الدساس قبل ان تبدأ الحركات والقلاقـل العلنية في بغداد . وان وفاة (السيد كاظم اليزدي) قد ادت الى انتقال السلطة الدينية فيالعالم الشيعي الى ايدي المرزا محمد تقي الشيرازي المتقدم في السن الذي كان يصرّف أموره في جميع الشؤون ابنه المرزا محمد رضا . وكان هـذا الابن رجلاً سياسياً فعالاً لا يستقر على حال ... ثم تعـدد الحوادث التي كانت تعتبر نذراً لوقوع الثورة فتقول فى جملة مـــا تقوله عن ذلك ان الحاكم السياسي في الديوانية كتب في احد تقاريره ان جثة احـــد افراد الشبانه لم يسمح بدفنها في النجف على الأصول الشيعية المعروفـــة ، وان الاستقالات من خدمة الحكومة أخذت تزداد يوماً بعد يوم . وبعد ان نودي بملكية الأمير عبدالله في دمشق في اليوم التاسع من مارت ١٩٢٠ طلب الى شيوخ جميـع القبائـل ان توقع على وثيقة يطلب فيها منه ان يتوجه لتسلم مملكته .

ولا شك ان (المس بيل) كانت في وضع يمكنهـا من الإحاطة بجميع مـا

---

(١) آيرلاند الص ٢٠١

يحدث ، ولا سيا في المدن المقدسة التي كانت توليها عنايــة خاصة وترقب سير الأمور فيهــا بعين بصيرة . وكثيراً مــا كانت تزور النجف على الأخص وتتفقد الاحوال والاتجاهات فيها لتكون الاستخبارات التي تجمعها كاملة عندهـــا من جميع الوجوه . فقد زارتهــا في الأيام الأخيرة من سنة ١٩١٩ قــادمة من منطقة الشامية مع الحاكم السياسي (نوربري) ومعاونه (الكابتن مــان) . ولذلــك نجدهــا تكتب عن النجف في رسالتها (١) المؤرخــة في ٤ كانون الثاني ١٩٢٠ بأنها فرحت لأن منزلتها في هذه المدينة المقدسة أصبحت تعلو ويزداد شأنهــا . فقد كانت من قبل لا يمكنها ان تواجه المجتهدين ورجال الدين الكبار على حــد تعبيرها ولا تطمع في ذلك ، لأنهم لا يجيزون ان تقع عيونهم على امرأة سافرة . غير انها في هــذه المرة استطاعت ان تواجه مجتهداً من الصنف الاول كما تزعم ، وكان من العلماء العرب لا الايرانيين ، بعد ان طلب اليها من تلقاء نفسه ان تأتي الى مقابلته . وهي تقول ان النجف مع كونها غامضة متعصبة فان المرء ينجذب اليها انجذاباً غريباً يشوبه الاحجام ، بجهالها وعمق غورها الذي لا يسبر .

في ايام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

وحينما وقعت الواقعــة الاولى من وقــائع ثورة ١٩٢٠ في الرميثة يوم ٣٠ حزيران على ايدي الظوالم ، نرى المستر (فيليب آيرلاند) يشير الى ان القلاقــل المحلية هذه هي التي أشعلت نيران الثورة الكبرى فحاصرت القبيلة بأجمعهــا حامية الرميثة ودوائرها الحكومية بإيعاز من النجف والكوفة . ويعطف على ذلك قوله في صفحة اخرى : وفي الثلاثين من تموز ظهر (السيد هادي المكوطر) في منطقة السماوة قادماً من النجف وركــّز نفسه في الخضر ، والمزعوم انه كان

....

(١) رسائل غيرترود بيل The he Letters of Gertrude Bell

Selected & Edited by Lady Bell, London

مزوداً بمبالغ جسيمة من الذهب ... وقد انضم اليه عدد آخر من السادة ورجال الدين وراحوا يبشرون في الغراف والشطرة والخضر بالجهاد الذي أعلن في كربلا في السادس من آب (١) . ويستند (آيرلاند) في ذلك على تقرير الملازم (ب هيات) معاون الحاكم السياسي في الرميثة المؤرخ في ١٠ آب ، وعلى مذكرة (الميجر ديلي) الحاكم السياسي في الديوانية التي قدمها الى المراجع المختصة في ٢٦ آب حول نشوب القلاقل في الرميثة . اما (السر ارنولد ويلسن) فيؤيد تحريك الوطنيين في النجف (للظوالم) في الرميثة على الثورة ، ويضيف الى ذلك قوله ان الظوالم قد تشجعوا بالتطمينات التي بذلت لهم بأن شروط الانتداب كانت تحظر على البريطانيين استعمال القوة العسكرية ضدهم ، وان جميع هذه القوات تقريباً كانت قد سحبت الى الهند وايران (٢) .

اما سير الحوادث في الكوفة والنجف نفسها فيذكر ويلسن ان الحاكم السياسي (الميجر نوربري) قد دبر تهدئة الحال فيها خلال ايام الثورة الأولى . وقد ساعده على ذلك انه كان قد ادخر كثيراً من الأرزاق والأقوات التي حصل عليها محلياً ، فساعد هذا السلطات العسكرية على حرية العمل والمحافظة على السكينة . كما يقول ان (الميجر نوربري) و (الكابتن مان) كانا محبوبين في المنطقة ، وان عشائر الشامية كانت قد بقيت هادئة لولا الانتكاسات التي أصيب بها الانكليز في الحلة والرميثة والسماوة . ولا شك انه يقصد من ذكره الحلة في هذا الشأن موقعة (الرارنجية) المشهورة. ثم يقول ان الاعمال التأديبية التي جرت في النجف على أثر مقتل الكابتن مارشال معاون الحاكم السياسي فيها كانت لا تزال تأثيراتها القمعية في الناس سارية المفعول . ولهذا قوبل اعتقال

(١) آيرلاند ، ص ٢٠٦ — ٢٠٨ .

(٢) ويلسن ص ٢٧٨ ، ج ٢ .

المرزا محمـــد رضا (١) نجل المرزا الشيرازي في كربلا يوم ٢٢ حزيران ببرود ، وهدوء لم تكن تنتظره السلطات الإنكليزية نفسها من أهالي النجف . على انه يذكر أيضاً أن الميجر (نوربري) دبر مقابلة لرؤساء (آل فتله) في مضيف الشيخ مجبل الفرعون في اليوم الأول من تموز ١٩٢٠ لتهدئتهم ، لكن المقابـلة لم تكن مثمرة على ما يقول وكانت مقرونة بتجمعات وحركات معادية من بعض الأشخاص. وفي يوم ٥ تموز اجتمع (الكابتن مان) بالشيخ (مرزوق شيخ (العوابد) المجاورة لأم البعرور (الشامية) ، من دون أن يكون هذا الاجتماع مفيداً أيضاً . على أنه يذكر في هذه الأثناء قولاً للسيد علوان الياسري يعتقد أنه كان معبراً عن شعور الكثيرين في تلك الجهات فقد خاطبه السيد علوان قائلاً « لقد قدمتم الاستقلال لنـا ، ونحن لم نطلبه ولم نكن نحلم بشيء مثله حتى أدخلتم فكرته في رؤوسنا . وقد عشنا مئات السنين في حالة بعيدة جـــد البعد عنه ، وحينما جئنا نطلب الاستقلال منكم الآن أخذتم تسوقوننا الى السجون . » ولا ندري ما هو نصيب هذه الرواية من الصحة !

ثم يأتي ويلسن في كتابه (٢) على ذكر الحالة العشائرية بالتفصيل ، ويتطرق الى قيـام شيوخ (آل فتله) بالتأثير على عشائر بني حسن وآل شبل وجرهم الى جانبهم بالمال ، فقد تسلم منهم الشيخ علوان الحاج سعدون مبلغ ألف باون (٣) . لكن الإنكليز بادروا الى دفع ألفي باون الى آل شبل بواسطة شيوخ الخزاعل

---

(١) تقول المس بيل في مذكرتها عن الحكم الذاتي في العراق المشار اليه من قبل ان الشيخ محمد رضا الشيرازي هذا كان على اتصال وثيق بمشاغبي النجف .

(٢) ويلسن الص ٢٩٦ ، ج ٢

(٣) ظهر فيما بعد من تصريح الحاج الواحد الحاج سكر زعيم آل فتله ومن تأكيد الشيخ عبد الكريم الجزائري بأن جميع ما نسب الى الشيخ علوان الحاج سعدون وأخيه الشيخ عمران الحاج سعدون لم يزد على اشاعات نسجتها الأغراض ، (على هامش الثورة العراقية) ج . خ

ليحافظوا على السكينة . على ان كفة الثوار قد رجحت في الأخير بتدخل السيد (نور الياسري) بنفوذه العريض وثروته الطائلة فبدأت عشائر آل فتله محاصرة الكوفة في ١٣ تموز، وتم احكام الحصار عليها في يوم ٢٠. ثم قتل (الكابتن مان) بعد يومين وهو يدافع عنها ، ولم يرفع الحصار إلا في ١٧ تشرين الأول أي بعد مدة تناهز الثلاثة أشهر ، ومما يرويه ويلسن عن هذا الحصار ان الحامية التي اضطرت الى أكل الرز ولحم الخيل في الأسابيع الثلاثة الأخيرة من أيامه قتل منها خمسة وعشرون شخصاً وجرح سبعة وعشرون لأنها كانت تتعرض لقصف المدفعية من الثوار أحياناً ، بواسطة المدفع (عيار ١٨) الذي غنموه من الإنكليز



بقايا حطام (فاير فلاي) التي دمرها الثوار بالمدفع الذي غنموه في معركة (الرارنجية)

يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ . وقد استطاع الثوار تدمير الزورق المسلح «فاير فلاي» الذي كان يعود للانكليز بواسطة هذا المدفع أيضاً . ويثني كذلك على «الشبانة» الذين كان معظم جنود الحامية في الكوفة منهم ، لأنهم صمدوا لضغط الثوار الحربي والمعنوي ، واحتقار الناس وازدرائهم بهم . ثم يشير الى منع الذين ماتوا منهم في خدمة الأدارة البريطانية من الدفن ، وإجبار زوجاتهم في كثير من الأحيان على تركهم والعودة الى آبائهم ، واضطهاد أبنائهم وأقاربهم في الشوارع

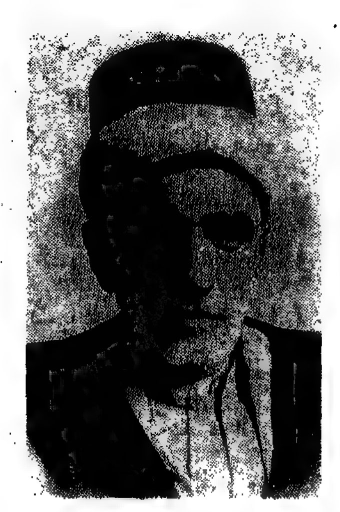
والطرقات . وقد لاذ علماء النجف الكبار ، وعلى رأسهم المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي ، بالصمت الوجل كما يزعم (١) لكن رجال الدين الصغار شاركوا قادة الحركة الوطنية في تحريض الجماهير على الثورة ، ومناشدتها باسم الدين والقومية العمل على استئصال شأفة الاحتلال العسكري والقضاء على آخر أثر من آثاره .

ومن أهم ما يذكره ويلسن (٢) عن النجف في هذا الشأن انها ، وهي كائنة على بعد أميال قليلة عن الكوفة ، قد تجمع فيها حوالي مئة وسبعين أسيراً بريطانياً من اسرى الحرب ، وكان حوالي ثمانين أسيراً منهم ينتمي الى « كتيبة مانشستر » . وكان هؤلاء قد تم أسرهم في يوم ٢٤ تموز ، وورد أول خبر الى السلطات البريطانية عن مصيرهم من حميد خان الذي كان قد تعين منذ شهر كانون الأول ١٩١٧ وكيلاً عن الإدارة البريطانية فيما بين النهرين في النجف . وهنا يعزو الفضل في المعاملة الحسنة التي عومل الأسرى بها الى ما بذله حميد خان من جهود في سبيلهم . لأن حميد خان كما يروي بقي صامداً في النجف برغم تحذيرات أصدقائه وتهديد أعدائه . وقد أخبر السلطات البريطانية بأن الاسرى لم تعاملهم القبائل الثائرة معاملة حسنة ، وأجبرتهم على السير على الأقدام من الكوفة الى أبي صخير وهم حفاة عراة تقريباً . على ان قسماً منهم كان قد احتجز في النجف ثم نقل بعد ذلك الى الخارج بالنظر للموقف العدائي الذي كان يقفه الأهلون منهم . ومع هذا فقد جمعوا كلهم في النجف مرة ثانية ، وهناك لم يدخر حميد خان وسعاً في السهر عليهم وتأمين راحتهم ، واعداً وجوه البلد وأعيانه بالتعويض عن كل ما يصرفونه عليهم من مال ونقود بعد أن تستقر

(١) لم يكن السيد كاظم اليزدي حياً في هذا الوقت من حصار الكوفة .
ج. خ.

(٢) ويلسن الص ٢٩٨

الامور وتهدأ الأحوال . ومما يدل على المعاملة الحسنة التي عومل الأسرى بها على على هذا الأساس الحالة الصحية الجيدة التي كانوا يتمتعون بها حينما تم إطلاق سراحهم فيما بعد ، ولم يصب أحـد منهم بسوء سوى موت أحدهم في أيام الأسر(١). وهنا ينبري ويلسن لتنفيذ ما يذكره السر (أيلمر هولدين)(٢) ، قائد القوات البريطانية في أثناء الثورة ، في كتابه (الثورة العراقية) عن سوء معاملة العرب في العراق للاسرى الإنكليز. فهو يقول في ذلك ان العرب والأكراد لم تعرف عنهم حوادث قسوة وتمثيل تلفت النظر الا حينما كان الأتراك يوجهونهم الى ذلك. وهو يتذكر ان شيئاً ذا بال قد ورد من هذا القبيل في تقارير الاستخبارات التي مرت عليه (٣) .



الحـاج محسن شلاش

تهدئة الأحوال

والملاحظ فيما يكتبه ويلسن عن الثورة تهجمه عـلى العلماء ورجال الدين ،

---

(١) في هذا الوقت الذي كان فيـه اسراء الانكليز في النجف ولا سيما في الشطر الأخير من اسرهم كان حميد خان سجيناً بسجن طويريج وتحت رقابة الشيخ عمران الحاج سعدون، اما الانفاق على الاسراء فقد تكلف به الزعيم الروحاني شيخ الشريعة وأناط أمر تكليفه بالحاج محسن شلاش الذي تولاه باسمه ، وقد أسهم أهل النجف ـ بمقتضى فتوى (الشريعة) احتساب مثل هذه النفقات من الحقوق الشرعية ـ في مد هؤلاء الاسراء بشيء من البطيخ والخيار ـ وكان الفصل صيفاً ـ وبعض الفواكه كانوا يضعونها في صفائح من التنك فيجرها الاسراء اليهم الى سطح (الشيلان) القلعة التي سجنوا فيها ـ زيادة على ما كانوا يتناولونه يومياً وبصورة رسمية من مصروفات الثورة ج. خ.

(2) Holdane, Sir Aylmer - The Insurrecton in Mesopotamia, London 1922.

(٣) ويلسن الص ٢٩٩ ، ج ٢

والمرارة التي تتخلل سطوره تجاههم . وهذا شيء منتظر بطبيعة الحال ، ويعد من قبل المدح لهم لأنه يبرهن على أنهم قاموا بواجبهم خير قيام في توعية الناس وتوجيههم في شؤون دنياهم ودينهم ، وتحريرهم من السيطرة الأجنبية . وآخر ما نذكره هنا من أقواله هذه قوله « ان استفحال أمر العلماء ، وتدخل رجال الدين في الشؤون العامة ، قد استطاع الملوك المسلمون في إيران والعراق وتركية على السواء إيقافه عند حده في كثير من الأحوال والمناسبات خلال السنين الأخيرة (كتب الكتاب في ١٩٣١) . وان الفوضية والتحريكات الدينيــة التي حصلت خلال أشهر الثورة العراقية قد بلغت حداً من الشدة والإنتشار بحيث كان يمكن بوجودها أن تكتسح العراق عصابات المتعصبين الغلاة ، التي لا يقل تطرفها عن تطرف الوهابيين الذين ظهروا في أواسط الجزيرة العربية ، لو تهيأت لها شخصية قوية مثل شخصية (حمدان قرمط) الذي ظهر في الكوفة خلال القرن العاشر للميلاد (١) » .

ولا شك ان الثورة العراقية هذه قد لقنت الإنكليز درساً قاسياً في حــكم الشعوب ومعاملتهم ، وكادت ان تخرج العراق من قبضة أيديهم لو تسنى لها ان تستقيم مدة أطول . لكنها انتهت بعد مدة تناهز بضعة شهور ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تأخذ ناحية الامور بأيديها إلا في ربيع ١٩٢١ كما يقول (المستر آيرلاند) . ويعقب على هذا بقوله ان النهاية ربما كانت قد حلت بأعجل مما وقع لو لم يصدر رجــال الدين في النجف ، المتصلبون في مناوءتهم للانكليز ، على ان تجري المفاوضات عن طريقهم فقط . وممــا يدل على تدخلهم هذا ما لاحظه الحكام السياسيون في مناطق الديوانية والمنتفك من وصول رسالتين اليهم ، واحدة من الفرات الأوسط وأخرى من الغراف ، وقد سبكت اثنتاهما بنفس الجمل وعين

---

(١) ويلسن الص ٣٠١ ، ج ٢

اللغة . وكان فيها طلب بوجوب تأسيس حكومة دينية وفقاً لقواعد المذهب الشيعي كما يقول الحاكم السياسي الذي كتب التقرير الأداري عن المنتفك سنة ١٩١٩

ويعود (المستر آيرلاند) فيقول في مناسبة أخرى ان مهمة تهدئة البلاد بعد الثورة كانت أهم مهمة في نظر العراقيين والموظفين البريطانيين معاً . وان السر (بيرسي كوكس) (١) كان قد ترك فكرة تأديب العشائر بشدة ، على أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأنهم يجب أن يجبروا على الخضوع حتى اذا تطلّب الأمر استعمال القوة . ولذلك وقف بعزم وصلابة ، كما وقف من قبله ويلسن ، في وجه الطلبات المتكررة التي كانت تأتي من رؤساء الدين في النجف وكربلا بجعلهم وسطاء لدى القبائل التي طلبت هي نفسها ان تكون المفاوضات عن طريق المجتهد الأكبر الذي لا يلقون السلاح إلا بإشارة من عنده. ويذكر في الحاشية كذلك إن أهم الشيوخ الذين طلبوا هذا الطلب هو عبد الواحد الحاج سكر ومرزوق العواد . ثم ينهي الموضوع بقوله : وبرفض الاعتراف بمطاليب رجال الدين الشيعة ضرب السر (بيرسي كوكس) ضربته الأولى بالنيابة عن الحكومة الجديدة التي كانت قوة الحل والعقد التي يتولاها العلماء بأيديهم تكوّن عقبة كأداء في طريق تأسيسها . على ان نصف البلاد كانت في حالة ثورة فعلية حينما عاد كوكس (٢) لتهدئة الحال على ما يقول آيرلاند . فقد كانت في قبضة الثوار كربلا والنجف وطويريج والرميثة وهيت وقسم كبير من وادي الفرات بما فيه القسم الأوسط من خطوط السكك ، فضلاً عن مناطق غيرها في أنحاء العراق الأخرى .

وحينما تألفت الحكومة الموقتة برآسة النقيب (السيد عبد الرحمن الكيلاني)

---

(١) آيرلاند الص ٢٢٤ من الترجمة العربية ، ١٩٤٩

(٢) الذي عاد الى العراق بعد ان عينته الحكومة البريطانية في هذه المرة مندوباً سامياً مزوداً بجميع السلطات في ١٧ حزيران ١٩٢٠

في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ عملت على تهدئة الأحوال وإعادة الميـــاه الى مجاريها الطبيعية في البلاد ، فأعيد الوطنيون المنفيون ومنهم بعض النجفيين ، ووصل عـــدد من الضباط العراقيين الذين كانوا في سورية . ثم قويت الدعاية لتنصيب أحد أنجال الشريف على رأس الدولة العراقية المقبلة، ورجحت كفة الأمير فيصل على أخيه عبدالله في الأوساط الإنكليزية والعراقية ، ولا سيا بعـد أن حنثت فرنسة بالعهود فزحفت جيوشها على سورية وقوضت ملكية فيصل فيهـــا على الوجه المعروف .

مجيء الأمير فيصل

لقـد وصل فيصل الى البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١ ، وبعد أسابيع ثلاثة نادى به مجلس الوزراء بالاجماع ملكاً على العراق . وحينما كان في طريقه الى بغداد من البصرة مر بالمدن الفراتية المعروفة (بالقطار) ونزل في الحلة فاستقبل فيها استقبالاً حافلاً ، ومنها توجه الى النجف وفي صحبته (المستر كورنواليس) الذي جاء معه من الخارج و (المستر فيلبي) الذي ذهب من بغداد لاستقباله ممثلاً عن المندوب السامي . وقـــد جاء في كتاب المستر فيلبي (١) الموسوم (الأيام العربية) عن هذه السفرة قوله : وفي اليوم التالي أقلتنا السيارات الى النجف لنكون ضيوفاً على رجال الدين الشيعة في تلك المدينة المتعصبة ، حيث يرقد آدم وعلي تحت الطوق الأرضية العميقة ومن فوقها الضريحان السامقان . وهنا أيضاً كُرّمنا تكريماً ملكياً وبتنا ليلة واحدة . وقد ابتعدت أنا و (كورنواليس) عن فيصل بكل تبصر لنفسح المجـال له بالتعامل مع المتعصبين بطريقته الخاصة هـــو - إذ كان يتحتم عليه هنا على الأقل ان يبذل كل ما بوسعه ليفند الإنطباع

---

(1) H. St. John Philby — Arabian Days, London 1948

وقد ترجم كاتب هذه السطور الفصل المختص بالعراق منه ونشره باسم (أيام فيلبي في العراق) ١٩٥٠

العام القائل بأنه مرشح الحكومة المسيحية للعرش(١). لكن الدكتور (آيرلاند) يذكر عن سفرة فيصل هـــذه الى النجف ان العلماء فيها كانوا متحفظين إذا لم يكونوا قد اتخذوا موقفاً عدائياً تجاهه (٢).

وقـــد وصل الأمير فيصل الى بغداد في ٢٩ حزيران متأثراً بعض التأثر من الاستقبال الفاتر الذي قوبل بـــه في بعض المناطق الفراتية على حد تعبير المستر آيرلاند (٣). غير ان الحماس في الترحيب به كان معيداً للاطمئنان في العاصمة حيث حيّاه عند وصوله المندوب السامي وموظفوه وجمهور هائل من وجهـــاء العراقيين. كما ان الجماهير المحتشدة الهاتفة التي غصت بها العاصمة المزدانة بالألوان الشريفية، الأخضر، والأحمر، والأسود، والأبيض، كانت تعطى دليلاً إضافياً على ان المدينة قد قبلت بـــه. وان الاحتفال العظيم الذي قامت به الكاظمية كان احتفاء شائقاً يضاهي احتفاء بغداد به من قبل (٤). ويعمد (آيرلاند) بعد ذلك الى وصف السلوك الذي سلكه فيصل عند اتصاله بالناس فيقول: .. وان وقاره البسيط وظرفه الشخصي وحديثه الفصيح، الصميمي المفعم بالحكمة، قد تضافر كله في أن يحصل له على ثقة الناس به وتأييد الطوائف التي كان يتصل بها كلها، أي المسيحية واليهودية والسنيّة والشيعيّة برغم ان استقباله في النجف وكربلا كان استقبالاً مكبوتاً يلفت النظر (٥).

بداية الحكم الوطني

لقد سر المندوب السامي وفيصل معاً حينما قرر مجلس الوزراء بالإجماع، في

---

(١) الص ٦٣ من الترجمة العربية — (٢) آيرلاند الص ٢٥٧ من الترجمة العربية

(٣) كان المسؤول عن هذا الاستقبال الفاتر المستر فيلبي مستشار الداخلية يومذاك، لأنه كان يدعو الى الجمهورية ويناوىء الملك حسيناً وأنجاله ولذلك أنهي عمله في العراق والتحق بآل سعود

(٤) الص ٢٥٧ من الترجمة العربية — (٥) آيرلاند الص ٢٥٨ من الترجمة العربية

يوم ١١ تموز ١٩٢١ ، المناداة « بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق ، على أن تكون حكومة سمـــوه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون . » لكنهما كانا متفقين على ان الحالة ما زالت تدعو الى إجراء استفتاء عام يثبت للعالم بأن الشعب قد أعطى رأيه الحقيقي لفيصل ، على ما يقول آيرلاند . . وعنـــد البدء بإجراء الاستفتاء لم تأل المراجع المختصة جهداً في التأكد من الحصول على النتائج المطلوبة . وقـــد أبدى المتصرفون والمشاورون البريطانيون في معظم الألوية آراءهم في القرار المتخذ من قبل المجلس . أما في الألوية الأخرى ، مثل لواء كربلا ، فقـــد كان المشاور البريطاني أو الموظفون الحكوميون الذين يعتمد عليهم هم الذين يدعون الى عقد الاجتماع . وقد تم الاستفتاء بهدوء ، إذ وقعت الصيغة الرسمية من دون إضافة شيء عليها في النجف أو كربلا بفضل الحذق والمثابرة الذين أبداهما المتصرف بينما أضيفت بعض الجمـــل التي تشترط استمرار الانتداب الانكليزي في أماكن اخرى (١) .

ومع هذا كله فقد كانت نتيجة الاستفتاء على تنصيب الأمير فيصل ملكاً في العراق أن حصل فيصل على ٩٦٪ من أصوات الشعب على ما يذكره (آيرلاند) وغيره من كتاب الغرب الذين كتبوا في الموضوع. وعلى هذا الأساس تمت مراسيم التتويج في يوم ٢٣ آب ١٩٢١ ، وهو اليوم الذي اختاره بنفسه ، لأنه كان يصادف يوم « عيد الغدير » عند الشيعة ، أي يوم مناداة النبي محمد بالإمام علي أميراً للمؤمنين وخليفة من بعده على حد تعبير آيرلاند (٢) .

وقد ترتب على الدولة الجديدة التي ظهرت للوجود بتتويج الملك فيصل ملكاً على رأسها ، ان تنظم علاقتها بالدولة المنتدبة (بريطانيا العظمى) بمعاهدة تعقد بين الطرفين فتحل في محل صك الإنتداب . غير ان لائحة المعاهدة التي نظمها

(١) الص ١٦١ المرجع الأخير — (٢) الص ٢٦٢ المرجع الأخير

الانكليز وطالبوا بالتصديق عليها قد تضمنت في تضاعيفها معظم القيود التي يفرضها على العراق صك الانتداب نفسه. فتكونت بهذا السبب في البلاد المعارضة، التي كانت تحظى بالمؤازرة والتأييد من الملك نفسه. وقد كان الرأي العام النجفي، وعلى رأسه العلماء، يؤيد هذه المعارضة ويعمل على رفض المعاهدة التي أقرها مجلس الوزراء في يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٢ بشرط أن يصادق عليها المجلس التأسيسي عند التئامه. ومما يدل في اشتراك النجف الفعلي في هذه المعارضة ان علماءها انتهزوا فرصة اعتداء الوهابيين المتكرر على الحدود العراقية، وأبرقوا الى سماحة الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية بالدعوة الى عقد مؤتمر في كربلا يحضره رؤساء العشائر وقادة الرأي العام في البلاد لوضع خطة موحدة تستهدف دفع الخطر الوهابي عنها. ويذهب المستر (آيرلاند) الى ان الوطنيين والعلماء قد انتهزوا فرصة انعقاد المؤتمر في يومي ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢ فعقدوا اجتماعات عدة لوضع خطة خاصة لتنظيم الحركة الوطنية بوجه عام. ولذلك نجده يقول ان جلسات المؤتمر الرسمية برغم أنها لم تؤد إلا الى نتائج قليلة لا تخرج عن تقديم العرائض فان الاجتماعات الخاصة التي عقدت كانت أكثر إنتاجاً. فقد نتج عن هذه الاجتماعات تنظيم الكثير من الحركات المتأخرة (١).

وحينما صدرت الإرادة الملكية في ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ بأن تبدأ انتخابات المجلس التأسيسي في يوم ٢٤ تشرين الأول كان رد الفعل بعيداً كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالامر على ما يقول (آيرلاند) « فقد اتفق العلماء والوطنيون ومجموع الشيعة في معارضة تنفيذها ، وأقنع علماء النجف والكاظمية باصدار الفتاوى في أوائل تشرين الثاني في تحريم أي اشتراك كان في الانتخابات. وقد صدرت الفتاوى من علماء النجف والكاظمية مجتمعاً في ٨ تشرين الثاني ، ثم

---

(١) الص ٢٧٥ المرجع الأخير

أعقبتها فتاوى اخرى أصدرها العلماء على انفراد . وعلى هذا الأساس استقالت اللجان الانتخابية في النجف وكربلا والحلة والكوفة ، وأعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليفها » (١)

فبُذلت جميع المساعي لاسترضاء العلماء ولكنها لم تنجح ، لأن الفتاوى أعيد إصدارها في حزيران ١٩٢٣ وقد ذهبت المحافل البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات الشديدة ضد رجال الدين أنفسهم ، لأن الفرصة لا يمكن أن تسنح لإلقاء الرعب في نفوس الجماهير بحيث يمكن للانتخابات أن تسير في مجراهـا الطبيعي إلا باسكاتهم . وكان رئيس الوزراء (عبد المحسن السعدون) يرتأي هذا الرأي أيضاً ، إلا ان الملك فيصلاً تمادى في أمله بأن يسترضي العلماء بالطرق الأخرى . على انه حينما حصلت اصطدامات في ٢١ حزيران بين الشرطة وسكان الكاظمية وجد الوزراء، بتحريض مستشاريهم الانكليز ، ضرورة لاتخاذ إجراءات صارمة للثأر لهيبة الحكومة . فأمر مجلس الوزراء بعد حصوله على موافقة الملك فيصل الذي تلكأ فيهـا ، باعتقال الشيخ مهدي الخالصي ونجليه حسن ، وعلي، مع ابن أخيه وإبعادهم الى خارج العراق . فنظمت على أثر ذلك مظاهرة احتجاجية في الحال ، وقد قام بها رؤساء الدين فى النجف ، ثم ترك البلاد الى إيران جماعة مؤلفة من تسعة علمـاء مهمين مع خمسة وعشرين من أتباعهم إظهاراً للسخط واحتجاجاً عـلى ما تم (٢) . والظاهر ان هذه التدابير التعسفية لم تؤد الى حل المشكل ، وإنما أدت الى اضطرار الوزارة السعدونية الى تقديم استقالتها في النهاية . وبرغم ان تبدل الوزارة في مثل هذا الوقت الحرج كان شيئاً مقلقاً على ما يروي المستر (آيرلاند) فانه هيأ فرصة مناسبة للملك باسترضاء الشيعة الذي كان متلهفاً اليـه . ولا يعرف كيف حصل

---

(١) الص ٣٠٧ المرجع الأخير — (٢) الص ٣٠٨ المرجع الأخير

هذا « الاسترضاء » الذي يشير اليه (آيرلاند) ، ولكن المعروف ان الوزارة الجديدة التي ألفها جعفر العسكري كان من بين أعضائها الحاج محسن شلاش وهو نجفي الأصل كما لا يخفى ومحمد حسن أبو المعالي وهو من كربلا .

النجف فيما كتبه توماس لايل

لقد كتب عن النجف في هذه الفترة اناس آخرون من الانكليز ، وتطرقوا الى شؤون الحياة الاخرى فيها غير الشؤون السياسية التي أتينا على شيء كثير منها حتى الآن . ومن هؤلاء رجل استعماري ينتمي الى مدرسة (أرنولد ويلسن) وكيل الحاكم الملكي العام الذي أدت تصرفاته الطائشة الى اندلاع نيران الثورة العراقية في ١٩٢٠ ، وهو المستر (أو الكابتن) (توماس لايل) وكان (لايل) هذا قد جاء مع الحملة البريطانية من الهند وأشغل وظيفة معاون حاكم سياسي في قزلرباط (السعدية) والشامية والنجف منذ ١٩١٨ الى ١٩٢١ ، ثم اشتغل معاوناً لمدير الطابو في بغداد وحاكماً في محاكمها المدنية بعد ذلك . وقد كتب كتاباً عن العراق باسم (دخائل العراق) (١) ، لكنه يفرد فيه فصلاً خاصاً للنجف والعتبات الشيعية المقدسة ويبحث في معظم صفحاته عن الشيعة ومعتقداتهم وأحوالهم الاجتماعية بوجه عام . ولم أجد بين الكتب الانكليزية التي كتبت عن العراق كتاباً مثل هذا مشحوناً بالطعن والسب وإيراد المثالب ، والمغالطات وسوء الفهم للكثير من أحوال العراق بوجه عام وأحوال الشيعة ومعتقداتهم بوجه خاص . ويستبان من تحامله الذي سأذكر شيئاً منه إنه رجل موتور من العراقيين ، لا سيما وقد كتب كتابه في أعقاب الثورة العراقية التي اندلعت نيرانها من النجف وما يحيط بها من مناطق الفرات الأوسط فأربكت خطط الانكليز

---

(1) Lyelle, Thomas — The Inns & Outs of Mesopotamia, A. M. Philpot Ltd. London 1923.

الأميرالية وأسقطت ويلسن وجماعته المنتمين الى « مدرسة الهند » الاستعمارية البريطانية .

ومما يدل على ما جاء في الكتاب قوله في المقدمة (١) « .. ولما كنت مقتنعاً اقتناعاً جازماً ، من تتبعي الشخصي ، ان العقيدة الاسلامية هي عقيدة غـير تقدمية ، مثبطة للهمم ، ومدمرة لأية غريزة من غرائز المواطنة الحقة ، والأماني الوطنية ، فقد جهدت ان أبرهن في الكتاب على ان المسلمين والشيعة منهم غير صالحين بالكلية للحكم الذاتي – وسيبقون كذلك مدة من الزمن – الحكم الذاتي الذي لا يرغب فيـه المسلم إلا لكونه وسيلة من وسائل التهرب من حكم النظام والقانون » ولا شك ان التطورات التي حصلت في البلاد الاسلامية كلها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم تكفي للبرهنة على سخف هذا الرأي وهو يعتقد ان وجود عتبات الشيعة الأربع في العراق – أي النجف ، وكربلا ، والكاظمية ، وسامراء – يجعـل من قسماته وأوصافه المميزة شيئاً فريداً في بابه ، ويعتبر مفتاحاً لمعرفة أوجه الضعف والقوة في سكانه . ولذلك فهو يحصر مباحث كتابه معظمها في هذه العتبات وعقائد سكانها . لكنه مع جميع ما يحاول إيراده من مثالب لا يستطيع طمس الحقائق الناصعة في كثير من الأحيان والمناسبات .

ويبدأ (لايل) بوصف النجف ومعالمها ، فيذكر ان عدد نفوسها يقدر بخمسة وأربعين ألف نسمة ، ولمـا كان محيط سورها الخارجي يقل عن ثلاثة أميال في

---

(١) تعمدنا ان نورد جانب السخط من أقوال الساخطين وما جرت به أقلامهم لكي نحافظ على أمانة النقل من جهة ولئلا نبقي شيئاً محجوباً التزاماً منا بمقتضيات الموسوعة التي تتطلب ثبت جميع النواحي وعرضها كما هي، على ان (لايل) هذا يعود بعد ذلك كما لو كان نادماً فيصف النجف وصفاً يشيء كثير من القدسية ، أما صورة النجف الواقعية فسنأتي عليها في الأجزاء الاخرى من قسم النجف معروضة عرضاً تأريخياً سليماً بعد أن نكون قد أتينا على جميع الأقوال فيها .

ج. خ.

طوله فان أحوال النفوس المحتشدة في داخله خير للمرء ان يتصورها من ان يحاول وصفها بالعيان. ويبلغ عدد الزوار الذين يمرون من أبوابها في بعض الأعياد الكبرى حوالي مئة وعشرين ألف شخص. وهو يشبه النجف في موسم الزيارات باسفنجة كبيرة تمتص جميع هذا العدد من الزوار ، وتقذفهم الى الخارج بعد أربعه أو خمسة أيام وهم فارغي الجيوب ليجدوا طريقهم بوسيلة من الوسائل الى إيران والهند والحجاز أو فلسطين على حد تعبيره . ثم يقول ان سكان النجف يجب ان يقسموا الى طبقتين بارزتين ، طبقة رجال الدين المحترفين وطبقة العوام الاعتياديين . ويعتبر النجف كلها جامعة دينية واحدة يبلغ عدد طلابها حوالي (٦٠٠٠) طالب. والنجفي الاعتيادي في نظره نتاج محيطه المشحون بالتعصب ، وقد يكون غنياً لكنه لا بد له من أن يتظاهر بالفقر ، وينظر الى الزوار والبدو الذين يأتون للاكتيال وكأنهم فرائس شرعيون له . أما التاجر النجفي فهو من طراز التجار في القرون الغابرة ، حينما كانت البضاعة تشحن بواسطة القوافل وتمر بأخطار لا حصر لها فلا يُعرف ربحها أو خسارتها إلا بعد عدد من السنين ، ويكون أقل ربح لهم منها بنسبة مئة بالمئة . ويعتبر الزائر الايراني المتشبع بالروح الدينية ، والبدوي الذي يذهله حتى منظر البيوت ، تحت رحمته على الدوام . ومن عاداته انه يحتفظ بتنكة الدهن ثلاثين سنة في سردابه بأمل أن يرتفع سعرها قرشاً واحداً .

والدين في رأي المستر (لايل) يتخلل حياة المجتمع النجفي من جميع نواحيه. فهو ينظم (نفسولوجية) الناس فيه ، ويسيطر على أفكارهم وأعمالهم ، وينساب أبداً ودوماً مع التيارات الخفية المتخللة في عقلهم الباطن. وبوسع المرء مهما ابتعد عنهم أن يسمع « نوطته » المدوية في قلب ذاتيتهم واضحة جلية (١) . ثم يأتي

(١) توماس لايل ، الص ١٧ - ٢٢

على وصف رجال الدين ، والحياة العلمية بتفصيلاتها وأحوالها المعروفة للجميع ، بعد أن يعترف بأنها أقدس المدن الشيعية ومقر أعظم المجتهدين وأكبرهم على الدوام . كما يقارن ما بين الاجتهاد الموجود عند الشيعة والالتزام بالنصوص الدينية الأصلية لدى المذاهب السنية الأربعة ، ويتطرق الى نفوذ المجتهدين ومنزلتهم الكبيرة في العالم الاسلامي. ومما يذكره للبرهنة على هذا النفوذ الواسع قصة المجتهد الأكبر العلامة المرزا حسن الشيرازي الذي افتى بتحريم انحصار التبغ وإعطاء امتيازه الى شركة روسية كافرة على حد تعبيره في أواخر القرن الماضي في إيران . ويذكر كيف ان تلك الفتوى قد أدت الى إبطال الامتياز وتعويض الشركة الأجنبية عن خسارتها . ويعقّب على هذه القصة بقوله ان عالماً من علماء السنة لا يستطيع ان يفعل ذلك . ويشير كذلك الى ان من حسنات الاجتهاد ان يسمح العلماء الشيعة بتناول الكحول المحرمة عند الضرورة وعند اعتباره دواءً شافياً للمرضى في بعض الحالات . ثم يعدد شروط الاجتهاد التفصيلية التي ينقلها عن كتاب لقس من المبشرين يدعى (أدورد سيل) .

ولا ينسى المستر (لايل) الاشارة الى وادي السلام الممتد خارج السور ، الذي يرقد في أرجائه رقدتهم الأبدية الكثيرون من الملوك والوزراء والوجهاء والتجار ، والأغنياء والفقراء . ويشير الى القراء الذين يقرأون القرآن على الكثير من القبور لينيروا ظلمتها الموحشة ببركته وروحانيته ، فيقول ان الزائر لوادي السلام في أمسيات الخميس من كل اسبوع يجد حوالي ألفي قارىء من هؤلاء القراء الذين يحصلون على قوتهم من هذه المهنة المصطبغة بالتقى والورع . ولا يحصل هؤلاء على الكثير من هذه المهنة ، ولذلك فانهم يتقاضون أيضاً حصتهم من الصدقات التي يفرقها المجتهد الأكبر على المحتاجين من الناس عادة .

ويأتي بعد ذلك على الطرق الضيقة والبيوت المحتشدة في رقعة صغيرة من

الأرض . وأهم ما يذكره عنها ما يشير بـه الى السراديب النجفية المعروفة التي يقول ان المزية الفريدة في النجف وجود طبقة واحدة منها في كل بيت على الأقل، وقد توجد في بيوتها الكبيرة ثلاث أو أربع أو خمس طبقات من هذه السراديب أيضاً . ومزية هذه السراديب من الناحية العملية في رأيه ان المرء يتحتم عليـه لبس المعطف حينما ينزل الى ما تحت الطبقتين أو الثلاث منها ، بينما تكون درجة حرارة الخارج في حدود الـ (١٢٥) بالمقياس الفهرنهايتي . وتتصل كثير من الدور بعضها ببعض عن طريق هذه السراديب فتكون وسيلة للجرائم التي تقف مخيلة الرجل المتمدن مشدوهة مرتجفة تجاهها على مـا يقول (١) . ويتطرق المستر (لايل) كذلك الى وجود بئر واحدة في كل بيت يبلغ عمقها مئة قدم ، وفيها ماء أجاج يتسبب عنه الزحار (ديزانتري) أحياناً .

ومـع جميع المغالطات والمثالب التي يوردها المستر لايل حينما يبحث عن الشخصية النجفية ، وعلاقة الشيعة بالسنـّة ، وجرائم المجتمع ، والمتعة والطلاق والقضايا الجنسية ، ووضع الانكليز في العراق مع حقهم بالبقاء فيه، فان الحقائق الناصعة عن الصوم والالتزام بطقوس الحزن على الإمام الحسين في محرم، وشخصية الإمام علي عليه السلام ، لم يستطع بكل ما عنده من تعصب وتحيز أن يطمسها أو يحجب نورها عن نظر القارىء .

فقد كان الإمام علي في نظره ألمع الأئمة المسلمين وأعظمهم بمراحل . « وقال انه قد عرف في شبابه وكهولته بالكثير من المآثر وأعمال البطولة التي تخـلد شجاعته الفائقة في التاريخ وتبرر لقب « الأسد » الذي لقبه به النبي الكريم ، كما عرف في شيخوخته بورعه وزهده ودماثة خلقه . ولا يسع المرء غير المتعصب إلا ان يعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية ، لما عرف عنه من إخلاص تام

(١) نعتقد ان الحكاية هذه تحمل تكذيبها بنفسها ج. خ.

وتفان متناه لمعلمه وسيده النبي محمد . وقد أدى قتله بالطريقة التي قتل فيها الى انتشار شهرته وذيوع صيته في الخافقين » .

وقد كتب لايل في كتابه حوالي عشرين صفحة (١) عن محرم الحرام واستشهاد الامام الحسين فيه ، ومراسيم اللطم والضرب بالقامة والسلاسل إحياء لذكراه وحزناً عليه مما يجري في النجف كل سنة . وهو يقول في هذا الشأن ان الحياة العاطفية المتطرفة عند العرب والمسلمين تجد متنفسها الكامل خلال الأيام العشرة الأولى من محرم . وإن يوم عاشوراء يعد من أقدس الأيام عند المسلمين لأن الله عز وجل خلق فيه آدم وحواء ، والعرش والسماء ، وجهنم ويوم الحساب ، ولوح القدر والقلم والمعاد والموت . ومما يذكره عن ليلةٍ شهد فيها موكباً من مواكب « اللطمية » قوله « . . ان السكوت التام الذي كان يخيم على الجموع المحتشدة ، والسماء الاستوائية العميقة التي كانت تحيط بكل شيء ، وملاعبة النسيم لسعفات النخيل من وراء المحتفلين ، والصوت الصبياني الرقيق المرتفع بالحداء المنطوي على قصة يشعر بفجيعتها المتناهية كل من يستمع اليها ، قد رسمت كلها في مخيلتي صورة ليس من الممكن لي أن أنساها قط » . ويصف جماعات « اللطّامة » فيعجب بجماعة خدام الحضرة المتكونة كلها من السادة ، والتي كانت تحتوي على ما يقرب من مئتين وخمسين شخصاً . ويقول عن صوت اللدم على الصدور انه صوت فريد في بابه ومفعم بالخوف الممزوج بحب الاستطلاع . وقد سمعه في ليلة من الليالي الهادئة وهو في مكان يقع على بعد ثلاثة أميال من النجف . أما « التشابيه » فيقول عنها إنها تمثل يوم عاشوراء ، وتعتبر شيئاً موقراً جداً بعد جميع ما يحدث قبلها . لكنها تكون كثيرة الواقعية في بعض فصولها ، لأن الجمهور يسلك كما لو كان كل ما يجري أمامه معركة حقيقية تقع بين يديه . ولذلك

---

(١) الص ٥٧ - ٧٦

فان الذي يقوم بدور يزيد لا بد من أن تكون له أعصاب من حديد لأن الجمهور يصبح نخيفاً بتهديداته . ويأخذ بعد هذا بوصف جميع ما يحدث كما هو معروف لدى الجميع في هذه البلاد .

وفي إحدى المناسبات دعـــا كليدار النجف المستر (لايل) ليصطحبه الى الصحن فيشهد معه دخول موكب الساده وخدام الحضرة اليه ، وكان ذلك في العاشرة والنصف من مساء اليوم التاسع من محرم الحرام . فجلسوا ينتظرون في الساحة الخالية من وجود أي نوع من أنواع الضياء في كل مكان ، عدا النجوم التي كان يبدو بعضها متلألئاً في كبد السماء الصافية الخالية من القمر . وبعد الصمت الذي ظل مخيماً على الجميع مدة من الزمن دخل الموكب تتخلله أربعة مشاعل ضخمة ، تحيط بكل منها جماعة من السادة المعروفين لديه . وقد كانوا من جميع الطبقات والأعمار على حد قوله، من الأولاد الصغار الى الرجال الملتحين والمسنين الذين أحنت ظهورهم السنين . كمـــا كانوا عراة الى الحزم مع العمائم الخضر التي كانت تجلل رؤوسهم . ثم نهض فجأة صبي لا يتجاوز عمره الثلاث عشرة سنة وارتقى المنبر فأخذ يقرأ قصة الحسين الشهيد بلهجة فصيحة أعجبت المستر (لايل) ولذلك نجده يقول انه كان يعتقد على الدوام ان العربية لغة موسيقية ترتاح لهـــا الآذان ، وان هذا الصبي لا بد من أنه كان قد اختير لجمال صوته وإجادته في القراءة . وكان الرائي يلحظ في النور المختلط بدخان المشاعل مئات الأذرع ترتفع الى السماء وتهبط أكفها لادمة الصدور العارية بحماسة ظاهرة حزناً عـلى الحسين وتوجعاً للامـــام الشهيد ، بينا ترتفع أصوات النسوة المولولات من فوق الجمع المحتشد . ويبدو ان المستر (لايل) قد تحسس بهذا المنظر ، لأنه يعلق عليه بقوله : « ولم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية ، ولم ينعدم الضبط بين الناس ، فشعرت وما زلت أشعر بأنني توصلت في تلك اللحظة الى جميع ما هـــو حسن وممتلىء بالحيوية في الاسلام ، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك

الناس والحماسة الدينية المتدفقة منهم يمكنهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وُجها في الطرق الصالحة والسبل القويمة . ولا غرو فلهؤلاء الناس عبقرية فطرية في الدين(١) » .

ثم يقول المستر لايل بعد ذلك ان المجتهد الأكبر نفسه قد أخبره وهو آسف في لحظة من لحظات ثقته به بأن هذه المراسيم والطقوس ، بجميع ما فيها من تطرف في إظهار الحزن والأسى ، هي أشياء محرّمة تحريماً تاماً، وإنه لا يستطيع السيطرة على الناس فيها . فأهون على المرء أن يصدّ موج البحر الطامي من أن يكبح جماح عاطفة أساسية في الجنس البشري مثل عاطفة التعبد لله والتفاني في سبيله . وهذه هي القاعدة الأساسية التي تستند عليها جميع الطقوس التي تجري في محرم ، مع ان أحداً من المشتركين بها لا يحمل أية فكرة عن ماهية هذا الشعور. ويعقب على ذلك قائلا في مكان آخر : ان الكثيرين من العرب ، ولا سيما الصبيان منهم ، هم أصدق معرفة بالديانة الحقة من مئات (الانكلوساكسونيين) الذين يحضرون صلاة الأحد في الكنائس ويشتركون في طقوسها . لأن كل عربي يعلم تمام العلم بأن التدين يعني احتمال شيء غير يسير من التقشف الذي تحتمله الألوف المؤلفة ببهجة وسرور . لكن هؤلاء الناس كما قلت يتصفون بعبقرية طبيعية في شؤون الدين . ونحن لا نستطيع الاهتداء الى لمحات من القواعد الأساسية للشخصية العربية وأهميتها المادية إلا في محرم ورمضان (٢) .

أما رمضان فيتطرق الى ذكره في كتابه بما يقرب من عشرين صفحة أيضاً. فيشرح فيها أهمية الصيام عند المسلمين ، ويورد عدداً من الآيات الكريمة النازلة بـه مترجمة الى الانكليزية ، ثم يقارن هذا الصيام بصيام المسيحيين فيذكر أنه يختلف تمام الاختلاف عن فكرة الصوم التي تتمسك بها الكنيسة الكاثوليكية ، ويكاد يستخف بهـا . ويتطرق بعد ذلك الى ما في صيام المسلمين من صعوبة

---

(١) الص ٧٣ - (٢) الص ٧٥

ومشاق بسبب الامتناع عن تناول كل شيء خلال ساعات النهار . وهنا يفند ما يذهب اليه بعض الأوربيين الذين عاشوا في الشرق مدة من الزمن من ان الصيام عند المسلمين عبارة عن مظاهر فارغة لا غير لأن الناس يسمح لهم بأكل ما يشتهون خلال الليل . فيقول ان مثل هذا الاتهام المفعم بالجهل والتعصب لا يمكن أن يصدر ممن يكلف نفسه قليلاً في تفهم أحوال الناس الذين يعيش بين ظهرانيهم ويتعاطف معهم . ويستشهد في ذلك بأكبر حجة عن العرب وبلادهم ، الرحالة الانكليزي المشهور (ريتشارد برتون) . ويستمد على إيراد الكثير من البراهين والمناقشات مما لا يتسع المجال لذكره ، لكنه يعلق على ما يقوله المستشرق المعروف (مارغليوث) (بأن المتعبدين الذين يصومون رمضان في سورية ومصر هم في العادة الفقراء المتعودون على الجوع والتقشف) ويقول ان الشيوخ في العراق لا يقلون عن فلاحيهم تمسكاً برمضان ومراعاة لشعائره الحكيمة ، ثم يعجب المستر (لايل) كيف يستطيع الخاص والعام الامتناع عن التدخين بالاضافة الى الامتناع عن الأكل من دون تذمر ملحوظ. فيصف كيفية فتح المقاهي في النجف وقت الافطار وتقاطر الناس عليها لتناول الشاي من دون جلبة أو حدة ظاهرة أو تذمر يذكر في الحصول عليه ، سوى ذكر البسملة أو الحمدلة وسائر الجمل المناسبة . وهو يقول ان كرامة العربي الحقيقية وعزة النفس الأصلية يمكن ان تلاحظ هنا . ولذلك نراه يشير الى ان هذا الصيام ينطوي على الكثير من ضبط النفس وكبت الشهوات، ويستخف بمن يقول ان حوادث الاحتكاك والمشاحنات تزداد بين الناس خلال الشهر الفضيل لأنه لم يلحظ ذلك حينما كان يشتغل حاكماً في محاكم بغداد المدنية ، وقد يكون الأمر بعكس(١) ذلك على حد تعبيره.

وقبل ان ينهي المستر لايل ما يكتبه عن رمضان يتطرق الى عيد الفطر

---

(١) الص ٨٦

ومراسيمه ، فيقول إنه شاهد تمتع الناس بهـذا العيد في البادية والمدن ، وفي البواخر ، فكان يتمنى على الدوام ان يكون هو نفسه أحد المتمتعين بـه . ثم يأخذ بوصف مظاهره المختلفة في النجف ، وزيارة الناس بعضهم لبعض من أجل المعايدة ، وما أشبه .

غير انه يعمد بعد ذلك الى تحليل النظام الاسلامي بوجه عام ، ويزعم في ذلك انه نظام جاف ضيق الأفق ، لا يعترف بالابداع والتقدم ، فيربط أتباعه بقانونية تقتل فيهم كل أمل وتقضي على أي مجهود يبذلونه في مهده . ومع هذا يبقى الاسلام الخصم الألد للمسيحية (١) على حـد تعبيره ، ولا سيا في البلاد الأفريقية التي تشترك فيها الديانتان في منافسة حادة يكون فيها الاسلام هو المجلي في الوقت الحاضر . ثم يخلص الى القول بأنه لا يستطيع أن يصدق بأن المسؤولين عن السياسة البريطانية في العراق يجهلون حقيقة النظام الاسلامي الذي يتصوره هو في البلاد الاسلامية عامة وبين العرب على الأخص ، ويستغرب كيف يفكر المسؤولون في منح الحكم الذاتي للعرب وهم الذين لا يمكن أن يضطلعوا بذلك إلا بعد مئة سنة (٢) . وهنا أيضاً أقول ان ما حصل في البلاد العربية منذ أن كتب (لايل) هذا الكتاب حتى اليوم يبرهن على جهله في هذه الأمور وخطئه في حكمه المتحيز .

وحين يبحث عن مستقبل العراق ، وعلاقته ببريطانية يعـالج الموضوع بصورة « تجارية » وبحساب الربح والفائدة . ولذلك نراه يدعو الى وضعه تحت « الحمايـة » البريطانية وإبعاد الداعين الى الوحدة العربية ، لأن حكم سنة واحدة في العهد الفيصلي قد أدى على زعمه الى نقص كبير في الواردات وإزدياد في التفسخ والفساد . وهذا أيضاً حكم لا سند له من الصحة لأن حكم السنة الواحدة من العهد

---

(١) النص ١٦٩ — (٢) النص ١٨٥

الفيصلي التي يشير اليها لم يكن حكماً وطنياً إلا بشيء من المظاهر ، وانما كان حكماً إنكليزياً يسأل عنه الانكليز في الدرجة الاولى . ويدعو كذلك الى تقوية الأقليات ، والالتفات الى الأقلية اليهودية التي لم يُقدر وضعها وأهميتها في هذه البلاد ومع ان اليهود هم العنصر التقدمي في جميع البلاد على ما يزعم ، وهم الجماعة المسيطرة على شؤون المال والتجارة . ومن الغريب انه يولي هذه الأقلية عناية خاصة في عدة مناسبات مع أنه غير يهودي . ولا غرو فإن المستر (لايل) هو مثال الاستعماري البريطاني الذي أدى تصرفه وتصرف أمثاله الى نشوب الثورة العراقية التي كان للنجف فيها قسط أوفر من الجهود التي يخلدها التاريخ بمداد الفخر والإعجاب .

موقف النجف الى ١٩٣٢

وإذا عدنا الى مجرى الحوادث في العراق ، وتقصينا ما أسهمت فيه النجف منها ، نجد ان قيام الوزارة السعدونية ، التي كان يحرضها الإنكليز ، بمضايقة العلماء في النجف والكاظمية قد أدى الى هجرة بعضهم الى إيران ومنهم المرحومان العلامة النابيني، والحجة السيد أبو الحسن احتجاجاً على نفي العلامة المرحوم الشيخ مهدي الخالصي بسبب معارضته في إجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي. وحينما استقالت الوزارة المذكورة على أثر ذلك ، وتشكلت وزارة جعفر العسكري الأولى أراد الملك فيصل أن يسترضي الشيعة على ما يقول (آيرلاند) ولذلك نجد ان المستر (لونكريك) صاحب كتاب (أربعة قرون ..) يذكر في كتابه الآخر عن العراق الموسوم (العراق بين ١٩٠٠—١٩٥٠) (١) ان الملك فيصلاً زار النجف وكربلا زيارة رسمية في كانون الأول ١٩٢٣ ، فلقيت زيارته الى تلك المناطق نجاحاً باهراً . والظاهر إنه ذهب الى هناك ليمهد الى إجراء الانتخابات

---

(1) Iraq. 1900 - 1950, by Stephen Hemley Longrigg, London 1953

وجمع المجلس التأسيسي الذي كانت مهمته التصديق على المعاهدة ووضع الدستور. وقد تم ذلك بالفعل في وجه معارضة قوية . ويقول المستر (لونكريك) في كتابه المشار اليه ان الوزارة العسكرية حينما استقالت بعد حل المجلس ألف الوزارة في ٢ آب ١٩٢٤ ياسين الهاشمي فأشغل وزارة المعارف في وزارته السياسي النجفي المثقف الشيخ محمد رضا الشبيبي (١) . لكن المعروف ان الاستاذ الشبيبي استقال بعد عدة أشهر احتجاجاً على منح الوزارة الهاشمية امتياز النفط للشركة الإنكليزية بشروط مجحفة للعراق . ومما يذكره (لونكريك) عن هذه الفترة كذلك (١٩٢٤) ان الحالة في كردستان كانت غير مستقرة ، بينما كان المسؤولون في الحكومة البريطانية منهمكين في المفاوضة مع تركية حول قضية الموصل وإنهاء مشكلة الحدود بين البلدين . وقد عمد الشيخ محمود في تلك الأثناء الى الإتصال بالأتراك والاستعانة ببعض ضباطهم الذين انضموا اليه في السليمانية ، والى إيفاد أناس خاصين الى كركوك لتحريض التركمان على مناصرته في حركته ، والى النجف وكربلا بطلب العون والمساعدة .

وقد كانت سنه ١٩٢٧ مفعمة بالنشاط العام الذي كانت تديره الأحزاب المعارضة النشطة ، مثل حزب الشعب برآسة ياسين الهاشمي والحزب الوطني الذي كان يرأسه جعفر أبو التمن وحزب النهضة برآسة أمين الجرجفجي ، في مقابل الحزب المالىء للانكليز الذي كان يرأسه عبد المحسن السعدون ، وهو حزب التقدم . وقد أدى هذا النشاط الى تخوف رئيس الوزراء جعفر العسكري من تقديم المعاهدة ، التي عقدها مع الانكليز في أواخر هذه السنة ، على المجلس النيابي وقيامه بتقديم استقالته في أيام ١٩٢٨ .

على ان المستر (لونكريك) يذكر عن هذه السنة في كتابه (١) الثاني عن

(١) الص ١٥٢ — (٢) الص ١٧٧

العراق إنها تتميز بثلاثة أمور ذات أهمية سياسية خاصة . أولها ظهور العنصر الشيعي ، من دون دلائل مسبقة ، كقوة سياسية على مسرح الحوادث في البلاد . وقد كان لا بد لهذه القوة من أن تظهر للوجود بعد أن زال عن الشيعة كابوس المضايقات التركية ، وقل تأثير السلبية المزمنة التي كانت تتصف بها قيادة العلماء لهم في ١٩٢٣ ، وظهور طبقة منهم تطالب بالاشتراك في حياة البلاد العامة وهي لا تقل عن غيرها في الوطنية والثروة والذكاء بشيء . ولم تعد هـذه الطبقة تكتفي بالأقلية الشحيحة التي تعيَّن في الحكومة من أبنائها ولا بالكرسي الوزاري الوحيد المقنن لهـا . وكان بوسعها أن تعتمد في نشاطها السياسي هذا على طبقة مثقفة بدأت تأخذ بالنمو ، وكتلة عشائرية قوية تتركز في الفرات الأوسط ، ومجموعة غنية طموحة نهمة في الاستحواذ على الأراضي الزراعية والتوسع بها من سادة المنطقة وعلى ما بقي من نفوذ العلماء والمجتهدين في المدن المقدسة وهو شيء لا يستهان به .

وفي هذا الجو المشحون بالانقسامات والاختلافات وقعت حادثة مؤسفة ، في أوائل ١٩٢٧ ، كانت بداية مناسبة لسلسلة من الحوادث الأخرى التي كهربت الجو واستنفدت الكثير من جهد المسؤولين في الأوساط الوزارية . فقد نشر أحد المدرسين (يشير الى كتاب النصولي عن تاريخ العرب) كتاباً اعتُبر منافياً للعقائد الشيعية ، فانقسمت الأوساط السياسية في عشية وضحاها الى فريقين متنابذين ، وعقدت الاجتماعات الصاخبة في بغداد والنجف وسائر المدن المقدسة للمطالبة بحقوق الشيعة . ثم ظهر للوجود من جديد حزب النهضـة ، الذي لم يُعرف له نشاط ملموس منذ ١٩٢٢ ، بقيادة شيعية خالصة . وحينما عرضت الحكومة على المجلس النيابي « لائحة قانون الدفاع الوطني » في هذه الأثناء تضاعفت المعارضـة الشيعية للحكومة بمناسبته . واستقال في الحال الوزير الذي يمثلهم في الوزارة السيد عبد المهدي ، ثم انضم اليهم الأكراد خوفاً من التجنيد الاجباري الذي كان

يتهددهم . فاستبدل السيد عبد المهدي بأمين زكي في المعارف ، وعُــين السيد علوان الياسري وزيراً للري والزراعة . على ان رئيس الوزراء عمد الى تأجيل المجلس النيابي لينقذ وزارته ، لكن هــذا التدبير لم يؤد إلا الى انتقال النشاط السياسي الرئيسي من بغداد الى الفرات الأوسط . وقوطع وزير المالية حينما قام بجولة الى النجف ومــا حولها ، واستطاع الملك فيصل بكل ما عنده من سخاء ولباقة معالجة حادث وقع في الكاظمية في اليوم العاشر من محرم ما بين الجنود والمشتركين بالعزاء الحسيني المعتاد . ثم أخــذ حزب النهضة يشنع بالوزيرين الشيعيين المشتركين في الوزارة ويندد بتعاونهما مع الحكومة ، وعمد الى تنظيم المظاهرات في النجف وكربلا وكتابة المقالات الرنانة في صحفــه ، فأدى ذلك بياسين الهاشمي وكيل رئيس الوزراء الى سدها. وحينما اعترضت المقامات العليا عليه قدم استقالته من الوزارة ، وحذا حذوه رشيد عالي الكيلاني (١) .

وحينما تشكلت الوزارة السعدونية الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ للعمل على تصديق معاهدة ١٩٢٧ وإمرارها من المجلس ، بعــد أن عقدها جعفر العسكري رئيس الوزارة السابقة مع الانكليز ، كان من بين أعضائها الصراف النجفي محسن شلاش على تعبير (لونكريك) (٢) ومما يذكر عن الحاج محسن في هذه الوزارة أنه كان مسؤولاً عن عقد امتياز أصفر لاستثمار اللطيفية ، حينما كان وزيراً للمالية من قبل. ولما كان هذا الامتياز مجحفاً للجانب العراقي تجاه الانكليز أصحاب الامتياز ، ومبنياً على أغلاط فنية غير يسيرة ، فقــد طلبت المعارضة (جلسة ١٧ أيلول في المجلس النيابي) حينما عرض على المجلس من قبل هذه الوزارة إقالته ورفع الحصانة عنــه تمهيداً لسوقه الى المحاكمة فلم ينفذ الطلب .

وبعد أن استقالت الوزارة السعدونية الثالثة في كانون الثاني ١٩٢٩ تألفت

(١) الص ١٧٨ — (٢) الص ١٧٩

الوزارة التي تليها من بين أعضاء حزب التقدم أيضاً برآسة توفيق السويدي ، فبقي فيها الحاج محسن شلاش في منصبه أيضاً على ما يذكر (لونكريك) وآخر ما يورد هذا المؤلف كذلك عن الحاج محسن اشتراكه في وزارة نوري السعيد السابعة في تشرين الأول سنة ١٩٤٢ وإشغاله منصب الوزير في وزارة الاقتصاد، وهنا يسميه بالتاجر النجفي .

تثمين في نهاية عهد الانتداب

ويتطرق المستر (لونكريك) في نهاية الفترة التي انتهت بدخول العراق الى عصبة الأمم في ١٩٣٢ الى تثمين عام للتقدم الذي حصل في العراق ، فيذكر في جملة ما يعدده في هذا الشأن ان محاولات وتجارب أجريت في الأشهر الأخيرة من هذه الفترة لفتح طريق النجف الى المدينة . ثم يعاود ذكر هذه النقطة بعد ذلك ويقول ان السير في طريق النجف - المدينة قد ازداد وتوسعت أهميته في ١٩٣٥-٣٧ (١). ويذكر في مناسبة اخرى كذلك ان الحجاج ظلوا يسافرون من النجف الى البلاد المقدسة عبر البلاد النجدية سنة ١٩٣٧ .

وحينما يستطرد في تثمينه الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت تسود العراق في ذلك التاريخ (١٩٣٢) يأتي على ذكر الطوائف والطبقات الدينية ، ويتعرض على غير عادته في المؤلفات الأخرى الى النجف وتأثيراتها الدينية وغير الدينية على الوضع العام في البلاد ، وكأنه يأبى الا أن يبرهن على مشاركته لزملائه الانكليز الآخرين الذين كانوا يسيّرون العراق يوم نشبت الثورة العراقية في موتوريتهم من النجف وعلمائها واستغلالهم للنعرات الطائفية المقيتة في كل فرصة أو مناسبة . فبدأ بالقول ان إدارة أمة من الأمم ، وصلاح أحوالهم السياسية ، لا يتفقان مع وجود ثقافات وحضارات مختلفة متباعدة بين طبقات

السكان ، أو قنوع الولاء ، أو مستويات متباعدة في التطور الاجتماعي . لكن العراق فيه أقليات غير مندمجة في أكثرية السكان ، وتباين بارز في تطور الطبقات الاجتماعية ومستوياته ثم يتعرض الى وجود الأكراد وأوضاعهم ، ووجود الآثوريين واليزيديين والايرانيين وما أشبه وبقائهم محافظين على كياناتهم المتباينة . كما يشير الى الاختلافات الموجودة بين الطوائف المسيحية المختلفة ويخلص منها الى القول بأن اختلافاتها لا يمكن أن تقارن(١) بالاختلاف التاريخي العميق الموجود بين السنّة والشيعة الذي كان أبداً ودوماً وما زال يفرق الوحدة السياسية في البلاد ويملؤها مرارة وانشقاقاً . ولئن أصبحت القيادة الشيعية في ١٩٣٢ وما بعدها أقل تعصباً وابتعاداً عن العراق ، فإن علماء النجف ظلوا يحتفظون بالكثير من السلطة والنفوذ وبقيت الشيعية هي القوة الموحدة لكتلة كبيرة من السكان دائمة التذمر والهياج ، والفكرة التي تسمو على ولاء العشائر وإخلاصهم . وكثيراً ما كانت الشيعية في الفرات ، وهي تقترن بالابتعاد عن المركزية القريب من الفوضوية ، منبعاً رئيسياً لمشاكل الحكومة ومصاعبها .

وفي معرض البحث عن وزارة رشيد عالي الكيلاني التي تشكلت في ٢٠ مارت ١٩٣٣ ، على أثر استقالة وزارة ناجي شوكت الضعيفة ، وما قوبلت به في الأوساط السياسية ، يقول ان الحكومة الجديدة قوبلت بالترحاب لأنها اعتبرت ممثلة للأخاء لوطني في البلاد . لكنها سرعان ما خسرت مؤازرة الوطنيين لأن منهاجها لم يتضمن شيئاً عن إعادة النظر بنصوص المعاهدة الجديدة التي عقدها نوري السعيد مع بريطانية العظمى في ١٩٣٢ . ولذلك أذاع أولئك الوطنيون بياناً في حزيران يهاجمون فيه الوزارة ، وظهرت للحكومة دلائل على ان هذا السخط في محافل النجف والفرات الأوسط الخطرة يمكن أن يكتسب

---

(١) النص ٢٢٢

طابعاً طائفياً ، وبالتأكيد على المطاليب الشيعية يمكن أن يعد خطراً على الأمن العام . وبذلك نشأ في البلاد من جديد وضع يريد فيه عنصر واحد من العناصر السياسية في الدولة إجبار حكومة وطنية مؤتلفة على تلبية مطاليبه (١) . على ان موقف الوزارة الأخائية هذه قد أنقذ بوقوع حركة الآثوريين في الشمال ، ووقوف البلاد بسببها صفاً واحداً وراء الحكومة لكنها سقطت بوفاة الملك فيصل الأول في أيلول ١٩٣٣ .

في عهد الملك غازي

وبعد أن يأتي المستر (لونكريك) على وصف ما حصل في الوزارات المختلفة التي تولت الحكم في عهد الملك غازي ، يشير الى كيفية انتهاز علي جودة فرصة وجوده في الديوان الملكي وتسلمه رآسة الوزارة في ٢٨ آب ١٩٣٤ . ويتطرق الى قيامه بحل المجلس النيابي وإتيانه بمجلس جديد محشو بمرشحيه وأصحابه ، خال من الشخصيات التي تنطق بإسم العشائر ، ولا يمثل فيه الشيعة تمثيلاً عادلاً . وعلى هذا الأساس نشطت المعارضة والعناصر المناوئة للوزارة الى مهاجمتها وبث الدعاية السيئة ضدها . ويقول المستر (لونكريك) ان الدعاية كانت موجهة الى الأكراد في الشمال ، والقبائل التي تسيطر عليها (النجف) بصورة اعتيادية في الفرات ، حيث يوجد الشيوخ السياسيون من أمثال شيخ آل فتلة عبد الواحد الحاج سكر الذي كان من غير المعقول عدم انتخابه للمجلس النيابي . وقد كان مع عبد الواحد رجال من مثل السيد محسن أبي طبيخ ، وعلوان الياسري وغيرهما . على ان طائفة أخرى من الشيوخ لم تكن أقل منها حركة وتمرداً ، ولا أقل اندفاعاً للمطالبة «بحقوق الشيعة» أخذت تتقرب الى الحكومة وتنشد الحصول على المنافع منها . ومن دون القيام بحركات عنف صريحة أخذت عشائر الديوانية

---

(١) الص ٢٣٠

والحـــلة تعقد الاجتماعات ، و « تهوس الهوسات » وتتجاهر بحمل السلاح . ثم جرت اتصالات بعلماء النجف ، ولا سيما بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء العلامة العربي الأكبر على حد قوله ، لتوحيد الكلمة .



الشيخ محمد الحسين - كاشف الغطاء

ومـــع جميع البرقيات التي قدمت الى الملك ، والمثول بـــين يديه في كانون الثاني ١٩٣٥ ، لم تحصل أية نتيجة . وقد جاهد علي جودة في إعادة الأمور الى نصابها من جميع الوجوه ، لكنه لم يفلح في البقـــاء في الحكم واستقال في ٢٣ شباط ١٩٣٥ .

وقد بذلت الجهود لتشكيل وزارة إخائية ، من دون حل المجلس الذي جاء بـه علي جودة ، فلم تثمر شيئاً . ولذلك شكل جميل المدفعي وزارة جديدة ، غير انه لم يحظ بالتأييد الشعبي ولا بمؤازرة الملك ولم يستطع حل أية مشكلة من المشاكل وإنما نشط العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى العمل مع شيوخ العشائر اللائذين به فاستطاع تنظيم قائمة غير معتدلة بمطاليب الشيعة تحمل العشرات والمئـــات من التواقيع . وفي الأخير اضطر المدفعي الى تقديم استقالته بعد ان لم تستقم وزارته في الحـــكم أكثر من ثلاثة عشر يوماً لا غير . وعند ذاك تألفت وزارة إخائية برآسة ياسين الهاشمي ، في ١٧ مارت ١٩٣٥ ، من دون قيد أو شرط . وكان ممن اشترك فيها الوزير النجفي المعروف الاستاذ محمد رضا الشبيبي .

ومـــع ان تشكيل الوزارة الإخائية قد أرضى عبد الواحد الحاج سكر وجماعته الذين عادوا الى حالتهم الاعتيادية ، فانها أقلقت مناوئيه من الشيوخ من أمثال (خوام العبد العباس) وجماعته . فألح هؤلاء الشيوخ على الشيخ محمـــد

حسين كاشف الغطاء ، وأكثروا ترددهم على النجف التي صار يتسرب اليها الدس السياسي من بغداد أيضاً ، حتى تكهرب الجـــو في الفرات الأوسط معظمه . ويقول المستر (لونكريك) ان الوضع في النجف وما يحيط بها صار يذكر المرء بالوضع الذي كان سائداً فيها قبيل ثورة ١٩٢٠ ، حينما استثيرت الدعاية ضد الانكليز ، وان تاريخ المناطق الفراتية تلك في ١٩٣٥ و ١٩٣٦ يعتبر تكراراً بنطاق أضيق لتاريخها في سنة ١٩٢٠ نفسها . فلم تجد الحكومة بداً من الالتجاء الى الحزم والقوة ، فسيقت القطعات الى الفرات الأوسط ورابطت مفرزة من الجيش في النجف بالذات بعد أن استعانت الحكومة بالشيخ محمد حسين في بـذل ما عنده من نفوذ لتهدئة الحال فلم يتوفق(١) في مسعاه . ولذلك اصطدم الجيش الذي كان يقوده بكر صدقي بالشيخ خوام فقضى على الحركة التي كان يتزعمها بسهولة (٢) .

موقف النجف من حركات العشائر ١٩٣٥

على ان التطورات السياسية التي وقعت في العراق خلال هذه الفترة ، وكان مسرحها النجف وسائر أنحاء الفرات الأوسط والجنوبي ، فأدت الى ثورة ١٩٣٥ يحللهـا الكابتن (ا. د. ماكدونالد) ضابط الاستخبارات البريطاني المسؤول في تلك الأيام تحليلاً يلقي ضوءاً غير يسير على مـــا جريات الأحوال يومذاك برغم تفسيراته الخاصة التي تعبر عن وجهة النظر البريطانية المعروفة . فقـــد ألقى

---

(١) والمشهور ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء كان على خلاف شديد في ذلك الوقت مـــع حكومة الهاشمي فليس من المعقول ان يكلف بتهدئة الأحوال .

ج. خ.

(٢) كان الشيخ خوام ينفذ أمر الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في حركته المشار اليها هنا.

ج. خ

محاضرة عن الموضوع (١) في الجمعية الآسيوية الملكية في لندن يوم ٢ تشرين الأول ١٩٣٥ ، ونشرت بتفصيلاتها في عدد كانون الثاني ١٩٣٦ من مجلتها .

ويبدأ الكابتن (ماكدونالد) محاضرته بشرح التدخل السافر الذي كانت تقوم به الحكومة في الانتخابات النيابية ، وتعيين النواب تعييناً كيفياً في الغالب . ثم يذكر ان علي جودة حينما تولى رآسة الوزارة جاء بمجلس فيه الكثير من أعوانه ومريديه حتى من المناطق العشائرية المعروفة في لوائي الديوانية والمنتفك ، وأبعد الرؤساء من أهالي المناطق المذكورة عنه . وكان ممن شطب اسمه من قائمة لواء الديوانية عبد الواحد سكر شيخ مشايخ آل فتلة وقد أدى ذلك الى التذمر الشديد ، واستفحال أمر المعارضة التي استغلت هذه الفرصة في الفرات الأوسط لأغراضها، بزعامة حزب الأخاء الوطني وقادته من أمثال ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وحكمة سليمان .

أما ما يختص من ذلك بالنجف والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، فيذكر ماكدونالد أنه كان من الواضح ان عبد الواحد لم يكن يأمل الحصول على الكثير من التجاوب المحلي إذا اقتصر في دعوته على تبديل الحكومة فقط (حكومة جميل المدفعي) . ولذلك حجب نياته الحقيقية عن الناس وأظهر نفسه بمظهر البطل المدافع عن « حقوق الشيعة » في البلاد ، فتقمص بذلك دوراً يمكن أن يؤمن له مؤازرة واسعة وتجاوباً بعيد الانتشار . على أنه لم يظفر بمؤازرة العشائر المطلقة في ذلك لأن أربعين بالمئة فقط خفت لمؤازرته ، وأحجم ستون بالمئة منهم عن الانحياز اليه لأنهم كانوا يعتقدون ان حكومة المدفعي أقل شراً من الحكومة الإخائية . لكن هؤلاء اضطروا الى مجاراة عبد الواحد في دعوته الى

(1) Capt. A. D. Macdonald — The Political Development in Iraq, Leading up to the Rising in the Spring of 1935, Journal of Royal Central Asian Society, January 1936, Vol. XXII

تحسين الأحوال في مناطق القبائل الشيعية ، بدلاً من تأييده هو بالذات ولذلك التجأوا الى العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، للاسترشاد وطلب المشورة. وهكذا تجزأت الكتلة العشائرية في الفرات الأوسط الى مجموعتين : مجموعة نشطة فعالة يتزعمها عبد الواحد (١) تريد الإتيان بحكومة إخائية عن طريق الإخلال بالأمن ، ومجموعة ثانية أكبر من الاولى (٢) وعلى جانب أكبر من عدم السياسة والتدبير . وقد ربطت هذه نفسها بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وهي عازمة على الحيلولة بذلك دون قيام عبد الواحد باستغلال البركات التي تسبغها عليهم الدعوة العتيدة الشيعية من أجل تحسين مركزه على حسابهم .

ويتابع الكابتن (ماكدونالد) شرحه للموضوع بقوله ان الأحوال في الجنوب كانت تمر خلال هذه الفترة من سيء الى أسوأ ، وما أن تسلمت وزارة المدفعي الجديدة زمام الحكم حتي اندفعت جماعة عبد الواحد الى القيام بأعمال وإن كانت غير منافية للنظام في الظاهر إلا أنها مع ذلك كانت تعتبر غير قانونية على وجه التأكيد . فقد بادر أبناء عشائر (آل فتلة) الى قطع طريق المشخاب الفرعي بتعطيل القناطر عن العمل ، وسدوا طريق الديوانية ـ النجف . . . ولذلك سيق قسم من الجيش الى الجنوب ، فنقلت ثلاثة أفواج الى المنطقة التي تأثرت بهذه الحركة ، وتوجه فوج منها الى النجف نفسها .

وفي أثناء هذه التطورات لم يسمح للشيخ محمد حسين في النجف بالبقاء في معزل عن العمل . فقد كان موقفه صعباً في الحقيقة ، لأنه كان يتعرض من جهة الى ضغط القبائل غير الإخائية التي كانت تطالبه بأن يُظهر بصراحة حقيقة

---

(١) وكان من أبرز زعمائها السيد محسن (ابو طبيخ) والسيد علوان الياسري، وعبادي الحسين

(٢) وكان من أبرز هذه الجماعة ـ علوان الحاج سعدون ، والحاج رايح ، والحاج مرزوق العواد ، وداخل الشعلان ، وخوام العبد العباس ،

تغطرس عبد الواحد وادعائه لنفسه ببطولة القضية الشيعية ، وكان يعرض من جهة أخرى الى ضغط عبد الواحد نفسه ، الذي كان وهو ينشد جعل مركزه منيعاً تجاه خصومه ، ويطالب الشيخ بأن يساعده فيما يبذله من جهود مزعومة لإنصاف الشيعة ودعم قضيتهم العامة. ولم يكن يهم العلامة الكبير كثيراً أن تكون هذه الوزارة متربعة في دست الحكم أو تلك، غير انه كان من المهم الحيوي لنفوذه وسمعته ان العشائر اذا ما تحركت مطالبة بالقيادة الدينية فان هذه القيادة يجب ان يكون زمامها بيده . وهو بطبيعة الحال لم يكن ينطلي عليه الدافع الحقيقي الذي كان يدفع عبد الواحد الى العمل ، لكن كثيراً من المؤازرة التي كانت تقدم بدافع الاعتقاد بأن القضية الشيعية كانت رائده في عمله . وكان الشيخ كاشف الغطاء علاوة على ذلك يكره الظهور بمظهر غير العابىء بهذه الناحية من القضية كلها فيجازف بسمعته بينهم ويثير انتقادهم له . ولم يكن هناك شيء بالنسبة لوجهة نظره أكثر ابتعاداً عن رغبته الحقيقية من أن يكون مجبراً بتأثير المصالح الدنيوية العائدة لرؤساء العشائر ، على مناوءة مجموعة لا يستهان بها من أفراد القبائل أنفسهم . ولذلك حاول ، بشيء من النجاح ، أن يبقى مسايراً لجميع الفئات ويظل غير ملزم بشيء تجاه أي أحد منهم ، حاصراً أحاديثه وأقواله في مجال التوافه من الأمور ، ومقتصراً في أعماله على تنظيم قائمة رسمية بالمطاليب الشيعية .

وحينما كانت تقرر هذه المطاليب كانت تنشر بصورة خاصة وتشيع بين الناس ، ولكنها لم تقدم بصورة رسمية مطلقاً الى أن تسلمت حكومة الإخاء الحكم . وعندما تم تقديمها كانت خالياً من تواقيع عبد الواحد عليها ، وبعض الرؤساء المنضوين تحت لوائه وليس كلهم

ثم يعود الكابتن (ماكدونالد) الى البحث في « المطاليب الشيعية » على ما

يسميها، فيقول ان ظلامات الشيعة الحقيقية أو الموجودة في مخيلة الكثيرين منهم كانت تشغل العناصر المتحسسة بالأحوال السياسية في الفرات الأوسط والمدن المقدسة وفي مقدمتها النجف منذ عدة سنين، فأخذت تصبح وسيلة بالية في أيدي الساسة البغداديين . وقد نوقشت عدة مرات من قبـــل خلال السنين الفائتة ، ورسمت ، ثم قدمت في بعض المناسبات وهي تحمل مطاليب كانت تتراوح بين الأشياء المستحيلة والأشياء المعقولة العادلة . أما المطاليب التي وضعها الشيخ محمد حسين في النجف فقد تكون أشد اعتدالاً ممـا قدم منها حتى الآن (١) . فقد كانت تنص على أن يكون عدد الأعضاء الشيعة في البرلمان متناسباً مع عدد الشيعة من سكان البلاد . وطالبت بتعيين الحـكام العدليين بعدد كاف منهم ، وبحرية الانتخاب في المناطق الشيعية ، وحرية الصحافة في البلاد أجمع ، وفيما عدا ما كان فيها من المطاليب المتطرفة التي تطالب بتخفيض الضرائب كانت تحتوي أيضاً على فقرات لم يكن بوسع أية حكومة تعطف عطفاً صادقاً على «القضية الشيعية» أن تمنحها لا عاجلاً ولا بمرور الزمن .

وينتقد (ماكدونالد) بعد ذلك تصرف الوزارة المدفعية مشككاً بجدوى سوقها للجيش بالطريقة التي حصلت فأدت الى سقوطها. ويعود الى تدخل الشيخ محمد حسين فيقول ان التوفيق لم يحالف تلك الوزارة فيما بذلته من جهود في أثناء مفاوضتها له ، برغم ان الشيخ لم تكن تسيطر عليه بأي حال من الأحوال فكرة معاداة الحكومة القائمة بالذات ، وإنمـــا كان يهتم بصورة خاصة بنجاح القضية الشيعية على حد قوله ، التي كان بوسع وزارة جميل المدفعي نفسها ان تحلها بقدر ما يمكن حلها عن طريق أية وزارة إخائية يمكن أن تأتي من بعدها .

---

(١) هذه المطاليب قد طبعت بمطبعة الراعي في النجف وقد أشارت لها جريدة (الراعي) فألغت الحكومة بسبب ذلك امتيازها وعطلتها .

وبعد أن جاءت وزارة ياسين الهاشمي الإخائيه الى الحكم هدأت الأحوال في منطقة (آل فتلة) ، لكنها اضطربت في منطقة خوام وجماعته . ولذلك عمدت الحكومة الى مفاوضة العلامة كاشف الغطاء، والاستعانة به لتهدئة الحال. ويذهب (ماكدونالد) الى ان الشيخ نفسه لم يكن يريد لدرجة ما أن يشترك في النزاع منذ البداية ، لأنه لم يكن يرغب في التورط بالشؤون الطائفية ما لم يحصل على إجماع قبائلي يؤيده . يضاف الى ذلك إنه كان من الفطنة بحيث يمكنه أن يلاحظ ان هذه العشائر التي وافق أن يكون ناطقاً بإسمها ، بينا يكون بوسع رؤسائها أن يتلاعبوا بعواطف أتباعهم السذج بالتحمس الظاهري للدفاع عن حقوق الشيعة والمطالبة بإنصافهم ، فإنهم كانوا في الحقيقة بعيدين عن ذلك كل البعد لأن الذي كان يشغل بالهم هو الشيخ عبد الواحد والحكومة الاخائية وتوقع إعادة النظر في قضايا الأراضي المتنازع عليها بينهم. وإذا كان موقف الشيخ محمد حسين وهو يرأس العشائر الموالية للحكومة يعد موقفاً غير صريح له في شهر مارت ، فإن عدم ارتياحه في موقفه الجديد قد تضاعف وهو يرأس مجموعة من العشائر مناوئة للحكومة من دون أن تكون متماسكة فيما بينها أو متفقة على رأي ، وهي تضج ملحة عليه بوجوب وضع نفسه في موضع عدائي لا يلين تجاه جماعة عبد الواحد القوية ، ووزارة كانت تدل جميع الدلائل على كونها وزارة قوية . لكنه تردد وراوغ كالعادة وتكلم بكلام حسن مع الحكومة ، وهو يرمي بذلك الى أن يبدد الشك الذي كان يخامرها تجاهه ويجعلها تعتقد بأنه غير عازم على إثارة الضغائن الدينية (١) . بينما راح يكلم رؤساء القبائل بكلمات التقوى والورع العامة ، ويشجعهم بأن يجعلوا قضية المطاليب الشيعية في مقدمة

(١) والثابت ان الشيخ كاشف الغطاء كان على خلاف ما يقول ماكدونالد فقد كان صريحاً في مخاصمة وزارة الهاشمي الأمر الذي حمل الشيخ عبد الواحد والسيد محسن (ابو طبيخ) وغيرهما ينقطعون عنه . ج. خ.

الأشياء التي تخطر ببالهم ، لكنه بذل عناية خاصة في عدم إلزام نفسه بشيء من قبيل التحريض الصريح على الإخلال بالأمن .

وقد صدر تحريض كثير على الثورة من النجف في أواخر نيسان وأوائل مايس ، على ما يقول (ماكدونالد) ومع ان الشيخ محمد حسين المضغوط عليه الى أقصى ما يمكن أن تتحمله قابلية رجل الدين المسلم في الإبهام والغموض ، كان لا بد من أن يكون هوالمسؤول عن شيء منه فان معظم اللوم عن ذلك التحريض كان يجب أن يلقى على عاتق رجال الطبقة الدينية الأقل بروزاً منه بالنسبة للنشاط الكثير الذي كان يبدو منهم . وهناك أدلة كثيرة تدعو الى الشك كذلك في تسرب التشجيع غير اليسير من بغداد الى الجنوب مرة ثانية ، ولكنه صار يصدر هذه المرة من جهات غير إخائية . ومع ان هذا التأثير الهدام كان كله شيئاً أقل قوة وعزماً من التحريض السياسي الذي أدى الى اقتلاع الوزارتين السابقتين عن كرسي الحكم ، فقد كان له شيء من التأثير بلا ريب ، وكان من شأنه أن يزيد في حراجة الجو المتوتر الذي كان سائداً في البلاد .

هذا والملاحظ في هذا البحث ، وفيما لم نشأ أن نثبته هنا بالتفصيل من أقوال ماكدونالد ، إنه يعتقد ان العراق الشيعي هو عشائري في نظرته واتجاهه وان الروحية التي تنحو منحى شيعياً طائفياً على حد تعبيره تسير يداً بيد مع اتجاه رجال العشائر الإقطاعي ، ومناوءته لمفهوم الحكومة المركزية وتأييده التلقائي لكل شيء يبشر بحلول حكم عشائري لا مركزي أو يشير اليه من بعيد . ويرى ان الفكرتين الشيعية والعشائرية محبوكتان في مخيلة رجال العشائر بحيث لا يمكن التفريق بينهما لحدٍ ما . ولا شك ان رأي رجل الاستخبارات البريطانية هذا فيه الكثير من التجني الذي قد يحمل على تقصد خاص في كيفية سرد الحقائق وطريقة عرض ما يسميه « القضية الشيعية » و « المطاليب الشيعية » وغير ذلك

ممـا نجده مؤكداً عليه أبداً ودوماً في جميع ما يكتبه الإنكليز الذين عاشوا في هذه البلاد تقريباً ، ولا سيما أولئك الذين شهدوا نيران الثورة العراقية تندلع في ١٩٢٠ من النجف وسائر أنحـــاء الفرات الأوسط فتفسد على رجال الاستعمار البريطاني أحلامهم وتقلب خططهم الجهنمية رأساً على عقب . ولا نرى سبباً لمثل هذا الموقف سوى الموتورية الشديدة من رجال الدين الذين قادوا الثورة العراقية لانقاذ البلاد من ربقة الاستعمار .

تعليق وتوضيح

هـــذا وقبل أن نلتقل من موضوع حركات ١٩٣٥ و ١٩٣٦ التي جرت في النجف والفرات الأوسط ، لا بد من أن نثبت هنا بعض النقاط التوضيحية خدمة للحقيقة والتاريخ. فإننا نرى في المراجع المحلية عن هذه الفترة ان الوزارة المدفعية الثالثة قد جاء تشكيلها اضطرارياً ، لأن الاخائيين لم يقبلوا بتشكيل الوزارة بعد فشل وزارة علي جودة الأيوبي وسقوطها إلا بحل المجلس النيابي الذي جاء به الأخير . وكان هذا الشرط ضد رغبة الملك . وحينما تشكلت تلك الوزارة في ٤ مارت ١٩٣٥ لم تبذل مجهوداً كبيراً لحل المشكل ، وإنمـــا اكتفت بإيفاد السيد عبد العزيز القصاب وزير الداخلية لدرس الأحوال في لواء الديوانية فعـاد منها بعد ان لم يفلح في إقناع عبد الواحد وجماعته بالكف عما أقدموا عليه . ثم أوفدت الحـاج عبد الحسين جلبي وزير المعارف الى النجف ليتصل برجال الدين ويوسطهم لدى رؤساء القبائل بالتعاون مع الحكومة لكنه قوبـــل في النجف الأشرف بالجفاء والبرود ، وعاد بخفي حنين [١]. وعلى أثر هذا عزمت الحكومة على التذرع بالقوة وسوق الجيش لتأديب «المتمردين» ، وكانت هذه فكرة جميل المدفعي منذ أن كان عضواً في الوزارة الأيوبية التي تولت الحكم قبل هذه الوزارة. فقد صرح علي جودة لصاحب (تاريخ الوزارت العراقية) إنه كان من رأيه أن

---

(١) وكان برفقة الحاج عبد الحسين الشيخ علي الشرقي ج. خ.

لا يساق الجيش ، وان تقتصر الحكومة على قيام الشرطة بضبط المراكز المهمة وتحافظ على الأمن . لكن وزير الدفاع جميل المدفعي كان يصر على تجريد حملة تأديبية الى النجف والفرات الأوسط لإخضاع القبائل بالقوة. وقد عمد الى تنفيذ فكرته حينما تولى الرآسة بعد ذلك ، غير أنه لم يتوفق في مسعاه لأن الملك غازي كان من رأيه حقن دماء العراقيين وحل الأمور بصورة سلمية . ولذلك اضطر المدفعي لتقديم استقالته بعد أن بقيت وزارته في الحكم ثلاثة عشر يوماً لا غير .

وكان الملك قد وقف هذا الموقف لأنه تسلم من عبد الواحد الحاج سكر ثلاث برقيات متتالية ، في ١١ و١٣ و١٤ مارت ١٩٣٥ يعرض فيها إخلاصه وإخلاص قبائله للعرش ويدافع عن نفسه بما يراه صالحاً ، فاقتنع بأن حركة العشائر لم تكن إلا حركة سلمية لا يقصد بها تعكير الأمن . وتسلم برقية أخرى من سماحة الشيخ كاشف الغطاء في يوم ١٤ منه يشير بها على الملك بتوقيف الحركات . وتسلم برقية غيرها ، عن طريق رئيس الديوان ، في يوم ١٣ مارت من العلامتين الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر في النجف يستنكران فيها سياسة الارهاب التي اتبعتها الحكومة في حل المشكل . وهاك نص برقيتهما التي تجلو الكثير من النقاط :

« إخلاصاً للعرش الهاشمي ، وأداء للوظيفة الدينية ، وحقناً للدماء ، نلفت نظر صاحب الجلالة للحالة الحاضرة فإنها سيئة جداً وإذا بقيت الحكومة على الاصرار في سياسة الارهاب تكون أسوأ . لقد خاطبنا وزير الداخلية في ذلك فلم نر منه ما يوجب الطمأنينة ، ولم تزل البرقيات ترد من أطراف العراق تطلب منا المداخلة في إصلاح الأمر . نرجو تبليغ الأمر الى صاحب الجلالة ولفت نظره نحو هذه الشدة التي تستعملها الحكومة مع أمة مخلصة للعرش والبلاد بدون مبرر شرعي وبدون ذنب سوى مطالبتها بتطبيق القانون الأساسي . . »

وحينما تشكلت وزارة ياسين الهاشمي الاخائية في ١٧ مارت ١٩٣٥ ، تطورت الأمور من جديد على النحو المذكور من قبل وتحرك الشيخ خوام وجماعته ضدها. ولأجل أن يسبغوا على الحركة شكلاً غير شكلها الأصلي تظاهروا بعلاقتها بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في النجف ، لكن سماحته لم يكن ميالاً الى استعمال العنف من لدن الحكومة والتمرد على القوانين والأنظمة من لدن الناس . ولذلك أصدر « بلاغاً للناس » بتاريخ ١٢ محرم الحرام ١٣٥٤ يدعو فيه قبائل الفرات وزعماءها الى المحافظة على الأمن وعدم القيام بأي حركة يخشى منها اختلال النظام . وقد حذرهم من الانقياد الى الأحزاب ، والاستماع الى رجالها ، لأن الأحزاب هي التي أهلكت العباد على حد قوله ، وخربت البلاد وجرت الويلات على هذه الأمة البائسة والمملكة العراقية الفتية ، ولأن الأحزاب على ما يقول مطايا يركبها شياطين معدودون فيعبرون بها الى مقاصدهم الشخصية ومنافعهم الذاتية (١) .

وقد اشترك في وزارة ياسين الاخائية الشخصية النجفية المعروفة في عالم العلم والأدب على ما يقول (لونكريك) في كتابه(٢) الأخير ، الاستاذ محمد رضا الشبيبي ، فأشغل وزارة المعارف . لكن الشبيبي اضطر الى تقديم استقالته منها في ١٥ أيلول ١٩٣٥ ، لأنه لم يلق التأييد في مجلس الوزراء « بكثير من الآراء والمقترحات التي سبق له أن اقترحها بشؤون المعارف » ، فقبلت استقالته واسند منصبه الى صادق البصام .

وبعد أن تولت وزارة حكمة سليمان الحكم على أثر الانقلاب العسكري

---

(١) هذا البلاغ أصدره الشيخ حين علم بأن جماعة عبد الواحد قد جرفهم التيار الحزبي وقد قلبوا لآرائهم السابقة ظهر المجن .

(٢) الص ٢٤١

الذي تزعمه الفريق بكر صدقي ، هلل الكثيرون من الناس وتأملوا خيراً فيها. وحينما حاول رئيس الوزارة الجديدة حل المشاكل القائمة في الفرات الأوسط لم يتوفق فيها كل التوفيق ، واضطر الى سوق الجيوش واستعمال الشدة كذلك. ويقول المستر (لونكريك) في هذا الشأن ان تخبط (حكمه) في حل المشاكل الفراتية التي بقيت غير محلولة من قبل كان شيئاً واضحاً . فقد كان عليه أن يسترضي الناقمين من دون المس بحقوقهم ، ويعفو عن المحكومين من دون إظهار شيء من الضعف ، ويحافظ على الأمن من دون استعمال العنف الذي لا يستسيغه أحد. فأقدم على ذلك كله بكل ما كان عنده من حسنة وبراعة في معاملة الناس ، لكنــه أخفق إخفاقاً معروفاً في النتيجة . لأن خميرة المصالح الذاتية ، والانقسامات الدائمة ، التي كانت تصطبغ بها الحياة الاعتيادية في النجف وأوساط الفرات العشائرية والدينية ، لم يمكن التخفيف من حدتها (١) . ثم يأتي بعد ذلك على وصف اصطدام العشائر بالحكومة واضطرارها لتأديبهم ونفي عدد من رؤسائهم المعروفين . ويعرج من هنـــاك الى ذكر الاختلاف الذي حصل بين أعضاء الوزارة الحكميّة ، والتقدمية التي كانت تتصف بها جماعة كامل الجادرجي التي يقول (لونكريك) ان وجودها شجع العمال على القيام بإضرابات خطيرة في مختلف الأماكن والمؤسسات ، ومن جملتهم عمال الحياكة في النجف نفسها وقد انتخب في عهد هـذه الوزارة الأستاذ محمد رضا الشبيبي رئيساً لمجلس الأعيان .

فرايا ستارك تكتب عن النجف

وفي ١٩٣٧ زارت النجف الكاتبة الإنكليزية القديرة ، والموظفـــة في الاستخبارات البريطانية ، المس (فرايا ستارك) وبقيت فيها اسبوعاً واحداً

---

(١) العس ٢٥٠

ضيفاً على القائمقام الذي أنزلها في جناح الضيافة الموجود في نادي الموظفين . وقد كتبت فصلاً خاصاً عن النجف ضمنته ملاحظاتها عنهـــا في كتابها (١) الموسوم (صور بغدادية) .

وتبدأ ملاحظاتها بما شاهدته في الكوفة . فهي تستهل الفصل بوصف جلسة مسائية على شاطىء الفرات ، مع رئيس البلدية وسبعة من « الأفندية » . وكان ذلك في أوائل ربيع الأول بعد أن انتهى صفر ، الشهر الثاني من شهري الحزن المعتادين في كل سنة ، ولذلك تقول إنها شاهدت وهي جالسة من بعيد شعلات من النـــار طافية في النهر ، وقد كانت تنساب منحدرة مع تياره حتى تختفي . وترمى هذه في النهر في نهاية موسم العزاء (نهاية شهر صفر) لتأخذ معها أحزان السنة وتفرج الكربة عن الناس . وهذه على ما تقول عادة قديمة ترجع بقدمهـــا الى تاريخ هذه البلاد العريق في القدم . ثم تشير بالمناسبة الى أن « الأفندية » الذين شاهدوا معها النـــار الطافية ، لمحـــوا هلال الشهر الجديد (هلال ربيع الأول) وأخذ كل منهم يتمنى الخير والموفقية لصاحبه من دون أن يشعروا بأن ما فعلوه يعتبر من قبيل عبادة القمر أو التبرك به . وليس من المستغرب أن يحصل مثل هذا ، فتبقى هذه الوثنية ، في بلاد لا تبعد كثيراً عن قبر « الكفل » و « برج بابل » اللذين يدلان على ذلك العالم الغابر .

ولكن المرء حينما يعبر جسر الكوفة المستند على الزوارق ينتقل من العـــالم البابلي الى عـــالم الإسلام على حد تعبيرها . وهي ترى ان الحيرة توجد مدفونة تحت الرمال ما بين النجف والكوفة ، وان التلال الرملية المحيطة بالكوفة تحوي في باطنها خرائب كوفة العرب الفاتحين الأولى . وبعد أن تشير (فرايا ستارك) الى جامع الكوفة الكبير وغيره من معالم البلد تقول ان (قصر الإمارة) هدمه

(1) Freya Stark — Baghdad Sketches, London 1937

عبد الملك بن مروان الأموي ، لأنه بينما كان جالساً فيه ذات يوم سمع عجوزاً من الاعراب يقول « ستكون الخامس » . وحينما سأل عما كان يقوله هذا أجابه يقول : «عندما جئت لأول مرة الى الكوفة رأيت رأس الحسين (ع) بين يدي قاتله عبيد الله هنا . فذهبت وعدت ثانية اليها بعد مدة فشاهدت رأس عبيد الله في نفس المكان بين يدي المختار بن يوسف الذي قتله . وبعد أن خرجت منها وعدت مرة أخرى ألفيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير . ثم ذهبت فعدت هذه المرة ، وها إني أرى الآن بين يديك رأس مصعب » . ولذلك خرج عبد الملك من الكوفة وأمر بهدم قصر الإمارة الذي تشاهد خرائبه الآن بجنب دار الإمام عليه السلام

وقد كان الامام علي هنا يعمل للخير ويتمسك بالامور المثلى على حد تعبيرها، فأفنى نفسه وهو مريض الفؤاد ما بين أهل الكوفة المتلونين . وعلى مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جمجع ابنه الحسين الى جهة البادية وظل يتجول حتى نزل في كربلا ، فقتل قتلة فظيعة مع أهل بيته بعد أن منع عنهم الماء . وقصة قتله هذه من القصص القليلة التى تقول (فرايا ستارك) إنها لا تستطيع قراءتها من دون أن ينتابها البكاء . وتقول أيضاً ان التاريخ قد توقف في كربلا والنجف منذ يوم مقتله ذاك ، لأن الناس أخذوا يعيشون فيها على ذكرى الكراهية لأعداء الحسين (١) .

وقد أخذت النجف محل الكوفة ، على ما ترى . ومع ان سكانها قد استقروا وتمدنوا فإنها لا تزال تعد من مدن البادية ، المحاطة بسور خاص ترتفع هي في داخله فوق هضبة واطئة من الأرض كأنها تاج يعلوه ذهب القبة المتلألىء . وما زال بداة عنزة وشمر يقصدونها من رمال النفود البعيدة للتزود منها ، بينما تسلك

(١) الص ١٦٩ ، طبعة Guild Books ١٩٤٧ .

السيارات الطريق الممتدة منها الى مكة ، وهي طريق الحج المسماة باسم زبيدة ويرتفع (بفرايا ستارك) الخيال فيخترق نظرها الأفق البعيد مع الطريق التي تتضح معالمها لعيون الايمان على حد تعبيرها ، ولذلك نجدها تقول ان المرء لا يسعه سوى أن ينحني خاشعاً أمام زهد الانسان وورعه وتعجب كيف ان الساسة الانكليز يعتقدون بأنهم يستطيعون السيطرة على قلوب الناس بالوسائل المادية وحدها .

وقد دبر القائمقام لها مواجهة العلامة الأكبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، الذي كان آباؤه لخمسة أظهر من زعماء الدين. ولما كانت زيارتها للشيخ وهي امرأة شيئاً يلفت النظر ، فقد دبرت الزيارة في أقل الأوقات تعرضاً لأنظار الناس . فجاء الشيخ هادي ، نسّاخ الكتب ، ليلقي نظرة عليها أولاً ، وبعد أن بعث أخباراً مناسبة عنها قادها مع خادمها خلال طرق ودرابين متعرجة الى دار غير كبيرة يعيش فيها الشيخ مع أهله عيشة بسيطة كما كان يعيش المسلمون الأقدمون من قبل . وبعد أن تأتي على وصف الشيخ -- الذي كانت لحيته مخضبة بالحناء -- ووقاره وذكائه تقول إنها فهمت من حديثها معه بأنه كان يعرف (المس بيل) والسر (بيرسي كوكس) ، ويعتبر الذين جاءوا بعدهما من الانكليز أقل منهما شخصية وقدراً . وحينما تطرق الى الحديث معها عن العالم الشرقي ، أخبرها برأيه عن بريطانية والاسلام بقوله « إنه لا يوجد الآن بيننا وبين الانكليز سوى الصداقة لولا الأخطاء التي ارتكبت ضد إخواننا العرب في فلسطين . وما زالت هذه الظلامة موجودة فإننا لا يمكن أن تحل المحبة ولا السلام بيننا من البحر المتوسط الى الهند . وآمل أنْ تبيني هذا الى حكومتك ، وتقولي لهم ان ما يلعبون به هناك هو ليس أراضي فلسطين وحدها ، وإنما يلعبون بالعالم الاسلامي كله الذي يقدر بنصف امبراطوريتهم ويتشوقون الى الابقاء على صداقته لهم » . ولما كان رأيه هذا يتفق تمام الاتفاق مع رأيها هي في هذه المسألة الدقيقة كان

يسرها أن تعد الشيخ بأن تبذل جهدها في نقله أمانة الى الجهات المختصة .

ثم زارت بعض المدارس ، ومعالم البلدة الاخرى ، بما فيها (المغتسل) الذي كان يقوم بتغسيل الموتى فيـــه رجل واحته بسعر زهيد للجثة الواحدة . وقد تجولت ما بين القبور في بعض الأمسيات كذلك ، وأمضت أمسية واحدة منها في التفرج على ما يجري عند الباب الكبير المؤدي الى الصحن فكانت من أجمل الأمسيات التي قضتها في حياتها كلها . وكان ذلك من غرفة تعود للشرطة وتطل شبابيكها على باب الصحن وقسم من السوق . وبعد أن تصف ما شاهدته هناك وفي الداخل تقول إنها خرجت تقطع السوق الذي امتلأ بالأضوية ، وهي تشعر بحبها للعالم بأجمعه . وبينما هي كذلك لاحظت في دكان بائع أحذية رجلاً كان يرمقها بنظرات شزراء ممتلئة بالحقد والكراهية ، فتأثرت أشد التأثر لأنها يحز في نفسها أن يكرهها أحد من دون سبب . وهي تقول : «ان ذلك الرجل لو كان بوسعه ان يخترق جسمها الانكليزي بنظره الى أعماق قلبها لوجد ان ما كان يمتلىء به هو الاحترام الودي لعتبته المقدسة بالذات التي تعلو أرواح الناس كما تعلو قبـة النجف المذهبة فوق أفق البادية ، فتجذبهم اليها من بعيد» وتنهي الفصل بوصف جماعة من فقراء الأفغان كانوا يعيشون على الكفاف ، ويحصلون على قوتهم من حياكة بيوت الشعر ، ثم ينتزع كل منهم فلساً واحداً من وارده الشحيح بين حين وآخر فيعطيه للانفاق على العتبة . وتعلق على ذلك بكل إكبار وإجلال قائلة : « من نكون نحن لننتقد عقيدة تعطي مثل هذا المقدار يا ترى ؟ »

النجف في السنين الأخيرة

هـــذا ولم أعثر فيما كتبه الغربيون عن العراق ما بين هذه الفترة وسنة ١٩٥٨ على شيء يذكره عن النجف سوى بعض الاحصاءات والمعلومات العابرة . فقد كتب (لونكريك) في (١٩٠٠ — ١٩٥٠) ان مديرية الآثار القديمـــة قامت

بالتنقيب في خرائب الحيرة الكائنة في منطقة النجف ـ الكوفة سنة ١٩٤٥ . وقد درست في السنة نفسها مديرية السكك الحديد العامة قضية مد خط خاص للسكك ما بين كربلا والنجف والكوفة ، لكن ذلك لم يثمر شيئاً . ويذكر كذلك ان (توفيق السويدي) أدخل معه في الوزارة التي شكلها يوم ٢٣ شباط ١٩٤٦ المتصرف النجفي سعد صالح المعادي لصالح جبر . ثم يذكر عن الفترة نفسها ان الجو المتوتر المفعم بالتذمر والخطر الذي كان يخيم فوق النجف وغيرها من المدن المقدسة (١) لم يؤد الى وقوع اضطرابات مكشوفة يعبأ بهـا . ويعلق بالاضافة الى ذلك على إحصاء النفوس الذي جـرى في العراق سنة ١٩٤٧ فيقول ان أكبر كثافة في السكان بالنسبة للألوية العراقية المختلفة تلاحظ في لواء الحلة الذي تبلغ كثافة النفوس فيه (٤٩) نسمة في الكيلومتر المربع ، ويأتي بعـده لواء كربلا الذي تبلغ كثافة نفوسه (٤٦) نسمة في الكيلومتر المربع الواحـد . وفي خلال البحث عن التطورات التي حصلت في المجتمع العراقي وأحواله ما بين تشكيل الحكم الوطني في البلاد و ١٩٥٠ ، يذكر (لونكريك) وستوكس (٢) في كتابهما عن العراق ان مراكز النفوس والمواصلات الموجودة خارج بغداد والموصل والبصرة بقيت منحصرة على الأغلب في كربلا والنجف والحلة وكركوك والسليمانية واربيل . وظلت النجف وكربلا والكاظمية وسامرا هي المراكز الكبيرة التي يؤمها الزوار الشيعة بأعداد كبيرة ، ولا سيما من إيران . ويذكر ان كذلك من جملة الطرق المهمة في البلاد طريق بغداد ـ كربلا ـ النجف ، والطريق ما بين هذه المدن والحلة . ثم يتطرقان الى النواحي الدينية في البلاد فيشيران الى ان العلوم الاسلامية ، مع جميع ما حصل من تأثير التربية الحديثة

(١) الص ٣٣٥

(٢) الص ١٣٢ Stephen Longrigg & Frank Stoakes – Iraq, London 1958

وقوتها في الناس ، بقيت تدرس في المدارس الدينية العائدة لأهل السنة والشيعة معاً. وان النجف ما زالت الجامعة الدينية القديمة مزدهرة فيها ، وما زال طلبتها يطبعون مؤلفاتهم الدينية على النمط الذي ظل متبعاً فيها منذ قرون عدة .

وفي أواخر ١٩٥٨ (أي بعد ثورة ١٤ تموز) ظهر الى عالم المطبوعات كتاب أمريكي عن العراق ، في ضمن سلسلة من المطبوعات تطبع عن حضارات الأمم وأحوالها المختلفة في العالم . وقد بحث مؤلف الكتاب (١) ، جورج هاريس ، عن سكان العراق ومجتمعه وحضارته الحديثة من نواحيها المختلفة . فوردت في الكتاب ، الذي يعد دراسة حديثة فريدة في بابها ، إشارات غير قليلة الى النجف وجدت من المناسب أن أختم هذا البحث الشامل بها . فقد ورد في موضوع السكان في مدن العراق المختلفة ان هجرة واسعة النطاق من القرى العراقية الى المدن تقوم الآن على قدم وساق ، وإن المدن التي يحصل فيها التوسع بهذه الطريقة هي البصرة وبغداد وكركوك والنجف (٢) . وورد في بحث القوميات المختلفة ان النجف والكاظمية فيها حوالي ألف أفغاني شيعي ، وهم على صلة وثيقة بالجاليات الايرانية من حيث اللغة وما أشبه . ويذكر المؤلف في بحث الحج والزيارة ان الشيعة يجيزون إنابة أشخاص آخرين للحج عنهم عند الضرورة (٣) ، وقد يعتاضون عنه بالزيارة الى النجف (حيث يدفن الامام علي) أو كربلا . ولا شك ان المؤلف غير مصيب في هذا القول لأن الشيعة يعتبرون الحج من أركان الاسلام مثل سائر المسلمين كما يذكر المؤلف نفسه في الص ٥٣ من نفس الكتاب . ويقول المؤلف في موضع آخر ان النجف التي تعد مركزاً للثقافة

---

(1) Harris, George L. — Iraq, Its People, Its Society, Its Culture. New Haven 1958

(٢) الص ٣٤ — (٣) انما تجوز النيابة عن الميت وليس عن الحي كما ذهب اليه المؤلف

ج. خ.

الشيعية والتعلم في العالم الاسلامي كله قد ساعدت خلال الأزمات السياسية التي حصلت في الحقبة التي نالت فيها البلاد استقلالها بعد الحرب العامة الأولى، على تلقين طلبتها الروح الوطنية أهمية التراث العربي الخالد .

وفي أثناء البحث عن الحركة الأدبية يقول « ان النجف خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها كانت قد غرست في طبقة جديدة من الشعراء فكرة الوطنية الحديثة والروح القومية التي تؤكد على التمسك بالتراث العربي المعروف . وقد أنتجت هذه المدرسة العربية الحديثة شعراً متشبعاً بالشعور الوطني المتسامي . وكان لمفاخر الحضارة العربية ومآثر العرب التاريخية القدح المعلى في تفكير اولئك الشعراء، ونادراً ما كانوا يلتفتون الى موارد الثقافة الأخرى أو يحاولون استخدام أساليب جديدة في تطوير أفكارهم أو تغيير المواضيع التي يحصرون تفكيرهم فيها . ومع هذا فقد كان الجمهور وما يزال يقدر هذا الشعر حق قدره ويعمل على حفظه والتغني به » . ثم يقول عن الشعر العراقي خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها إنه دخل في طور جديد من أطواره « فإن الاتجاهات الأدبية القديمة الموجودة في النجف وبغداد لم تعد مسيطرة على لب الشعراء والكتاب الشباب. لأن الطبقات المتعلمة أخذت تتعرض بازدياد الى الآراء والأفكار الجديدة التي جاءت اليهم من أوربة وأمريكا بصورة مباشرة وغير مباشرة، عن طريق السيل المتدفق على البلاد من الكتب والنشرات المطبوعة في مصر ولبنان .

★★★







